

❖ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلِ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ  
 وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا  
 لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ  
 الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ  
 لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ  
 لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ زُرِيَ تَقَلُّبُ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا  
 فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ  
 وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ  
 ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ  
 قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا  
 جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾

❖ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلِ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ  
 وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا

لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ  
الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ  
كَلِمَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ

إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾

\*الصحيح المسند من أسباب النزول

قال ابن إسحاق: عن البراء قال

كان رسول الله ﷺ يصلي نحو بيت المقدس

ويكثر النظر إلى السماء ينتظر أمر الله

فأنزل الله { قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ

وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ }

فقال رجال من المسلمين وددنا لو علمنا علم من مات قبل أن

نصرف إلى القبلة فأنزل الله { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ }

وقال السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها

فأنزل الله { سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ } إلى آخر الآية ا. هـ (□)

مثال ايجابي: قصة القبلة 142-142

{ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ }

\*\*\* مُشْرِكُو الْعَرَبِ،

\*\*\* وَقِيلَ: أَحْبَابُ يَهُودَ

\*\*\* وَقِيلَ: الْمُنَافِقُونَ، وَالآيَةُ عَامَّةٌ فِي هَؤُلَاءِ كُلِّهِمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قد اشتملت الآية الأولى على: -

1- معجزة،

2- و تسليّة،

3- و تطمين قلوب المؤمنين،

و اعتراض و جوابه، من ثلاثة أوجه،

و صفة المعارض،

و صفة المسلم لحكم الله دينه.

فأخبر تعالى أنه سيعترض السفهاء من الناس،

و هم الذين لا يعرفون مصالح أنفسهم،

بل يضيعونها ويبيعونها بأبخس ثمن، وهم اليهود والنصارى،

و من أشبههم من المعارضين على أحكام الله وشرائعه،

و ذلك أن المسلمين كانوا مأمورين باستقبال بيت المقدس، مدة مقامهم بمكة،

ثم بعد الهجرة إلى المدينة، نحو سنة ونصف - لما لله تعالى في ذلك من

الحكم التي سيشير إلى بعضها،

وكانت حكمته تقتضي أمرهم باستقبال الكعبة، فأخبرهم أنه لا بد أن يقول

السفهاء من الناس:

**(مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِنَا أَلَّتْ كَانُوا عَلَيَّهَا<sup>ع</sup>)**

وهي استقبال بيت المقدس، أي: أي شيء صرفهم عنه؟

وفي ذلك الاعتراض على حكم الله وشرعه، وفضله وإحسانه،  
فستألهم، وأخبر بوقوعه،

وأنه إنما يقع ممن اتصف بالسفه، قليل العقل، والحلم، والديانة،  
فلا تبالوا بهم، إذ قد علم مصدر هذا الكلام،  
فالعاقل لا يبالي باعتراض السفیه، ولا يلقي له ذهنه.

—ودلت الآية على أنه لا يعترض على أحكام الله، إلا سفیه جاهل معاند،  
—وأما الرشيد المؤمن العاقل، فيتلقى أحكام ربه بالقبول، والانقياد، والتسليم  
كما قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: 36]

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: 51]

وقد كان في قوله ( السفهاء ) ما يغني عن رد قولهم، وعدم المبالاة به.  
ولكنه تعالى مع هذا لم يترك هذه الشبهة،  
حتى أزالها وكشفها مما سيعرض لبعض القلوب من الاعتراض، فقال تعالى:  
( قُلْ ) لهم مجيباً:

﴿لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾

أي: فإذا كان المشرق والمغرب ملكا لله،

ليس جهة من الجهات خارجة عن ملكه،

\*\*\* أي: الْحُكْمَ وَالتَّصَرُّفَ وَالْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ، وَحَيْثُمَا تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ

، وَ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ

بِاللَّهِ { [البقرة: 177]

أي: الشَّانُ كُلُّهُ فِي امْتِثَالِ أَوْامِرِ اللَّهِ، فَحَيْثُمَا وَجَّهْنَا تَوَجَّهْنَا،

فَالطَّاعَةُ فِي امْتِثَالِ أَمْرِهِ، وَلَوْ وَجَّهْنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّاتٍ إِلَى جِهَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ،

فَتَحْنُ عَيْدُهُ وَفِي تَصْرِيفِهِ وَخُدَّامِهِ، حَيْثُمَا وَجَّهْنَا تَوَجَّهْنَا،

وَهُوَ تَعَالَى لَهُ بِعَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَمْتِهِ عِنَايَةٌ عَظِيمَةٌ؛

إِذْ هَدَاهُمْ إِلَى قِبْلَةٍ إِبْرَاهِيمَ، خَلِيلِ الرَّحْمَنِ،

وَجَعَلَ تَوَجُّهَهُمْ إِلَى الْكَعْبَةِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى اسْمِهِ تَعَالَى وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،

أَشْرَفَ بُيُوتِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، إِذْ هِيَ بِنَاءُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ لِهَذَا قَالَ:

{ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } .

(يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)

ومع هذا يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم،

ومنه هدايتكم إلى هذه القبلة التي هي من ملة أبيكم إبراهيم،

فلأي شيء يعترض المعترض بتوليتكم قبلة داخلة تحت ملك الله،

لم تستقبلوا جهة ليست ملكا له؟

فهذا يوجب التسليم لأمره، بمجرد ذلك،

فكيف وهو من فضل الله عليكم، وهدايته وإحسانه،

أن هداكم لذلك فالمعترض عليكم، معترض على فضل الله،  
حسدا لكم و بغيا.

و لما كان قوله:

( يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ )

والمطلق يحمل على المقيد،

فإن الهداية والضلال، لهما أسباب أوجبتها حكمة الله وعدله،

وقد أخبر في غير موضع من كتابه بأسباب الهداية،

التي إذا أتى بها العبد حصل له الهدى كما قال تعالى:

﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ

الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

[المائدة:16]

ذكر في هذه الآية السبب الموجب لهداية هذه الأمة مطلقا بجميع أنواع

الهداية، ومنة الله عليها فقال:

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ

عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ

مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ

## إِنَّا أَنزَلْنَاهُ بِاللَّيْلِ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾

\*الصحيح المسند من أسباب النزول

40 - عن البراء بن عازب، أن النبي ﷺ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ، أَوْ قَالَ أَخْوَالِهِ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَأَنَّهُ «صَلَّى قَبْلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبَلَتُهُ قَبْلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَّاهَا صَلَاةَ الْعَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ» فَخَرَجَ رَجُلٌ مِّنْ صَلَّى مَعَهُ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قَبْلَ الْبَيْتِ، وَكَانَتِ الْيَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ :-  
(إِذْ كَانَ يُصَلِّي قَبْلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَهْلُ الْكِتَابِ))  
فَلَمَّا وَلَّى وَجْهَهُ قَبْلَ الْبَيْتِ، أَنْكَرُوا ذَلِكَ.  
قَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ فِي حَدِيثِهِ هَذَا:  
أَنَّهُ مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ رِجَالٌ وَقُتِلُوا، فَلَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ} [البقرة 143] (□) (□)

□ صحيح البخاري

(قبل) نحو.

(يعجبه) يحب ويرغب.

(قبل البيت) جهة الكعبة.

(أول صلاة صلاها) أي إلى الكعبة بعد تحويل القبلة.

(رجل) هو عباد بن بشر رضي الله عنه وقيل غيره.

## (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)

أي: عدلا خيارا، و ما عدا الوسط، فأطراف داخلية تحت الخطر، فجعل الله هذه الأمة، وسطا في كل أمور الدين: -

- 1- وسطا في الأنبياء، بين من غلا فيهم، كالنصارى، وبين من جفاهم، كاليهود، بأن آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك،
- 2- ووسطا في الشريعة، لا تشديدات اليهود وآصارهم، ولا تهاون النصارى.
- 3- وفي باب الطهارة والمطاعم، لا كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة إلا في بيعهم وكنائسهم، ولا يطهرهم الماء من النجاسات، و قد حرمت عليهم الطيبات، (N) عقوبة لهم،

(أشهد بالله) أحلف بالله.

(فداروا كما هم)

أي لم يقطعوا الصلاة بل داروا على ما هم عليه وأتموا صلاتهم.

(وأهل الكتاب) والنصارى كذلك.

(ولى وجهه قبل البيت) توجه نحوه.

(أنكروا ذلك) لم يعجبهم وطعنوا فيه]

{ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَعْغِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ }

[الأنعام: 146] الميسر : وهو كل ما لم يكن مشقوق الأصابع كالإبل والنعام، وشحوم البقر والغنم، إلا ما علق من الشحم بظهورها أو أمعائها، أو اختلط بعظم الألية والجنب ونحو ذلك



ولا كالنصارى الذين لا ينجسون شيئاً، ولا يحرمون شيئاً،  
بل أباحوا ما دبو ودرج.

✻ بل طهارتهم أكمل طهارة وأتمها،

✻ وأباح الله لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح،

✻ وحرّم عليهم الخبائث من ذلك،

فلهذه الأمة من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجملها، ومن الأعمال أفضلها.

ووهبهم الله من العلم والحلم، والعدل والإحسان،

ما لم يهبه لأمة سواهم، فلذلك كانوا

(أُمَّةً وَسَطًا) كاملين

(لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ)

بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط، يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان،

ولا يحكم عليهم غيرهم،

—فما شهدت له هذه الأمة بالقبول، فهو مقبول،

—وما شهدت له بالرد، فهو مردود.

فإن قيل: كيف يقبل حكمهم على غيرهم،

والحال أن كل مختصمين غير مقبول قول بعضهم على بعض؟

قيل: إنما لم يقبل قول أحد المتخاصمين، لوجود التهمة

فأما إذا انتفت التهمة، وحصلت العدالة التامة، كما في هذه الأمة،

فإنما المقصود، الحكم بالعدل والحق،  
 وشرط ذلك، العلم والعدل، وهما موجودان في هذه الأمة، فقبل قولها.  
 فإن شك شك في فضلها، وطلب مزكيا لها، فهو أكمل الخلق، نبهم ﷺ  
 فلهذا قال تعالى:

**(وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)**

ومن شهادة هذه الأمة على غيرهم، أنه إذا كان يوم القيامة،  
 وسأل الله المرسلين عن تبليغهم، والأمم المكذبة عن ذلك،  
 وأنكروا أن الأنبياء بلغتهم، استشهدت الأنبياء بهذه الأمة، وزكاها نبيا.  
 وفي الآية دليل على أن:-

1- إجماع هذه الأمة، حجة قاطعة،

2- وأنهم معصومون عن الخطأ، لإطلاق قوله: ( **وَسَطًا** )

فلو قدر اتفاقهم على الخطأ، لم يكونوا وسطا، إلا في بعض الأمور

و لقوله: ( **لتكونوا شهداء على الناس** )

يقتضي أنهم إذا شهدوا على حكم أن الله أحله أو حرمه أو أوجبه،  
 فإنها معصومة في ذلك.

وفيها اشتراط العدالة في الحكم، والشهادة، والفتيا، ونحو ذلك.

**\*\*\*كقوله ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي**

**الَّذِينَ مِنْ حَرَجٍ مِّثْلَ أَيْكُمُ الْبُرْهَانَ ۗ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا الْيَكُونُ**

**الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ**

**وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ [الحج: 78]**

\*\*\*صحيح البخاري

4487 - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:  
يُدْعَى نُوْحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ،  
فَيَقُولُ: هَلْ بَلَغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَغَكُمْ؟  
فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟  
فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ:

{ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } [البقرة: 143]

فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى

النَّاسِ وَيَكُونَنَّ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } [البقرة: 143] "

وَالْوَسْطُ: الْعَدْلُ ( )

○ يقول تعالى:

**(وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا)**

وهي استقبال بيت المقدس أولا

**(إِلَّا لِنَعْلَمَ)**

أي: علما يتعلق به الثواب والعقاب،

---

(لبيك وسعديك) لزوما لطاعتك وإجابة لأمرك بعد إجابة وسعيا في إسعادك إسعادا بعد إسعاد. أي ما يرضيك رضا بعد رضا]

وإلا فهو تعالى عالم بكل الأمور قبل وجودها.

ولكن هذا العلم،

لا يعلق عليه ثوابا ولا عقابا، لتمام عدله،

وإقامة الحجة على عباده،

بل إذا وجدت أعمالهم، ترتب عليها الثواب والعقاب،

أي: شرعنا تلك القبلة لنعلم ونمتحن

**(مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ)**

ويؤمن به، فيتبعه على كل حال، لأنه عبد مأمور مدبر،

ولأنه قد أخبرت الكتب المتقدمة، أنه يستقبل الكعبة،

فالمنصف الذي مقصوده الحق، مما يزيده ذلك إيمانا، وطاعة للرسول.

**(مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ)**

و أما من انقلب على عقبيه، وأعرض عن الحق، واتبع هواه،

فإنه يزداد كفرا إلى كفره، وحيرة إلى حيرته،

و يدلي بالحجة الباطلة، المبنية على شبهة لا حقيقة لها.

**(وَإِنْ كَانَتْ)**

أي: صرفك عنها

**(لِكَيْرَةٍ)**

أي: شاقة

(إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ)

فعرفوا بذلك نعمة الله عليهم، وشكروا، وأقروا له بالإحسان،  
حيث وجههم إلى هذا البيت العظيم، الذي فضله على سائر بقاع الأرض،  
و جعل قصده، ركنًا من أركان الإسلام، و هادما للذنوب والآثام،  
فلهذا خف عليهم ذلك، و شق على من سواهم.

\*\*\*هَذِهِ الْفِعْلَةُ، وَهُوَ صَرَفُ التَّوَجُّهِ عَنِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَى الْكَعْبَةِ،  
أَي: وَإِنْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ عَظِيمًا فِي النَّفُوسِ

، إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ قُلُوبَهُمْ، وَأَيَقِنُوا بِتَصْدِيقِ الرَّسُولِ،  
وَأَنَّ كُلَّ مَا جَاءَ بِهِ فَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا مَرِيَةَ فِيهِ،  
وَأَنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ،

فَلَهُ أَنْ يُكَلِّفَ عِبَادَهُ مَا يَشَاءُ، وَيَنْسَخَ مَا يَشَاءُ،  
وَلَهُ الْحِكْمَةُ التَّامَّةُ وَالْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ،

بِخِلَافِ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ،

فَإِنَّهُ كُلَّمَا حَدَّثَ أَمْرًا أَحَدَثَ لَهُمْ شَكًّا،

كَمَا يَحْصُلُ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِيْقَانٌ وَتَصْدِيقٌ،

كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ

إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ\* وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ

مَرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ} [التَّوْبَةِ: 125، 124]

وَقَالَ تَعَالَى: {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ

وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى} [فُصِّلَتْ: 44]

وَقَالَ تَعَالَى: {وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ  
إِلَّا خَسَارًا} [الإِسْرَاءِ: 82] .

ثم قال تعالى:

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ)

\*\*\*صلاتك\_\_\_\_\_م إلي بيت المقدس ((ثوابها))

أي: ما ينبغي له ولا يليق به تعالى،

بل هي من الممتنعات عليه،

فأخبر أنه ممتنع عليه، ومستحيل، أن يضيع إيمانكم،

وفي هذا بشارة عظيمة لمن آمن بالله عليهم بالإسلام والإيمان،

بأن الله سيحفظ عليهم إيمانهم، فلا يضيعه،

☆ و حفظه نوعان: -

○1- حفظ عن الضياع والبطلان،

بعصمته لهم عن كل مفسد و مزيل له و منقص من:-

1- المحن المقلقة،

2- والأهواء الصادة))

و حفظ له بتنميته لهم:-

1- وتوفيقهم لما يزداد به إيمانهم،

2- ويتيم به إيقانهم،

فكما ابتدأكم، بأن هداكم للإيمان،

فسيحفظه لكم، ويتم نعمته بتنميته وتنمية أجره، وثوابه،

○2 - وحفظه من كل مكدّر،

بل إذا وجدت المحن المقصود منها، تبيين المؤمن الصادق من الكاذب،

فإنها تمحص المؤمنين، وتظهر صدقهم،

وكأن في هذا احترازا عما قد يقال إن قوله:

( وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ

عَقِبِيهِ )

قد يكون سببا لترك بعض المؤمنين إيمانهم، فدفع هذا الوهم بقوله:

( وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ) بتقديره لهذه المحنة أو غيرها.

ودخل في ذلك من مات من المؤمنين قبل تحويل الكعبة،

- فإن الله لا يضيع إيمانهم، لكونهم امتثلوا أمر الله وطاعة رسوله في وقتها،

وطاعة الله، امتثال أمره في كل وقت، بحسب ذلك،

وفي هذه الآية:-

دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، أن الإيمان تدخل فيه أعمال الجوارح.

( إِنَّكَ اللَّهُ بِالنَّكَاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ )

أي: شديد الرحمة بهم عظيمها،

☀ فمّن رأفته ورحمته بهم، أن يتم عليهم نعمته التي ابتدأهم بها،

☀ وأن ميّر عنهم من دخل في الإيمان بلسانه دون قلبه،

✽ وأن امتحنهم امتحانا، زاد به إيمانهم، وارتفعت به درجاتهم،  
✽ وأن وجههم إلى أشرف البيوت، وأجلها.

\*\*\* صحيح البخاري

5999 - عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قَدِمَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ سَبِيًّا،  
فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبِيِّ قَدْ تَحَلَّبُ تَدْيَهَا تَسْقِي،  
إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبِيِّ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ،  
فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: «أَتُرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ»  
قُلْنَا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَيَّ أَنْ لَا تَطْرَحَهُ،  
فَقَالَ: «لَلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلِدِهَا» ( )

قَدْ زَرَى تَقَلَّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّينَاكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ

شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا

الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾

يقول الله لنيبه:

(سبي) أسرى من الصغار ذكورا وإناثا.

(تحلب ثديها) وفي نسخة (تحلب) أي سال منه الحليب.

(تسقي) حليبها للصبيان.

(طارحة) ملقية.

(أرحم) أكثر رحمة ورحمته تعالى إحسانه لعباده ودفعه النعمة والعذاب عنهم وعدم

مؤاخذتهم على ما كسبوا]



(قَدْ نَزَى تَقَلَّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ)

أي: كثرة تردده في جميع جهاته، شوقا وانتظارا لنزول الوحي باستقبال الكعبة،  
وقال:

( وَجْهَكَ )

و لم يقل: « بصرك » لزيادة اهتمامه، ولأن تقليب الوجه مستلزم لتقليب  
البصر.

( فَلَنُوَلِّيَنَّكَ )

أي: نوجهك لـولايتنا إياك،

( قَبْلَةَ تَرْضَاهَا )

أي: تحبها، وهي الكعبة، وفي هذا بيان لفضله وشرفه ﷺ  
حيث إن الله تعالى يسارع في رضاه، ثم صرح له باستقبالها فقال:

( قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ )

و الوجه: ما أقبل من بدن الإنسان،

( وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ )

أي: من بر وبحر، وشرق وغرب، جنوب وشمال.

( قَوْلُوا وَجُوهَكُمْ شَطْرَهُ )

أي: جهته.

ففيها اشتراط استقبال الكعبة، للصلوات كلها، فرضها، ونفلها،  
وأنه إن أمكن استقبال عينها، وإلا فيكفي شطرها وجهتها،  
وأن الالتفات بالبدن، مبطل للصلاة، لأن الأمر بالشيء نهى عن ضده،  
\*\*\* وَلَا يُسْتَتْنَى مِنْ هَذَا شَيْءٌ، سِوَى النَّافِلَةِ فِي حَالِ السَّفَرِ،  
فإنه يُصَلِّيَهَا حَيْثُمَا تَوَجَّهَ قَالِبُهُ، وَقَلْبُهُ نَحْوَ الْكَعْبَةِ.  
وَكَذَا فِي حَالِ الْمَسَافَةِ فِي الْقِتَالِ يُصَلِّي عَلَى كُلِّ حَالٍ،  
وَكَذَا مَنْ جَهَلَ جِهَةَ الْقِبْلَةِ يُصَلِّي بِاجْتِهَادِهِ،  
وَإِنْ كَانَ مُخْطِئًا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا.

**(وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ)**

\*\*\*أي: واليهود -الَّذِينَ أَنْكَرُوا اسْتِقْبَالَكُمْ الْكَعْبَةَ وَأَنْصَرَفَكُمْ عَنْ بَيْتِ  
الْمَقْدِسِ

-يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيُوجِهُكَ إِلَيْهَا، بِمَا فِي كِتَابِهِمْ عَنْ أَنْبِيَائِهِمْ، مِنَ النَّعْتِ  
وَالصِّفَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأُمَّتِهِ،  
وَمَا خَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ وَشَرَفَهُ مِنَ الشَّرِيعَةِ الْكَامِلَةِ الْعَظِيمَةِ،  
وَلَكِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَتَكَاثَمُونَ ذَلِكَ بَيْنَهُمْ (( حَسَدًا وَكُفْرًا وَعِنَادًا ))  
وَلِهَذَا يُهَدِّدُهُمْ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: {وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ} .

-ولما ذكر تعالى فيما تقدم، المعترضين على ذلك من أهل الكتاب وغيرهم،  
وذكر جوابهم، ذكر هنا، أن:-

☆ أهل الكتاب والعلم منهم، يعلمون أنك في ذلك على حق وأمر،  
لما يجدونه في كتبهم، فيعترضون عنادًا وبغيا،

✽ فإذا كانوا يعلمون بخطئهم فلا تبالوا بذلك،

✽ فإن الإنسان إنما يغمه اعتراض من اعترض عليه،

إذا كان الأمر مشتبهًا، وكان ممكناً أن يكون معه صواب.

✽ فأما إذا تيقن أن الصواب والحق مع المعترض عليه، وأن المعترض معاند،

عارف بطلان قوله، فإنه لا محل للمبالاة،

بل ينتظر بالمعترض العقوبة الدنيوية والأخروية، فلهذا قال تعالى:

**(وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ)**

- بل يحفظ عليهم أعمالهم، ويجازيهم عليها،

- وفيها وعيد للمعترضين،

- وتسلية للمؤمنين.

وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ

وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَيْنَ آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ

مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾

يقول كان النبي ﷺ من كمال حرصه على هداية الخلق

يبدل لهم غاية ما يقدر عليه من النصيحة،

ويتلطف بهدائيتهم، ويحزن إذا لم ينقادوا لأمر الله،

✽ فكان من الكفار:-

من تمرد عن أمر الله،  
واستكبر على رسل الله،  
وترك الهدى، عمدا وعدوانا،  
☆ فمنهم: اليهود والنصارى، أهل الكتاب الأول،  
الذين كفروا بمحمد ﷺ عن يقين، لا عن جهل،  
فلهذا أخبره الله تعالى

**(وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ)**

أي: بكل برهان ودليل يوضح قولك ويبين ما تدعو إليه،

**(مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ<sup>ع</sup>)**

أي: ما تبعوك، لأن اتباع القبلة، دليل على اتباعه،  
ولأن السبب هو شأن القبلة، وإنما كان الأمر كذلك، لأنهم معاندون،  
عرفوا الحق وتـركوه،  
- فالآيات إنما تفيده ويتنفع بها من يتطلب الحق، وهو مشتبه عليه،  
فتوضح له الآيات البينات،  
- وأما من جزم بعدم اتباع الحق، فلا حيلة فيه.

**(وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعِ قِبْلَةٍ بَعْضٍ)**

- وأيضا فإن اختلافهم فيما بينهم، حاصل، وبعضهم غير تابع قبلة بعض،  
فليس بغريب منهم مع ذلك أن لا يتبعوا قبلتك يا محمد،

وهم الأعداء حقيقة الحسدة،

\*\*\* إِبْرَارٌ عَنْ شِدَّةِ مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ ﷺ لِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ،  
وَأَنَّهُ كَمَا هُمْ مُسْتَمْسِكُونَ بِأَرْأَيْهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ،

فَهُوَ أَيْضًا مُسْتَمْسِكٌ بِأَمْرِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ مَرْضَاتِهِ،  
وَأَنَّهُ لَا يَتَّبِعُ أَهْوَاءَهُمْ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ،

وَمَا كَانَ مُتَوَجِّهًا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؛

لَأَنَّهَا قِبْلَةُ الْيَهُودِ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى .

ثُمَّ حَذَّرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ مَخَالَفَةِ الْحَقِّ الَّذِي يَعْلَمُهُ الْعَالِمُ إِلَى الْهَوَى؛  
فَإِنَّ الْعَالِمَ الْحُجَّةَ عَلَيْهِ أَقْوَمُ مِنْ غَيْرِهِ.

وَلِهَذَا قَالَ مُخَاطَبًا لِلرَّسُولِ، وَالْمُرَادُ الْأُمَّةُ:

{وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ

قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ

الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ } [البقرة: 145] .

(وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ )

أبلغ من قوله: « وَلَا تَتَّبِعْ » لأن ذلك يتضمن أنه ﷺ اتصف بمخالفتهم،

فلا يمكن وقوع ذلك منه،

ولم يقل: « ولو أتوا بكل آية » لأنهم لا دليل لهم على قولهم.

—وكذلك إذا تبين الحق بأدلته اليقينية،

لم يلزم الإتيان بأجوبة الشبه الواردة عليه، لأنها لا حد لها،

ولأنه يعلم بطلانها، للعلم بأن كل ما نافي الحق الواضح، فهو باطل،

فيكون حل الشبه من باب التبرع.

**(وَلَيْنَ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ)**

إنما قال: « أهواءهم » ولم يقل « دينهم » لأن ما هم عليه مجرد أهوية نفس، حتى هم في قلوبهم يعلمون أنه ليس بدين، ومن ترك الدين، اتبع الهوى ولا محالة، قال تعالى:

**﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عَمَلِهِ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ**

**بَصَرِهِ غِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: 23]**

**(مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ)**

بأنك على الحق، وهم على الباطل،

**(إِنَّكَ إِذَا)**

أي: إن اتبعتهم، فهذا احتراز، لثلا تنفصل هذه الجملة عما قبلها، ولو في الأفهام،

**(لَمِنَ الظَّالِمِينَ)**

أي: داخل فيهم، ومندرج في جملتهم، وأي ظلم أعظم، من ظلم، من علم الحق والباطل، فأثر الباطل على الحق، وهذا وإن كان الخطاب له ﷺ فإن أمته داخله في ذلك،

☆ وأيضا، فإذا كان هو ﷺ لو فعل ذلك - وحاشاه - صار ظالما

مع علو مرتبته، وكثرة حسناته فغيره من باب أولى وأحرى.

### \* من موقع الاسلام سؤال و جواب

<http://islamqa.info/ar/115825>

وأما الذين قبلتهم المشرق باستمرار :

فهم طوائف من النصارى ! وليسوا المسلمين .

قال الله تعالى : ( وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا

أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا

جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ) البقرة/ 145 .

قال الإمام الطبري رحمه الله :

وأما قوله : ( وما أنت بتابع قبلتهم ) ، يقول :

وما لك من سبيل يا محمد إلى اتباع قبلتهم ،

وذلك أن اليهود تستقبل بيت المقدس بصلاتها ،

وأن النصارى تستقبل المشرق ———— رق !

فأنتى يكون لك السبيل إلى اتباع قبلتهم مع اختلاف وجوها ؟

يقول : فالزم قبلتك التي أمرت بالتوجه إليها ،

ودع عنك ما تقوله اليهود والنصارى ، وتدعوك إليه من قبلتهم واستقبالها .

" تفسير الطبري " ( 3 / 185 ) .

وذكر ابن قدامة في " المغني " ( 1 / 492 )

أن النصارى يستقبلون جهة المشرق ، واستقبال النصارى جهة المشرق هو

من تحريفهم لدينهم ، ومخالفتهم للمسيح والإنجيل .

قال الشيخ صالح بن الحسين الجعفري الهاشمي :

" فضيحة أخرى : النصارى يصلون إلى مشرق الشمس

، ويتخذونها قبلتهم ، وقد كان المسيح عليه السلام طول مقامه يصلي إلى  
 قبلة " بيت المقدس " قبلة موسى بن عمران ، والأنبياء ،  
 وقال : " إني لم آتٍ لأنقض التوراة ، بل لأكملها ،  
 وأن السماء والأرض ليزولان ، وكلمة واحدة من الناسوت لا تزول حتى يتم  
 بأسره " ، غير أن النصارى خالفوا المسيح ، والأنبياء ،  
 واعتذروا في توجيههم إلى المشرق :  
 بأنه الجهة التي صُلب إليها ربهم ، وقتل فيها إلههم ، فيقال لهم :  
 يا حمقى ! لو كنتم أولي ألباب لمقتّم جهة الشرق ، وأبغضتموها ،  
 وتطيرتم بها ، ورفضتموها في أمور العادة ، فضلاً عن العبادة ؛  
 وذلك لأنها الجهة التي لم يصل إليها المسيح ، ولا شهدت لها الأناجيل ،  
 ولا صالّى إليها نبي من الأنبياء البتة ،  
 ثم إنها الجهة التي تشئت بها شملكم ، وبددت كلمتكم ، وفرقت جموعكم  
 فتعظيمكم لهذه الجهة التي هي أشأم الجهات عليكم :  
 أمر يقتضي السخرية بكم ، والإزراء عليكم ،  
 وكان الأولى بكم أن لا تتحولوا عن جهة بيت المقدس لقول الإنجيل  
 ( ) (قال يوحنا: "وقف يسوع على بئر من آبار السامرة ( )  
 فقالت: له امرأة من نسل يعقوب:  
 إن آبائنا سجدوا في هذا الجبل وأنتم تقولون إنه أورشليم!؟

٥ تخجيل من حرّف التوراة والإنجيل "

٥ والسامرة: اسم عبراني معناه: مركز الحارس، وهي اسم المملكة الشمالية مملكة إسرائيل التي أقامتها الأسباط العشرة من بني إسرائيل، ويضم إقليم السامرة وسط فلسطين ويقع بين الجليل في الشمال واليهودية في الجنوب



فقال لها يسوع: أنتم تسجدون لمن لا تعلمون ونحن نسجد لمن نعلم".  
قلت: هذا يوحنا التلميذ حبيب المسيح يشهد على المسيح أنه معترف برّب  
لا تجزئه العبادة لغيره ولا تنبغي الربوبية لسواه سبحانه،  
ولو كان الأمر على ما يهتف به النصارى لأرشدنا،  
وقال: اضربي عن معتقد أسلافك العواة واسجدي لي ولأبي وروح القدس،  
فإني ثلث الإله، كلا ولكنه أخبره أنه عبد مذلّل تحت رقّ العبودية  
وأنه يسجد لله مستحق الربوبية.  
وأعلم أن المسيح قد كان يصلي إلى أورشليم ( ) وهي البيت المقدس قبله  
الأنبياء قبله،

ولم يزل يتوجه إليها مدة مقامه إلى حين رفع  
فكان مما أحدث النصارى بعده الصلاة إلى جهة الشرق،  
وتركوا القبلة التي كان المسيح يتوجه إليها.  
فإذا عيب عليهم ذلك اعتذروا بأن صاحبهم صلب إلى تلك الجهة،  
قالوا: فتعين علينا التوجه إلى حيث صلب ( ).  
فيقال لهم: أرايتم لو صلب إلى جهة المغرب أوصلب منكساً إلى أسفل ماذا  
كنتم تصنعون؟

وإذ تركتم قبلة المسيح والأنبياء وحسن عندكم خلافه فهلا توجهتم إلى  
الناصرّة ( ) التي هي بلد ربكم أو إلى مصر التي هرب إليها بزعمكم  
خوف القتل، وتعلقتم بشبهتين من الإنجيل: إحداهما: قوله:

---

أورشليم: معناه: أساس السلام، وكانت تسمى ييوس وأريئيل، وأما بالعربية فتسمى بيت المقدس والقدس الشريف، والقدس. ر:  
قاموس ص 129. وهي مدينة مقدسة منذ عصر إبراهيم عليه السلام. قال تعالى: {وَنَجِّينَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا  
لِلْعَالَمِينَ} . [سورة الأنبياء، الآية: 71] . قال أبي بن كعب، وقتادة وغيرهما: إنها أرض الشام. ر: تفسير ابن كثير 194/3.  
ذكر ذلك القاضي عبد الجبار المعتزلي في كتابه: تثبيت دلائل النبوة 197/1، وابن القيم في: هداية الحيارى ص  
264.

"إنه كتب أن يدعى المسيح ناصرياً".(متي)

والأخرى قوله: "من مصر دعوت ابني".(متي)

فكيف تركتم هاتين الجهتين ولكم فيهما مستمسك وتوجهتم إلى جهة ارتضاها اليهود الملاحين للتكيد بالهكم كما زعمتم؟!.

ولو كنتم ذوي نظر وعبر لكانت هذه الجهة حريّة عندكم بالوقت

فإنها الجهة التي هلك فيها معبودكم وقبلت دم ربكم.أنتهى

-فهذا المسيح يشهد أنه ليس لله قبلة يصلي إليها إلا بيت المقدس ،

الذي هو أورشليم ، فأنتم أعرف ، وأعلم من المسيح بما يجب لله تعالى ؟

إننا لله وإنا إليه راجعون على عقولكم ، لقد رميتم فيها بدهية " انتهى .

---

الناصرية: اسم عبري ربما كان معناه: القضيبي أو المحروسة، وهي مدينة في الجليل في شمال فلسطين إليها ينسب المسيح يسوع الناصري كما ورد في الأناجيل، فهي قرية أمه، وفيها نشأ المسيح في صغره، وإليها ينسب الناصري ودينهم النصرانية. ر: قاموس ص 946، المنجد في الأعلام ص 704.

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ  
 الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ  
 وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلَاهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ  
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ  
 وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ  
 شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ  
 لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمَنَّيْ نِعْمَتِي  
 عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا  
 عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ  
 تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَأَذْكُرُوا أَنفُسَكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَتَأْتِيهَا  
 الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ  
 الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾

**(الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ<sup>ط</sup>)**

يخبر تعالى: أن أهل الكتاب قد تقرر عندهم،

وعرفوا أن محمدا رسول الله، وأن ما جاء به، حق وصدق، وتيقنوا ذلك،

كما تيقنوا أبناءهم بحيث لا يشتبهون عليهم بغيرهم، فمعرفتهم بمحمد ﷺ وصلت إلى حد لا يشكون فيه ولا يمترون،

**(وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ<sup>ط</sup>)**

ولكن فريقا منهم - وهم أكثرهم - الذين كفروا به،

كتموا هذه الشهادة مع تيقنها، وهم يعلمون

**(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ، مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)**

[البقرة:140]

وفي ضمن ذلك:-

1- تسلية للرسول والمؤمنين،

2- وتحذير له من شرهم وشبههم،

وفريق منهم لم يكتموا الحق وهم يعلمون،

فمنهم من آمن به

ومنهم من كفر به جهلا

فالعالم عليه :-

1- إظهار الحق، و تبيينه و تزيينه، بكل ما يقدر عليه من عبارة وبرهان ومثال، وغير ذلك،

2- وإبطال الباطل وتمييزه عن الحق، وتشيينه،

3- وتقيحه للنفوس، بكل طريق مؤد لذلك،

فهؤلاء الكاتمون، عكسوا الأمر،

فانعكست أحوالهم.

(الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ط)

أي: هذا الحق الذي هو أحق أن يسمى حقا من كل شيء،

لما اشتمل عليه من:-

1-المطالب العالية،

2- والأوامر الحسنة،

3- وتزكية النفوس وحثها على تحصيل مصالحها، ودفع مفسادها،

لصدوره من ربك،

الذي من جملة تربيته لك أن أنزل عليك هذا القرآن الذي فيه

(( تربية العقول و النفوس \_\_\_\_\_ و جميع المصالح )))

(فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ)

أي: فلا يحصل لك أدنى شك وريبة فيه،

بل تفكر فيه وتأمل، حتى تصل بذلك إلى اليقين،

لأن التفكير فيه لا محالة، دافع للشك، موصل لليقين.

**وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّئُهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۗ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ**

**اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾**

أي: كل أهل دين وملة، له وجهة يتوجه إليها في عبادته

وليس الشأن في استقبال القبلة،

فإنه من الشرائع التي تتغير بها الأزمنة والأحوال،

ويدخلها النسخ والنقل، من جهة إلى جهة،

ولكن الشأن كل الشأن، في امتثال طاعة الله، والتقرب إليه، وطلب الزلفى

عنده،

((فهذا هو عنوان السعادة ومنشور الولاة))

وهو الذي إذا لم تتصف به النفوس، حصلت لها خسارة الدنيا والآخرة،

كما أنها إذا اتصفت به فهي الرابحة على الحقيقة،

وهذا أمر متفق عليه في جميع الشرائع،

وهو الذي خلق الله له الخلق، وأمرهم به.

**(فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ)**

والأمر بالاستباق إلى الخيرات قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات،

فإن الاستباق إليها، يتضمن :-

**1- فعله**،

2- وتكميلها،

3- وإيقاعها على أكمل الأحوال،

4- والمبـادرة إليها،

ومن سبق في الدنيا إلى الخيرات، فهو السابق في الآخرة إلى الجنات،  
فالسابقون أعلى الخلق درجة،

والخيرات تشمل جميع الفرائض والنوافل، من صلاة، وصيام، وزكوات وحج،  
عمرة، وجهاد، ونفع متعدد وقاصر.

ولما كان أقوى ما يحث النفوس على المسارعة إلى الخير، وينشطها،  
ما رتب الله عليها من الثواب قال:

**(أَيُّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)**

فيجمعكم ليوم القيامة بقدرته، فيجازي كل عامل بعمله

**لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى [النجم:31]**

ويستدل بهذه الآية الشريفة على الإتيان بكل فضيلة يتصف بها العمل:-

1- كالصلاة في أول وقتها،

2- والمبادرة إلى إبراء الذمة، من الصيام، والحج، والعمرة، وإخراج الزكاة،

3- والإتيان بسنن العبادات وآدابها،

فلله ما أجمعها وأنفعها من آية

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ <sup>ط</sup>

وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ

الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ

إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأْتِيَنَّكُمْ نِعْمَتِي وَلَعَلَّكُمْ

تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾

\*\*\* هَذَا أَمْرٌ ثَالِثٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِاسْتِقْبَالِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، مِنْ جَمِيعِ أَقْطَارِ  
الْأَرْضِ.

وَقَدْ اخْتَلَفُوا فِي حُكْمَةِ هَذَا التَّكْرَارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقِيلَ:

1- تَأْكِيدٌ لِأَنَّهُ أَوَّلُ نَاسِخٍ وَقَعَ فِي الْإِسْلَامِ عَلَى مَا نَصَّ عَلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ،

2- وَقِيلَ: بَلْ هُوَ مِنْهُ زَلٌّ عَلَى أَحْوَالِ،

فَالأَمْرُ الْأَوَّلُ لِمَنْ هُوَ مُشَاهِدُ الْكَعْبَةِ، وَالثَّانِي لِمَنْ هُوَ فِي مَكَّةَ غَائِبًا عَنْهَا،

3- وَالثَّالِثُ لِمَنْ هُوَ فِي بَقِيَّةِ الْبُلْدَانِ،

(وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ)

في أسفارك وغيرها، وهذا للعموم،

(فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ <sup>ط</sup>)

أي: جهته.

ثم خاطب الأمة عموماً فقال:

(وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) وقال:



**(وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ)**

أكده بـ « **إِنْ** » واللام، لئلا يقع لأحد فيه أدنى شبهة، ولئلا يظن أنه على سبيل التشهبي لا الامثال.

**(وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ).**

بل هو مطلع عليكم في جميع أحوالكم، فتأدبوا معه، وراقبوه بامثال أوامره، واجتناب نواهيه، فإن أعمالكم غير مغفول عنها، بل مجازون عليها أتم الجزاء، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

وقال هنا:

**(لِتَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ)**

أي: شرعنا لكم استقبال الكعبة المشرفة،

لينقطع عنكم احتجاج الناس من أهل الكتاب والمشركين،  
- فإنه لو بقي مستقبلا بيت المقدس، لتوجهت عليه الحجة،  
فإن أهل الكتاب، يجدون في كتابهم أن قبلته المستقرة،  
((( هي الكعبة البيت الحرام )))،

- والمشركون يرون أن من مفاخرهم، هذا البيت العظيم، وأنه من ملة إبراهيم،  
وأنه إذا لم يستقبله محمد ﷺ، توجهت نحوه حججهم،  
وقالوا: كيف يدعي أنه على ملة إبراهيم، وهو من ذريته،

وقد ترك استقبال قبلته؟

فباستقبال الكعبة قامت الحجة على أهل الكتاب والمشركين، وانقطعت حججهم عليه.

**(إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ)**

أي: من احتج منهم بحجة، هو ظالم فيها، وليس لها مستند إلا اتباع الهوى والظلم، فهذا لا سبيل إلى إقناعه والاحتجاج عليه، وكذلك لا معنى لجعل الشبهة التي يوردونها على سبيل الاحتجاج محلا يؤبه لها، ولا يلقي لها بال، فلهذا قال تعالى:

**(فَلَا تَخْشَوْهُمْ)**

لأن حججهم باطلة، والباطل كاسمه مخذول، مخذول صاحبه، وهذا بخلاف صاحب الحق، فإن للحق صولة وعزا، يوجب خشية من هو معه،

**(وَأَخْشَوْنِي)** وأمر تعالى بخشيته، التي هي أصل كل خير،

فمن لم يخش الله، لم ينكف عن معصيته، ولم يمتثل أمره. وكان صرف المسلمين إلى الكعبة، مما حصلت فيه فتنة كبيرة، أشاعها أهل الكتاب، والمنافقون، والمشركون، وأكثروا فيها من الكلام والشبه،

فلهذا بسطها الله تعالى، وبينها أكمل بيان، وأكدها بأنواع من التأكيدات، التي

تضمنتها هذه الآيات منها:

1- الأمر بها، ثلاث مرات، ((مع كفاية المرة الواحدة))،

2- ومنها: أن المعهود، أن الأمر،

☀️ إما أن يكون للرسول، فتدخل فيه الأمة تبعاً،

☀️ أو للأمة عموماً،

وفي هذه الآية أمر فيها الرسول بالخصوص في قوله:

( **قَوْلٌ وَجْهَكَ** ) والأمة عموماً في قوله:

( **قَوْلُوا وَجُوهَكُمْ** ) .

3- ومنها: أنه رد فيه جميع الاحتجاجات الباطلة،

التي أوردها أهل العناد وأبطلها شبهة شبهة، كما تقدم توضيحها،

4- ومنها: أنه قطع الأطماع من اتباع الرسول قبله أهل الكتاب،

5- ومنها قوله: ( **وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ** )

فمجرد إخبار الصادق العظيم كاف شاف، ولكن مع هذا قال:

( **وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ** ) .

6- ومنها: أنه أخبر - وهو العالم بالخفيات - أن أهل الكتاب متقرر عندهم،

صحة هذا الأمر، ولكنهم يكتمون هذه الشهادة مع العلم.

☀️ ولما كان توليته لنا إلى استقبال القبلة، نعمة عظيمة،

وكان لطفه بهذه الأمة ورحمته، لم يزل يتزايد،

وكلما شرع لهم شريعة، فهي نعمة عظيمة قال:

**(وَلَأْتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ) .**

فأصل النعمة، الهداية لدينه، بإرسال رسوله، وإنزال كتابه، ثم بعد ذلك، النعم المتممات لهذا الأصل، لا تعد كثرة، ولا تحصر، منذ بعث الله رسوله إلى أن قرب رحيله من الدنيا، وقد أعطاه الله من الأحوال والنعم، وأعطى أمته، ما أتم به نعمته عليه وعليهم، وأنزل الله عليه:

**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**

[المائدة:3]

فله الحمد على فضله، الذي لا يبلغ له عدا، فضلا عن القيام بشكره،

**(وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)**

\*\*\* إِلَى مَا صَلَّتْ عَنْهُ الْأُمَّمُ هَدَيْنَاكُمْ إِلَيْهِ، وَخَصَّصْنَاكُمْ بِهِ،  
وَلِهَذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ أَشْرَفَ الْأُمَّمِ وَأَفْضَلَهَا.

أي: تعلمون الحق، وتعملون به، فالله تبارك وتعالى - من رحمته - بالعباد،

1- قد يسر لهم أسباب الهداية غاية التيسير،

2- ونبههم على سلوك طرقها،

3- وبينها لهم أتم تبيين،

4- حتى إن من جملة ذلك أنه يقيض للحق، المعاندين له فيجادلون فيه،

فيتضح بذلك الحق، وتظهر آياته وأعلامه، ويتضح بطلان الباطل،

وأنه لا حقيقة له، ولولا قيامه في مقابلة الحق،  
 لربما لم يتبين حاله لأكثر الخلق، وبضدها تتبين الأشياء،  
 فلولا الليل، ما عرف فضل النهار،  
 ولولا القبيح، ما عرف فضل الحسن،  
 ولولا الظلمة ما عرف منفعة النور،  
 ولولا الباطل ما اتضح الحق اتضاحا ظاهرا، فلهذا الحمد على ذلك.

كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ  
 وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾  
 فَادْكُرُونِي أَدْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ﴿١٥٢﴾

( كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ )

يقول تعالى: إن إنعامنا عليكم باستقبال الكعبة وإتمامها بالشرائع والنعمة  
 المتممة، ليس ذلك ببدع من إحساننا، ولا بأوله،  
 بل أنعمنا عليكم بأصول النعم وتماماتها،  
 فأبلغها إرسالنا إليكم هذا الرسول الكريم منكم،  
 تعرفون نسبه وصدقه، وأمانته وكمالته ونصحه.

( يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا )

وهذا يعم الآيات القرآنية وغيرها،

فهو يتلو عليكم الآيات المبينة للحق من الباطل، والهدى من الضلال،  
التي دلتكم أولاً على توحيد الله وكماله،  
ثم على صدق رسوله، ووجوب الإيمان به،  
ثم على جميع ما أخبر به من المعاد والغيوب،  
حتى حصل لكم الهداية التامة، والعلم اليقيني.

### (وَيُزَكِّيْكُمْ )

أي: يطهر أخلاقكم ونفوسكم، بتربيتها على الأخلاق الجميلة،  
وتنزيها عن الأخلاق الرذيلة،  
وذلك كتزكيته من الشرك، إلى التوحيد  
ومن الرياء إلى الإخلاص،  
ومن الكذب إلى الصدق،  
ومن الخيانة إلى الأمانة،  
ومن الكبر إلى التواضع،  
ومن سوء الخلق إلى حسن الخلق،  
ومن التباغض والتهاجر والتقاطع، إلى التحاب والتواصل والتوادد،  
وغير ذلك من أنواع التزكية.

### (وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ)

أي: القرآن، ألفاظه ومعانيه،

## (وَالْحِكْمَةَ)

قيل: هي السنة،

وقيل: الحكمة، معرفة أسرار الشريعة والفقه فيها، وتنزيل الأمور منازلها.  
فيكون - على هذا - تعليم السنة داخلا في تعليم الكتاب،  
لأن السنة، تبين القرآن وتفسره، وتعبر عنه،

## (وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ)

لأنهم كانوا قبل بعثته، في ضلال مبين، لا علم ولا عمل،  
فكل علم أو عمل، نالته هذه الأمة فعلى يده ﷺ، وبسببه كان،  
فهذه النعم هي أصول النعم على الإطلاق،  
ولهي أكبر نعم ينعم بها على عباده،  
فوظيفتهم شكر الله عليها والقيام بها؛ فلهذا قال تعالى:

## (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ)

فأمر تعالى بذكره، ووعد عليه أفضل جزاء،  
وهو ذكره لمن ذكره، كما قال تعالى على لسان رسوله:

صحيح البخاري

7405 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ "يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:  
أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي،  
فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي،  
وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ،

وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا،  
وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا،  
وَإِنْ أَتَانِي يَمْسِيهِ أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً "

- وذكر الله تعالى، أفضله، ما تواطأ عليه القلب واللسان،

وهو الذكر الذي يثمر معرفة الله ومحبته، وكثرة ثوابه،

والذكر هو رأس الشكر، فلهذا أمر به خصوصاً، ثم من بعده أمر بالشكر  
عموماً فقال:

**(وَأَشْكُرُوا لِي)**

أي: على ما أنعمت عليكم بهذه النعم، ودفعت عنكم صنوف النقم،

والشكر يكون:-

1- بالقلب، إقراراً بالنعم، واعتراضاً،

2- وباللسان، ذكراً وثناءً،

3- وبالجوارح، طاعة لله وانقياداً لأمره، واجتناباً لنهيه،

فالشكر فيه بقاء النعمة الموجودة، وزيادة في النعم المفقودة، قال تعالى:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾

[إبراهيم:7]

وفي الإتيان بالأمر بالشكر بعد النعم الدينية، من:-

1- العلم

2- و تزكية الأخلاق



### 3- والتوفيق للأعمال،

بيان أنها أكبر النعم، بل هي النعم الحقيقية التي تدوم،

إذا زال غيرها وأنه ينبغي لمن وفقوا لعلم أو عمل، أن يشكروا الله على ذلك:-

1- ليزيدهم من فضله،

2- وليندفع عنهم الإعجاب، فيشتغلوا بالشكر.

ولما كان الشكر ضده الكفر، نهى عن ضده فقال:

**(وَلَا تَكْفُرُونَ)**

المراد بالكفر هاهنا :-

1- ما يقابل الشكر، فهو كفر النعم وجحدها، وعدم القيام بها،

2- ويحتمل أن يكون المعنى عاما، فيكون الكفر أنواعا كثيرة،

أعظمه الكفر بالله، ثم أنواع المعاصي،

على اختلاف أنواعها وأجناسها، من الشرك، فما دونه.

**يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**

**(يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا)**

أمر الله تعالى المؤمنين، بالاستعانة على أمورهم الدينية والدنيوية

**(بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ)**

فالصبر هو: حبس النفس وكفها عما تكره،

فهو ثلاثة أقسام:

- 1- صبرها على طاعة الله حتى تؤديها،
  - 2- وعن معصية الله حتى تتركها،
  - 3- وعلى أقدار الله المؤلمة فلا تتسخطها،
- فالصبر هو المعونة العظيمة على كل أمر،  
✽ فلا سبيل لغير الصابر، أن يدرك مطلوبه،  
خصوصا الطاعات الشاقة المستمرة، فإنها مفتقرة أشد الافتقار إلى:-

- 1- تحمّل الصبر
  - 2- وتجرع المرارة الشاقة،
- ← فإذا لازم صاحبها الصبر، فاز بالنجاح،  
← وإن رده المكروه والمشقة عن الصبر والملازمة عليها، لم يدرك شيئاً،  
وحصل على الحرمان،  
✽ وكذلك المعصية التي تشتد دواعي النفس ونوازعها إليها وهي في محل  
قدرة العبد،

فهذه لا يمكن تركها إلا:-

- 1- بصبر عظيم،
  - 2- وكف لدواعي قلبه ونوازعها لله تعالى،
  - 3- واستعانة بالله على العصمة منها،
- فإنها من الفتن الكبار. وكذلك البلاء الشاق، خصوصاً إن استمر،

فهذا تضعف معه القوى النفسانية والجسدية، ويوجد مقتضاها، وهو التسخط،

إن لم يقاومها صاحبها :-

- 1- بالصبر لله،
- 2- والتوكل عليه،
- 3- واللجأ إليه،
- 4- والافتقار على الدوام.

فعلت أن الصبر محتاج إليه العبد، بل مضطر إليه في كل حالة من أحواله،

\*\*\* صحيح مسلم

(2999) عَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:  
«عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ،  
إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ،  
وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» ( )  
فلهذا أمر الله تعالى به، وأخبر أنه

**(إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)**

أي: مع من كان الصبر لهم خلقا، وصفة، ومملكة بمعونته وتوفيقه، وتسديده،

1- فهانت عليهم بذلك، المشاق والمكاره،

2- وسهل عليهم كل عظيم،

3- وزالت عنهم كل صعوبة،

وهذه معية خاصة:-

(( تقتضي محبته ومعونته، ونصره وقـربه ))

وهذه منقبة عظيمة للصابرين،

فلو لم يكن للصابرين فضيلة إلا أنهم فازوا بهذه المعية من الله،

لكفى بها فضلا وشرفا،

وأما المعية العامة:-

فهي معية العلم والقـدرة، كما في قوله تعالى:

{ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ } [الحديد: 4]

وهذه عامة للخلق.

وأمر تعالى بالاستعانة بالصلاة لأن الصلاة هي:-

1- عماد الدين،

2- ونور المؤمنين،

3- وهي الصلة بين العبد وبين ربه،

- فإذا كانت صلاة العبد صلاة كاملة، مجتمعاً فيها ما يلزم فيها، وما يسن،

وحصل فيها حضور القلب، الذي هو لبها فصار العبد إذا دخل فيها،

\*استشعر دخوله على ربه، ووقوفه بين يديه، موقف العبد الخادم المتأدب،

\*مستحضراً لكل ما يقوله وما يفعله،

\*مستغرقاً بمناجاة ربه ودعائه

(( لا جرم أن هذه الصلاة، من أكبر المعونة على جميع الأمور ))

فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر،  
ولأن هذا الحضور الذي يكون في الصلاة،  
يوجب للعبد في قلبه، وصدقا، وداعيا يدعوه إلى:-

1- امتثال أوامر ربه

2- واجتناب نواهيه،

هذه هي الصلاة التي أمر الله أن نستعين بها على كل شيء.

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ

وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾

أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾

﴿١٥٨﴾ إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ

أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا

أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكُتُبِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ

وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ

وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ

لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَأَيْكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ

وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ اللَّهُ وَحْدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾

\*\*\* صحيح مسلم

(1887) عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ:  
{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ }

[آل عمران: 169]

قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ:

«أَرَوَاهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرِ،

لَهَا قَنَادِيلٌ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ،

تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ،

ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ،

فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ أَطْلَاعَةً»،

فَقَالَ: " هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟

قَالُوا: أَيُّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا،

فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ،

فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُزَكَّوْا مِنْ أَنْ يُسَأَلُوا،

قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا

حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى،

فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرَكُّوْا "

○ لما ذكر تبارك وتعالى، الأمر بالاستعانة بالصبر على جميع الأمور:-

ذكر نموذجاً مما يستعان بالصبر عليه:-

(( ( وهو الجهاد في سبيله، ))))

1- وهو أفضل الطاعات البدنية،

2- وأشقها على النفوس، لمشتقته في نفسه،

ولكونه مؤدياً للقتل، وعدم الحياة،

التي إنما يرغب الراغبون في هذه الدنيا لحصول الحياة ولوازمها،  
فكل ما يتصرفون به، فإنه سعى لها، ودفع لما يضادها.

﴿ومن المعلوم أن المحبوب لا يتركه العاقل إلا لمحبوب أعلى منه وأعظم،  
فأخبر تعالى: أن من قتل في سبيله، بأن قاتل في سبيل الله، لتكون كلمة الله  
هي العليا، ودينه الظاهر، لا لغير ذلك من الأغراض،  
فإنه لم تفته الحياة المحبوبة، بل حصل له حياة أعظم وأكمل،  
مما تظنون وتحسبون. فالشهداء (( جزاء ))

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾  
فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا  
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ

لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ [آل عمران]

فهل أعظم من هذه الحياة المتضمنة للقرب من الله تعالى،  
وتمتعهم برزقه البدني في المأكولات والمشروبات اللذيذة، والرزق الروحي،  
وهو الفرح، والاستبشار وزوال كل خوف وحزن،  
وهذه حياة برزخية أكمل من الحياة الدنيا،  
بل قد أخبر النبي ﷺ أن أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر  
ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها،  
وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش.



وفي هذه الآية، أعظم حث على الجهاد في سبيل الله،  
وملازمة الصبر عليه،

فلو شعر العباد بما للمقتولين في سبيل الله من الثواب لم يتخلف عنه أحد،  
ولكن عدم العلم اليقيني التام، هو الذي فتر العزائم،

و زاد نوم النائم،

وأفات الأجور العظيمة والغنائم،

لم لا يكون كذلك ((و الله يقول)):

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ

يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ

وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعْيِكُمُ الَّذِي

بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴿التوبة﴾

فوالله لو كان للإنسان ألف نفس، تذهب نفسا فنفسا في سبيل الله،

لم يكن عظيما في جانب هذا الأجر العظيم،

ولهذا لا يتمنى الشهداء بعدما عاينوا من ثواب الله وحسن جزائه

إلا أن يردوا إلى الدنيا، حتى يقتلوا في سبيله مرة بعد مرة.

وفي الآية، ((دليل على نعيم البرزخ وعذابه)) كما تكاثرت بذلك النصوص.

وَلَنْبَلُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ

وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾

أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾

أخبر تعالى أنه لا بد أن يتلي عباده بالمحن،

ليتبين الصادق من الكاذب،

والجائع من الصابر،

وهذه سنته تعالى في عباده؛

لأن السراء لو استمرت لأهل الإيمان، ولم يحصل معها محنة،

لحصل [الاختلاط الذي هو فساد]

وحكمة الله تقتضي ((تمييز أهل الخير من أهل الشر)).

هذه فائدة المحن،

❖ لا إزالة ما مع المؤمنين من الإيمان،

❖ ولا ردهم عن دينهم،

فما كان الله ليضيع إيمان المؤمنين، فأخبر في هذه الآية أنه سيبتلي عباده

(بشئٍ مِّنَ الْخَوْفِ)

من الأعداء

(وَالْجُوعِ)

أي: بشيء يسير منهما؛ لأنه لو ابتلاهم بالخوف كله، أو الجوع، لهلكوا،  
والمحن تمحص لا تهلك.

### (وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ)

وهذا يشمل جميع النقص المعتري للأموال من :-

جوائح سماوية،

وغرق،

وضياع،

وأخذ الظلمة للأموال من الملوك الظلمة،

وقطاع الطريق وغير ذلك.

### (وَالْأَنْفُسِ)

أي: ذهاب الأحاب من الأولاد، والأقارب، والأصحاب،

ومن أنواع الأمراض في بدن العبد، أو بدن من يحبه،

### (وَالشَّرَبِ)

أي: الحبوب، وثمار النخيل، والأشجار كلها، والخضر

ببرد، أو برد، أو حرق، أو آفة سماوية، من جراد ونحوه.

فهذه الأمور، لا بد أن تقع، لأن العليم الخبير، أخبر بها، فوقعت كما أخبر،

فإذا وقعت انقسم الناس قسمين: -

### 1- جازعين

2- وصابرين،

☆ فالجاءع، حصلت له المصيبتان:-

- 1- فوات المحبوب، وهو وجود هذه المصيبة،
- 2- وفوات ما هو أعظم منها، وهو الأجر بامثال أمر الله بالصبر،



- 1- ففاز بالخسارة والحرمان،
  - 2- ونقص ما معه من الإيمان،
  - 3- وفاته الصبر والرضا والشكران،
  - 4- وحصل له السخط الدال على شدة النقصان.
- ☆ وأما من وفقه الله للصبر عند وجود هذه المصائب، فحبس نفسه عن التسخط، قولاً وفعلاً واحتسب أجرها عند الله، وعلم أن ما يدركه من الأجر بصبره أعظم من المصيبة التي حصلت له، بل المصيبة تكون نعمة في حقه، لأنها صارت طريقاً لحصول ما هو خير له وأنفع منها، فقد امتثل أمر الله، وفاز بالثواب، فلماذا قال تعالى:

(وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)

أي: بشرهم بأنهم يوفون أجرهم بغير حساب.  
فالصابرين، هم الذين فازوا بالبشارة العظيمة، والمنحة الجسيمة، ثم وصفهم بقوله:

(الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)

وهي كل ما يؤلم القلب أو البدن أو كليهما مما تقدم ذكره.

(قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)

\*\*\*تسلّوا بقولهم هذا عما أصابهم

أي: مملوكون لله، مدبرون تحت أمره وتصريفه،

فليس لنا من أنفسنا وأموالنا شيء،

☆ فإذا ابتلانا بشيء منها، فقد تصرف أرحم الراحمين، بمماليكهم وأموالهم،

1- فلا اعتراض عليه، بل من كمال عبودية العبد، علمه،

بأن وقوع البلية من المالك الحكيم، الذي أرحم بعبدته من نفسه،

2- فيوجب له ذلك، الرضا عن الله،

3- والشكر له على تدبيره، لما هو خير لعبدته، وإن لم يشعر بذلك،

ومع أننا مملوكون لله، فإننا إليه راجعون يوم المعاد،

فمجاز كلّ عامل بعمله،

فإن صبرنا واحتسبنا ← وجدنا أجرنا موفورا عنده،

وإن جزعنا وسخطنا ← لم يكن حظنا إلا السخط وفوات الأجر،

فكون العبد لله، وراجع إليه، من أقوى أسباب الصبر.

(أُولَئِكَ)

الموصوفون بالصبر المذكور

(عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ)

أي: ثناء وتنويه بحالهم

(وَرَحْمَةً)

عظيمة، ومن رحمته إياهم، أن وفقهم للصبر الذي ينالون به كمال الأجر،  
\*\*\*ثناء من الله عليهم  
\*\*\*أمنة من العذاب

(وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)

الذين عرفوا الحق، وهو في هذا الموضع، علمهم بأنهم لله،  
وأنهم إليه راجعون، وعملوا به وهو هنا صبرهم لله.  
ودلت هذه الآية، على أن من لم يصبر، فله ضد ما لهم،  
فحصل له الذم من الله، والعقوبة، والضلال والخسار،  
فما أعظم الفرق بين الفريقين  
وما أقل تعب الصابرين، وأعظم عناء الجازعين،  
فقد اشتملت هاتان الآيتان على:-

- 1- توطين النفوس على المصائب قبل وقوعها، لتخف وتسهل، إذا وقعت،
- 2- وبيان ما تقابل به، إذا وقعت، وهو الصبر،
- 3- وبيان ما يعين على الصبر،

4-وما للصابر من الأجر، ويعلم حال غير الصابر، بـضد حال الصابر.  
5-وأن هذا الابتلاء والامتحان، سنة الله التي قد خلت،

ولن تجد لسنة الله تبديلا

6-وبيان أنواع المصائب.

\*\*\*{وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ:

نِعْمَ الْعِـ\_\_\_\_\_ذَلَانَ  
وَنِعِمَّتِ الْعِـ\_\_\_\_\_لَاوَةُ

{أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ} فَهَذَانِ الْعَدْلَانِ

{وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} فَهَذِهِ الْعِلَاوَةُ،

وَهِيَ مَا تُوَضَّعُ بَيْنَ الْعَدْلَيْنِ، وَهِيَ زِيَادَةٌ فِي الْحِمْلِ  
وَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ، أُعْطُوا ثَوَابَهُمْ وَزِيدُوا أَيْضًا.

\*\*صحيح مسلم

(918) عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: " مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ:

{إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [البقرة: 156]،

اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلَفَ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا "،  
قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟

أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا،  
فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،

قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ،  
فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ،

فَقَالَ: «أَمَّا ابْنَتُهَا فَندَعُو اللَّهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا،  
وَأَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ» ( )

ما أمره الله) أي في ضمن مدح الصابرين بقوله في سورة البقرة  
{الذين إذا أصابتهم مصيبة} الخ فإن كل خصلة ممدوحة في الكتاب الكريم تتضمن  
الأمر بها كما أن المذمومة فيه تقتضي النهي عنها  
(اللهم أجرني) كذا بهمزة واحدة وهو أمر من أجره الله إذا أصابه فهمزة الوصل  
المجلوبة لصيغة الأمر أسقطت كما أسقطت في نحو فأتنا كراهة توالي المثلين وبابه  
نصر وضرب فيجوز في الجيم الضم والكسر والأول أكثر  
قال النووي قال القاضي يقال أجرني بالقصر والمد حكاهما صاحب الأفعال  
وقال الأصمعي وأكثر أهل اللغة هو مقصور لا يمد ومعنى أجره الله أعطاه أجره  
وجزاء صبره وهمه في مصيبتة

(وأخلف لي) هو بقطع الهمزة وكسر اللام  
قال أهل اللغة يقال لمن ذهب له مال أو ولد أو قريب أو شيء يتوقع حصول مثله  
أخلف الله عليك أي رد عليك مثله فإن ذهب مالا يتوقع مثله بأن ذهب والد أو عم  
أو أخ لمن لاجد له ولا والد له قيل له خلف الله عليك بغير ألف كأن الله خليفة منه  
عليك

(أي المسلمين خير من أبي سلمة)

استعظام منها لشأن زوجها وتعجب من أن يكن لها خلف خير منه  
(أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ) أي هو أول أهل بيت هاجر مع عياله فهو أول  
من هاجر بأهله إلى أرض الحبشة ثم المدينة  
وكان أخا النبي ﷺ من الرضاعة وابن عمته  
(وأنا غيور) هو فعول من الغيرة وهي الحمية والأنفة  
تكون للرجل على امرأته ولها عليه يقال رجل غيور وامرأة غيور بلا هاء لأن فعولا  
يشترك فيه الذكر والأنثى  
قال النووي يقال امرأة غیری وغيور ورجل غيور وغيران



---

وقد جاء فعول في صفات المؤنث كثيرا كقولهم امرأة عروس وعروب وضحوك  
لكثيرة الضحك وعقبة كؤود وأرض صعود وهبوط وحدور وأشباهها  
(يذهب بالغيرة) يقال أذهب الله الشيء وذهب به كقوله تعالى ذهب الله بنورهم]

❖ إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ

أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلَيْهِ ﴿١٥٨﴾

\*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

صحيح البخاري

1643 - عن سَأَلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقُلْتُ لَهَا: أَرَأَيْتِ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى:

{إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ

يَطُوفَ بِهِمَا} [البقرة: 158]،

فَوَاللَّهِ مَا عَلَى أَحَدٍ جُنَاحٌ أَنْ لَا يَطُوفَ بِالصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ،

قَالَتْ: بِئْسَ مَا قُلْتُ يَا ابْنَ أُخْتِي، إِنَّ هَذِهِ لَوْ كَانَتْ كَمَا أَوْلَتْهَا عَلَيْهِ،

كَانَتْ: لَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَتَطَوَّفَ بِهِمَا، وَلَكِنَّهَا أُنزِلَتْ فِي الْأَنْصَارِ،

كَانُوا قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمُوا يَهْلُونَ لِمَنَاةَ الطَّاعِيَةِ،

الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا عِنْدَ الْمُشَلِّلِ،

فَكَانَ مَنْ أَهَلَ يَتَحَرَّجُ أَنْ يَطُوفَ بِالصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ،

فَلَمَّا أَسَلِمُوا، سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ،

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا نَتَحَرَّجُ أَنْ نَطُوفَ بَيْنَ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ،

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ} [البقرة: 158]. الْآيَةَ

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَقَدْ سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الطَّوْفَ بَيْنَهُمَا،

فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتْرَكَ الطَّوْفَ بَيْنَهُمَا»

ثُمَّ أَخْبَرْتُ أَبَا بَكْرَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

فَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَعِلْمٌ مَا كُنْتُ سَمِعْتُهُ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رِجَالًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ

يَذُكُّونَ: أَنَّ النَّاسَ، - إِلَّا مَنْ ذَكَرَتْ عَائِشَةُ - مِمَّنْ كَانَ يَهْلُ مَنَاةَ،

كَانُوا يَطُوفُونَ كُلَّهُمْ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ،  
فَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الطَّوَّافَ بِالْبَيْتِ،  
وَلَمْ يَذْكُرِ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ فِي الْقُرْآنِ،  
قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُنَّا نَطُوفُ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَإِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الطَّوَّافَ بِالْبَيْتِ  
فَلَمْ يَذْكُرِ الصَّفَا، فَهَلْ عَلَيْنَا مِنْ حَرَجٍ أَنْ نَطُوفَ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ؟  
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: { إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ } [البقرة: 158] الآيَةَ

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: «فَأَسْمَعُ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي الْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا،  
1- فِي الَّذِينَ كَانُوا يَتَحَرَّجُونَ أَنْ يَطُوفُوا بِالْجَاهِلِيَّةِ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ،  
2- وَالَّذِينَ يَطُوفُونَ ثُمَّ تَحَرَّجُوا أَنْ يَطُوفُوا بِهِمَا فِي الإِسْلَامِ،  
مِنْ أَجْلِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ بِالطَّوَّافِ بِالْبَيْتِ، وَلَمْ يَذْكُرِ الصَّفَا،  
حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ، بَعْدَ مَا ذَكَرَ الطَّوَّافَ بِالْبَيْتِ» ( )

(أرأيت قول الله تعالى) أخبريني عن مفهوم هذه الآية / البقرة 158 ./  
(شعائر الله)

أعلام مناسكه وطاعته جمع شعيرة وهي كل ما جعل علامة لطاعة الله تعالى.  
(جناح) إثم.

(يطوف بهما) يسعى بينهما.

(أولتها عليه) فسرتها عليه من الإباحة وأنه لا حرج في ترك السعي بينهما.  
(يهلون) يحجون.

(لمناة) الصنم الذي كانوا يذبحون عنده الذبائح.

(الطاغية) من الطغيان وهو اسم لكل باطل.

(المشلل) موضع قريب من الجحفة.

(يتحرج أن يطوف) لوجود الصنمين عندهما وهما إساف ونائلة وكان من أهل لمناة لا يسعى  
بين الصفا والمروة.

(سن) شرع.

(أبو بكر) بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام]

..... ثُمَّ رَجَعَ (ﷺ) إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا،  
فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ} [البقرة: 158]  
«أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ»

**(إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ)**

يخبر تعالى أن الصفا والمروة وهما معروفان

**(مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ)**

أي أعلام دينه الظاهرة، التي تعبد الله بها عباده،

وإذا كانا من شعائر الله، فقد أمر الله بتعظيم شعائره فقال:

{وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} [الحج: 32]

فدل مجموع النصين:-

1- أنهما من شعائر الله،

2- وأن تعظيم شعائره، من تقوى القلوب.

والتقوى واجبة على كل مكلف،

وذلك يدل على أن السعي بهما فرض لازم للحج والعمرة، كما عليه الجمهور،

ودلت عليه الأحاديث النبوية وفعله النبي (ﷺ) قال: «خذوا عني مناسككم»

**(فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا)**

- هذا دفع لوهم من توهم وتخرج من المسلمين عن الطواف بينهما،

لكونهما في الجاهلية تعبد عندهما الأصنام،  
فنفى تعالى الجناح لدفع هذا الوهم، لا لأنه غير لازم.  
-ودل تقييد نفي الجناح فيمن تطوف بهما في الحج والعمرة،  
أنه لا يتطوع بالسعي مفردا إلا مع انضمامه لحج أو عمرة،  
بخلاف الطواف بالبيت،

فإنه يشرع مع العمرة والحج، وهو عبادة مفردة.  
-فأما السعي والوقوف بعرفة ومزدلفة، ورمي الجمار فإنها تتبع النسك،  
فلو فعلت غير تابعة للنسك، كانت بدعة، لأن البدعة نوعان:-

- 1- نوع يتعبد لله بعبادة، لم يشرعها أصلا
- 2- ونوع يتعبد له بعبادة قد شرعها على صفة مخصوصة،  
فتفعل على غير تلك الصفة، وهذا منه.

وقوله: (وَمَنْ تَطَوَّعَ)

أي: فعل طاعة مخلصا بها لله تعالى

(حَيْرًا)

من حج وعمرة، وطواف، وصلاة، وصوم وغير ذلك  
فهو خير له فدل هذا، على أنه كلما ازداد العبد من طاعة الله،

ازداد خيره وكماله، ودرجته عند الله، لزيادة إيمانه.

ودل تقييد التطوع بالخير، أن من تطوع بالبدع، التي لم يشرعها الله ولا رسوله،

أنه :-

- 1- لا يحصل له إلا العناء،
- 2- وليس بخير له،
- 3- بل قد يكون شرا له إن كان متعمدا عالما بعدم مشروعية العمل.

**(فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ)**

\*\*\* يَثِيبُ عَلَى الْقَلِيلِ بِالْكَثِيرِ

الشاكر والشكور، من أسماء الله تعالى،

1- الذي يقبل من عباده اليسير من العمل،

2- ويجازيهم عليه، العظيم من الأجر،

الذي إذا قام عبده بأوامره، وامتل طاعته،

3- أعانه على ذلك،

4- وأثنى عليه ومدحه،

5- وجازاه في قلبه نورا وإيمانا وسعة،

6- وفي بدنه قوة ونشاطا،

7- وفي جميع أحواله زيادة بركة ونماء،

8- وفي أعماله زيادة توفيق.

ثم بعد ذلك، يقدم على الثواب الآجل عند ربه كاملا موفرا،

لم تنقصه هذه الأمور .

ومن شكره لعبده، أن من ترك شيئاً لله أعاضه الله خيراً منه،

ومن تقرب منه شبراً، تقرب منه ذراعاً،

ومن تقرب منه ذراعاً، تقرب منه باعاً،

ومن أتاه يمشي، أتاه هرولة،

ومن عامله، ربح عليه أضعافاً مضاعفة.

ومع أنه شاكر، فهو

**(عليمٌ)**

بمن يستحق الثواب الكامل، بحسب نيته وإيمانه وتقواه،

ممن ليس كذلك، عليم بأعمال العباد، فلا يضيعها،

بل يجدونها أوفر ما كانت، على حسب نياتهم التي اطع عليها العليم الحكيم.

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي

الْكِتَابِ ۗ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا

وَبَيَّنَّا فَأُولَٰئِكَ أَنُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا

وَهُمْ كُفَّارٌ ۗ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾

خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾

\*\*\* صحيح البخاري

118 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: " إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ،

وَلَوْلَا آيَاتَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُ حَدِيثًا،

ثُمَّ يَتْلُو {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى} [البقرة: 159]

إِلَى قَوْلِهِ {الرَّحِيمِ} [البقرة: 160]

إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ،  
وَإِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الْعَمَلُ فِي أَمْوَالِهِمْ،  
وَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَلْزِمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِشَبَعِ بَطْنِهِ، وَيَحْضُرُ مَا لَا يَحْضُرُونَ،  
وَيَحْفَظُ مَا لَا يَحْفَظُونَ" ( )

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا}

هذه الآية وإن كانت نازلة في أهل الكتاب وما كتموا من شأن  
الرسول ﷺ وصفاته،

فإن حكمها عام لكل من اتصف بكتمان ما أنزل الله

{مَنْ الْبَيِّنَاتِ}

الدلالات على الحق المظهرات له،

(ولولا آيتان) أي تحذرا من كتمان العلم.

(يتلو) يقرأ الآيتين وتتمتهما {والهدى} من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله  
ويلعنهم اللاعنون. إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم} /  
البقرة 159 - 160 /

(الصفق) هو ضرب اليد على اليد والمراد التجارة وأطلق عليها لاعتيادهم فعله عند عقد البيع.  
(في أموالهم) مزارعهم.

(بشبع بطنه) يقنع بما يسد جوعه.

(يحضر) يشاهد من أحواله ﷺ



## (وَأَهْدَى)

وهو العلم الذي تحصل به الهداية إلى الصراط المستقيم،  
ويتبين به طريق أهل النعيم، من طريق أهل الجحيم،

## (مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ)

فإن الله أخذ الميثاق على أهل العلم،  
بأن يبينوا الناس ما منّ الله به عليهم من علم الكتاب ولا يكتموا،  
—فمن نبذ ذلك وجمع بين المفسدتين:—

1- كتم ما أنزل الله

2- والغش لعباد الله،

## (أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ)

أي: يبعدهم ويطردهم عن قربه ورحمته.

## (وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِنُونَ)

وهم جميع الخليقة، فتقع عليهم اللعنة من جميع الخليقة،  
لسعيهم في غش الخلق وفساد أديانهم، وإبعادهم من رحمة الله،  
فجوزوا من جنس عملهم،

☆ كما أن معلم الناس الخير، يصلي الله عليه وملائكته،

حتى الحوت في جوف الماء، لسعيه في مصلحة الخلق، وإصلاح أديانهم،  
وقربهم من رحمة الله، فجوزي من جنس عمله،

✽ فالكلام لما أنزل الله، مصاد لأمر الله، مشاق لله،  
يبين الله الآيات للناس ويوضحها وهذا يطمسها فهذا عليه هذا الوعيد الشديد.

**(إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا)**

أي رجعوا عما هم عليه من الذنوب، ندما وإقلاعا، وعزما على عدم المعاودة

**(وَأَصْلَحُوا)**

ما فسد من أعمالهم، فلا يكفي ترك القبيح حتى يحصل فعل الحسن.

**(وَبَيَّنُوا)**

ولا يكفي ذلك في الكاتم أيضا، حتى يبين ما كتبه، ويبيدي ضد ما أخفى،

**(فَأُولَئِكَ أَنُوبُ عَلَيْهِمْ<sup>٤</sup>)**

فهذا يتوب الله عليه، لأن توبة الله غير محجوب عنها،

فمن أتى بسبب التوبة، تاب الله عليه،

**(وَأَنَا التَّوَابُ)**

لانه هو **(التَّوَابُ)**

أي: الرجاء على عباده بالعفو والصفح، بعد الذنب إذا تابوا،

وبالإحسان والنعم بعد المنع، إذا رجعوا،

**(الرَّحِيمُ)**

الذي اتصف بالرحمة العظيمة، التي وسعت كل شيء

ومن رحمته أن وفقهم للتوبة والإنابة فتابوا وأنابوا،  
ثم رحمهم بأن قبل ذلك منهم، لطفًا وكرما، هذا حكم التائب من الذنب.

**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ** (

وأما من كفر واستمر على كفره حتى مات ولم يرجع إلى ربه،  
ولم ينب إليه، ولم يتب عن قريب

**أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**)

لأنه لما صار كفرهم وصفا ثابتا، صارت اللعنة عليهم وصفا ثابتا لا تزول،  
لأن الحكم يدور مع علته، وجودا وعدما.

و **(خَالِدِينَ فِيهَا)**

أي: في اللعنة، أو في العذاب والمعنيان .

**ط (لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ)**

بل عذابهم دائم شديد مستمر  
\*\*\*لا ينقص عما هم فيه

**(وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ)**

أي: يمهلون، لأن وقت الإمهال وهو الدنيا قد مضى،  
ولم يبق لهم عذر فيعتذرون.

**ط وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ** (

يخبر تعالى - وهو أصدق القائلين - أنه

**(إِلَهٌ وَاحِدٌ)**

أي: متوحد منفرد في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله،  
فليس له شريك في ذاته، ولا سمي له ولا كفو له، ولا مثل، ولا نظير،  
ولا خالق، ولا مدبر غيره،

**(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)**

فإذا كان كذلك، فهو المستحق لأن يؤله ويعبد بجميع أنواع العبادة،  
ولا يشرك به أحد من خلقه، لأنه

**(الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)**

المتصف بالرحمة العظيمة، التي لا يماثلها رحمة أحد،  
فقد وسعت كل شيء وعمت كل حي،  
فبرحمته وُجدت المخلوقات،  
وبرحمته حصلت لها أنواع الكمالات،  
وبرحمته اندفع عنها كل نقمة،  
وبرحمته عرّف عباده نفسه بصفاته وآلائه،  
وبيّن لهم كل ما يحتاجون إليه من مصالح دينهم ودنياهم، بإرسال الرسل،  
وإنزال الكتب.

فإذا عُلِمَ أن ما بالعباد من نعمة، فمن الله،

وأن أحدا من المخلوقين، لا ينفع أحدا،  
عُلم أن الله هو المستحق لجميع أنواع العبادة،  
وأن يُفردَ بالمحبة والخوف، والرجاء، والتعظيم، والتوكل،  
وغير ذلك من أنواع الطاعات.

وأن من أظلم الظلم، وأقبح القبيح، أن يعدل عن عبادته إلى عبادة العبيد،  
وأن يُشركَ المخلوق من تراب، برب الأرباب،  
أو يَعْبُدَ المخلوق المدبر العاجز من جميع الوجوه،  
مع الخالق المدبر القادر القوي، الذي قد قهر كل شيء ودان له كل شيء.  
ففي هذه الآيـة:-

- 1- إثبات وحدانية الباري وإلهيته، .
- 2- وتقريبها بنفيها عن غيره من المخلوقين
- 3- وبيان أصل الدليل على ذلك
- 4- وهو إثبات رحمته التي من آثارها وجود جميع النعم واندفاع جميع النقم،  
فهذا دليل إجمالي على وحدانيته تعالى.

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي  
 الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا  
 وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ  
 وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا  
 يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ  
 الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ  
 الَّذِينَ اتَّبَعُوا رَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا  
 لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ  
 حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ  
 حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ  
 بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

—ثم ذكر الأدلة التفصيلية فقال:

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي  
 الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا

وَبَتْ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ بَيْنَ السَّمَاءِ

وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾

أخبر تعالى أن في هذه المخلوقات العظيمة،

(لآيَاتٍ)

أدلة على وحدانية الباري وإلهيته، وعظيم سلطانه ورحمته وسائر صفاته،  
ولكنها

(لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)

أي: لمن لهم عقول يعملونها فيما خلقت له،  
فعلى حسب ما من الله على عبده من العقل، ينتفع بالآيات ويعرفها بعقله  
وفكره وتدبره،

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ)

في ارتفاعها واتساعها، وإحكامها، وإتقانها،  
وما جعل الله فيها من الشمس والقمر، والنجوم،  
وتنظيمها لمصالح العباد.

(وَالْأَرْضِ)

مهادا للخلق، يمكنهم القرار عليها والانتفاع بما عليها، والاعتبار.

ما يدل ذلك على :-

- 1- انفراد الله تعالى بالخلق والتدبير ((و الملك))
- 2- وبيان قدرته العظيمة التي بها خلقها،
- 3- وحكمته التي بها أتقنها، وأحسنها ونظمها،
- 4- وعلمه ورحمته التي بها أودع ما أودع، من منافع الخلق ومصالحهم، وضروراتهم وحاجاتهم.
- 5- وفي ذلك أبلغ الدليل على كماله،
- 6- واستحقاقه أن يفرد بالعبادة لانفراده بالخلق والتدبير، والقيام بشئون عباده

**(وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ)**

\*راجع ابحاث الجزء 25 ص 499

\*\*\*هَذَا يَجِيءُ ثُمَّ يَذْهَبُ وَيَخْلُفُهُ الْآخَرُ وَيَعْقِبُهُ، لَا يَتَأَخَّرُ عَنْهُ لِحِطَّةً،  
كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [يس: 40]

وَتَارَةً يَطُولُ هَذَا وَيَقْصُرُ هَذَا، وَتَارَةً يَأْخُذُ هَذَا مِنْ هَذَا ثُمَّ يَتَقَارِضَانِ،  
كَمَا قَالَ تَعَالَى: {يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ} [الحج: 61]

أَيُّ: يَزِيدُ مِنْ هَذَا فِي هَذَا، وَمِنْ هَذَا فِي هَذَا

وهو تعاقبهما على الدوام، إذا ذهب أحدهما، خلفه الآخر،

-وفي اختلافهما في الحر، والبرد، والتوسط، وفي الطول، والقصر، والتوسط،



-وما ينشأ عن ذلك من الفصول، التي بها انتظام مصالح بني آدم وحيواناتهم،  
وجميع ما على وجه الأرض، من أشجار ونوابت،  
كل ذلك بانتظام وتديبير، وتسخير، تنبهر له العقول وتعجز عن إدراكه من  
الرجال الفحول،

ما يدل ذلك على:-

- 1- قدرة مصرفها،
- 2- وعلمه وحكمته،
- 3- ورحمته الواسعة،
- 4- ولطفه الشامل،
- 5- وتصريفه وتديبيره، الذي تفرد به، وعظمته،
- 6- وعظمة ملكه وسلطانه،

← مما يوجب أن :-

- 1- يؤله ويعبد،
- 2- ويفرد بالمحبة والتعظيم، والخوف والرجاء،
- 3- وبذل الجهد في محابه ومراضيه.

**(وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ)**

\*راجع ابحاث الجزء 25 ص 499

وهي السفن والمراكب ونحوها، مما ألهم الله عباده صنعتها،  
وخلق لهم من الآلات الداخلية والخارجية ما أقدرهم عليها.  
ثم سخر لها هذا البحر العظيم والرياح، التي تحملها بما فيها من الركاب  
والأموال، والبضائع التي هي من منافع الناس،  
وبما تقوم به مصالحهم وتتنظم معاشهم.  
فمن الذي ألهمهم صنعتها، وأقدرهم عليها،  
وخلق لهم من الآلات ما به يعملونها؟  
أم من الذي سخر لها البحر، تجري فيه ياذنه وتسخيره، والرياح؟  
أم من الذي خلق للمراكب البرية والبحرية، النار والمعادن المعينة على حملها،  
وحمل ما فيها من الأموال؟  
فهل هذه الأمور، حصلت اتفاقاً، أم استقل بعملها هذا المخلوق الضعيف  
العاجز، الذي خرج من بطن أمه، لا علم له ولا قدرة،  
ثم خلق له ربه القدرة، وعلمه ما يشاء تعليمه،  
أم المسخر لذلك رب واحد، حكيم عليم، لا يعجزه شيء، ولا يمتنع عليه  
شيء؟  
بل الأشياء قد دانت لربوبيته، واستكانت لعظمته، وخضعت لجبروته.  
وغاية العبد الضعيف، أن جعله الله جزءاً من أجزاء الأسباب،

التي بها وجدت هذه الأمور العظام،  
فهذا يدل على رحمة الله وعنايته بخلقه،  
وذلك يوجب أن تكون المحبة كلها له، والخوف والرجاء، وجميع الطاعة،  
والذل والتعظيم.

وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ  
دَابَّةٍ وَتَصْرِيْفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَأَيِّتٍ لِقَوْمٍ  
يَعْقِلُونَ

(وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ) وهو المطر النازل من السحاب.

(فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا)

فأظهرت من أنواع الأقوات، وأصناف النبات، ما هو من ضرورات الخلائق،  
التي لا يعيشون بدونها.

أليس ذلك دليلا على قدرة من أنزله، وأخرج به ما أخرج ورحمته، ولطفه

بعباده، وقيامه بمصالحهم، وشدة افتقارهم وضرورتهم إليه من كل وجه؟

أما يوجب ذلك أن يكون هو معبودهم وإلههم؟

أليس ذلك دليلا على إحياء الموتى ومجازاتهم بأعمالهم؟

\*\*\*كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَأَيُّ لَهْمُ الْأَرْضِ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ  
يَأْكُلُونَ} \* وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ \*

يَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ \* سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ  
الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ {  
[يس: 33-36]

**وَبَثَّ فِيهَا** أي: في الأرض

**(مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ)**

أي: نشر في أقطار الأرض من الدواب المتنوعة،

ما هو دليل على قدرته وعظمته، ووحدانيته وسلطانه العظيم، وسخرها للناس،  
ينتفعون بها بجميع وجوه الانتفاع.

1- فمنها: ما يأكلون من لحمه، ويشربون من دره،

2- ومنها: ما يركبون،

3- ومنها: ما هو ساع في مصالحهم وحراستهم،

4- ومنها: ما يعتبر به،

ومع أنه بث فيها من كل دابة،

فإنه سبحانه هو القائم بأرزاقهم،

المتكفل بأقواتهم، فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها،

ويعلم مستقرها ومستودعها.

\*\*\*كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ  
مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [هُود: 6]

وفي

(وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ)

باردة وحرارة، وجنوبا وشمالا وشرقا ودبورا  
وبين ذلك،

1-وتارة تثير السحاب،

2-وتارة تؤلف بينه،

3-وتارة تلقحه،

4-وتارة تدره،

5-وتارة تمزقه وتزيل ضرره،

6-وتارة تكون رحمة،

7-وتارة ترسل بالعذاب.

فمن الذي صرفها هذا التصريف وأودع فيها من منافع العباد ما لا يستغنون  
عنه؟

وسخرها ليعيش فيها جميع الحيوانات،

وتصلح الأبدان والأشجار، والحبوب والنوبات، إلا العزيز الحكيم الرحيم،

اللطيف بعباده المستحق لكل ذل وخضوع، ومحبة وإناة وعبادة؟.

## (وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)

وفي تسخير السحاب بين السماء والأرض على خفته ولطافته يحمل الماء الكثير، فيسوقه الله إلى حيث شاء،

فيحيي به البلاد والعباد، ويروي التلول والوهاد،

وينزله على الخلق وقت حاجتهم إليه،

فإذا كان يضرهم كثرت، أمسكه عنهم، فينزله رحمة ولطفاً،

ويصرفه عناية وعطفاً،

فما أعظم سلطانه، وأغزر إحسانه، وألطف امتنانه

أليس من القبيح بالعباد، أن يتمتعوا برزقه، ويعيشوا ببره

وهم يستعينون بذلك على مساخطه ومعاصيه؟

أليس ذلك دليلاً على حلمه وصبره، وعفوه وصفحه، وعميم لطفه؟

فله الحمد أولاً وآخراً، وباطناً وظاهراً.

والحاصل، أنه كلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات، وتغلغل فكره في بدائع

المبتدعات، وازداد تأمله للصنعة وما أودع فيها من لطائف البر والحكمة،

علم بذلك:-

1- أنها خلقت للحق وبالحق،

2- وأنها صحائف آيات، وكتب دلالات،

على ما أخبر به الله عن نفسه ووحدانيته، وما أخبرت به الرسل من اليوم الآخر،  
 3- وأنها مسخرات، ليس لها تدبير ولا استعصاء على مدبرها ومصرفها.  
 4- فتعرف أن العالم العلوي والسفلي كلهم إليه مفتقرون، وإليه صامدون،  
 وأنه الغني بالذات عن جميع المخلوقات، فلا إله إلا الله، ولا رب سواه.

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٣٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٣٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ لَسَخَّطْنَا لَهُمْ عَنَّا الْقُرُونُ مِن قَبْلِ هَذِهِ لَعَلَّ نَجْمٌ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِمْ أَوْ يُسْقِطُ مِن سَمَاءٍ مَّا يَكُونُ لَكُمْ عِلْمٌ بِمَا يُكْفَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٣٧﴾

ما أحسن اتصال هذه الآية بما قبلها، فإنه تعالى،

لما بين وحدانيته وأدلتها القاطعة، وبراهينها الساطعة الموصلة إلى علم اليقين،

المزيلة لكل شك، ذكّر هنا أن ( **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ** )

مع هذا البيان التام من يتخذ من المخلوقين ( **أندادا** ) لله أي: نظراء ومثلاء،

( **يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ** )

يساويهم في الله بالعبادة والمحبة، والتعظيم والطاعة.  
ومن كان بهذه الحالة - بعد إقامة الحجة، وبيان التوحيد -

عُلم أنه :-

1- معاند لله،

2- مشاق له،

3- أو معرض عن تدبر آياته والتفكر في مخلوقاته،

فليس له أدنى عذر في ذلك، بل قد حقت عليه كلمة العذاب.

-وهؤلاء الذين يتخذون الأنداد مع الله، لا يسوونهم بالله في الخلق والرزق والتدبير، وإنما يسوونهم به في العبادة، فيعبدونهم، ليقربوهم إليه، وفي قوله:

**(يَتَّخِذُ)**

دليل على أنه ليس لله ند وإنما المشركون جعلوا بعض المخلوقات أندادا له،  
تسمية مجردة، ولفظا فارغا من المعنى، كما قال تعالى:

﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۖ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبًا سَمُوهُمْ ۖ أَفَمَنْ تَبَتُّونَهُ ۚ  
بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ ۗ أَمْ بظَهْرٍ مِّنَ الْقَوْلِ ۚ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا

عَنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿﴾ [الرعد:33]



﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ

إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ﴾ [النجم:23]

\*\*\*صحيح البخاري

4497 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مسعود قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ كَلِمَةً وَقُلْتُ أُخْرَى،

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ»

وَقُلْتُ أَنَا: مَنْ مَاتَ وَهُوَ لَا يَدْعُو لِلَّهِ نِدًّا دَخَلَ الْجَنَّةَ

ش (قلت أخرى) قلت جملة تقابلها استنتاجا مما قاله ﷺ.

(يدعو من دون الله ندا) يعبد شريكا غير الله تعالى من صنم أو غيره]

-----  
-فالمخلوق ليس ندا لله لأن الله هو الخالق، وغيره مخلوق،

والرب الرازق ومن عداه مرزوق،

والله هو الغني وأنتم الفقراء،

وهو الكامل من كل الوجوه، والعبيد ناقصون من جميع الوجوه،

والله هو النافع الضار، والمخلوق ليس له من النفع والضرر والأمر شيء،

- فعلم علما يقينا، بطلان قول من اتخذ من دون الله آلهة وأندادا،

سواء كان ملكا أو نبيا، أو صالحا، صنما، أو غير ذلك،

وأن الله هو المستحق للمحبة الكاملة، والذل التام،

فلهذا مدح الله المؤمنين بقوله:

## (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ)

أي: من أهل الأنداد لأندادهم، لأنهم أخلصوا محبتهم له، وهؤلاء أشركوا بها، ولأنهم أحبوا من يستحق المحبة على الحقيقة، الذي محبته هي عين صلاح العبد وسعادته وفوزه، والمشركون أحبوا من لا يستحق من الحب شيئاً، ومحبته عين شقاء العبد وفساده، وتشنت أمره. فلهذا توعدهم الله بقوله:

## (وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا)

باتخاذ الأنداد والانقياد لغير رب العباد وظلموا الخلق بصددهم عن سبيل الله، وسعيهم فيما يضرهم.

(إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ) أي: يوم القيامة عياناً بأبصارهم،

## (أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ)

\*\*\*كقوله {فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ} (25) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ {  
[الفجر: 25، 26]

– أي: لعلموا علماً جازماً، أن القوَّة والقُدرة لله كلها، وأن أندادهم ليس فيها من القوَّة شيء، فتبين لهم في ذلك اليوم ضعفها وعجزها،

لا كما اشتبه عليهم في الدنيا،

وظنوا أن لها من الأمر شيئاً، وأنها تقربهم إليه وتوصلهم إليه، فخاب ظنهم،

وبطل سعيهم، وحق عليهم شدة العذاب،

ولم تدفع عنهم أندادهم شيئاً، ولم تغن عنهم مثقال ذرة من النفع،

بل يحصل لهم الضرر منها، من حيث ظنوا نفعها.

**(إِذ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا)**

\*\*\* ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ كُفْرِهِمْ بِأَوْلِيَانِهِمْ وَتَبَرُّوْا الْمَتَّبِعِينَ مِنَ التَّابِعِينَ، فَقَالَ:  
إِذ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ  
-تَبَرَّأَتْ مِنْهُمْ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَهُمْ فِي دَارِ الدُّنْيَا،  
فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: {تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ} [الْقَصَصِ: 63]  
وَيَقُولُونَ: {سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرَهُمْ

بِهِمْ مُؤْمِنُونَ} [سَبَأٍ: 41]

وَالْجِنَّ أَيْضًا تَبَرَّأَ مِنْهُمْ، وَيَتَنَصَّلُونَ مِنْ عِبَادَتِهِمْ لَهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:  
{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ  
وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ \* وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا

بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ} [الْأَحْقَافِ: 5، 6]

وَقَالَ تَعَالَى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا \* كَلَّا سَيَكْفُرُونَ  
بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا} [مَرْيَمَ: 81، 82]

وَقَالَ الْخَلِيلُ لِقَوْمِهِ: {إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} [الْعَنَكُبُوت: 25]

وَقَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ \* قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ \* وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [سَبَأٍ: 31-33]

وَقَالَ تَعَالَى: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلْمُزُونِي وَلَوْمُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [إِبْرَاهِيمَ: 22].

-وتبرأ المتبوعون من التابعين،

**(وَرَأَوْا الْعَذَابَ)**

**(وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ )**

وتقطعت بينهم الوصل، التي كانت في الدنيا ((من القرابة، والاتباع، والدين، وغير ذلك: الميسر))

لأنها كانت لغير الله، وعلى غير أمر الله، ومتعلقة بالباطل الذي لا حقيقة له،  
فاضمحلّت أعمالهم، وتلاشت أحوالهم،

وتبين لهم أنهم كانوا كاذبين،

وأن أعمالهم التي يؤملون نفعها وحصول نتيجتها، انقلبت عليهم حسرة  
وندامه، وأنهم خالدون في النار لا يخرجون منها أبداً،

فهل بعد هذا الخسران خسران؟

ذلك بأنهم اتبعوا الباطل، فعملوا العمل الباطل ورجوا غير مرجو،

وتعلقوا بغير متعلق، فبطلت الأعمال ببطلان متعلقها،

ولما بطلت وقعت الحسرة بما فاتهم من الأمل فيها، فضررتهم غاية الضرر،

❖ وهذا بخلاف من تعلق بالله الملك الحق المبين، وأخلص العمل

لوجهه، ورجا نفعه ←

فهذا قد وضع الحق في موضعه،

فكانت أعماله حقاً، لتعلقها بالحق،

فجاز بنتيجة عمله، ووجد جزاءه عند ربه، غير منقطع كما قال تعالى:

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ

﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ

يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴿٢﴾ [سورة محمد]

( وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُ )

\*\*\* رجعة أو عودة

( فَتَبَّرْنَا مِنْهُمْ كَمَا تَبَّرُوا مِنَّا )

-وحيثذا يتمنى التابعون أن يردوا إلى الدنيا

فيتبرأوا من متبوعهم،

بأن يتبركوا بالشرك بالله،

ويقبلوا على إخلاص العمل لله،

وهيهات، فات الأمر، وليس الوقت وقت إمهال وإنظار،

ومع هذا، فهم كذبة، فلو ردوا لعادوا لما نهوا عنه،

﴿بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يَخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾

الأنعام: ٢٨

وإنما هو قول يقولونه، وأما اني يتمنونها، حنقا وغيظا على المتبوعين لما تبرأوا

منهم والذنب ذنبهم، فرأس المتبوعين على الشر إبليس،

ومع هذا يقول لأتباعه لما قضى الأمر

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ ووَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنَا بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم: 22]

**(كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ)**

\* أيسر: كما أراهم الله تعالى العذاب فعابنوه،  
يريههم أعمالهم القبيحة من الشرك والمعاصي  
فَتَعْظُمُ حَسْرَتُهُمْ وَيَشْتَدُّ كَرْبُهُمْ وَيَدْخُلُونَ بِهَا النَّارَ ( )

**(وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ)**

\* أيسر: فلا يخرجونهم منها أبداً.

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ

إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٣٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ

وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

**(يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ)**

الحياة و العبادة 168-214

\* حسرات: جمع حسرة وهي الندم الشديد الذي يكاد يحسر صاحبه فيقعده به عن الحركة والعمل

-هذا خطاب للناس كلهم، مؤمنهم وكافرهم، فامتن عليهم بأن أمرهم أن يأكلوا من جميع ما في الأرض، من حبوب، وثمار، وفواكه، وحيوانات، حالة كونها

(حَلَالًا)

\*\*\* أَي: مُسْتَطَابًا فِي نَفْسِهِ غَيْرَ ضَارٍّ لِلْأَبْدَانِ وَلَا لِلْعُقُولِ،

أي: محللا لكم تناوله،

ليس بغصب ولا سرقة،

ولا محصلا بمعاملة محرمة

أو على وجه محرم،

أو معينا على محرم.

(طَيِّبًا)

أي: ليس بخبيث،

كالميتة والدم،

ولحم الخنزير،

والخبائث كلها،

ففي هذه الآية، دليل على أن الأصل في الأعيان الإباحة، أكلا وانتفاعا،

وأن المحرم نوعان:-

1- إما محرم لذاته، وهو الخبيث الذي هو ضد الطيب،



2- وإما محرم لما عرض له، وهو المحرم لتعلق حق الله، أو حق عباده به، وهو ضد الحلال.

وفيه دليل على أن الأكل بقدر ما يقيم البنية واجب، يأثم تاركه لظاهر الأمر، ولما أمرهم باتباع ما أمرهم به - إذ هو عين صلاحهم - نهاهم عن اتباع الشيطان

(وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ)

\*\*\*ن\_\_\_\_\_زغات الشيطان

\*\*\*خط\_\_\_\_\_اه

\*\*\*كل معصي\_\_\_\_\_ة لله فهي من خطوات الشيطان

أي: طرقة التي يأمر بها، وهي جميع المعاصي من كفر، وفسوق، وظلم، ويدخل في ذلك تحريم السوائب، والحام\*\*\* ((و الوصائل)) ونحو ذلك، مما زيّنه لهم في جاهليتهم كما في:-

\*\*\*صحيح مسلم

(2865) عَنْ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ:

" أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا،

كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ،

وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلِّهُمْ،

وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ،

وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ،

وَأَمَرْتَهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا،

---

-ويدخل فيه أيضا تناول المأكولات المحرمة،

**(إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ)**

أي: ظاهر العداوة، فلا يريد بأمركم إلا غشكم،  
وأن تكونوا من أصحاب السعير، فلم يكتف ربنا بنهينا عن اتباع خطواته،  
حتى أخبرنا - وهو أصدق القائلين - بعداوته الداعية للحذر منه،  
ثم لم يكتف بذلك، حتى أخبرنا بتفصيل ما يأمر به، وأنه أقبح الأشياء،  
وأعظمها مفسدة فقال:

**(إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ)** .

أي: الشر الذي يسوء صاحبه، فيدخل في ذلك، جميع المعاصي،  
فيكون قوله:

**(وَالْفَحْشَاءُ)** من باب عطف الخاص على العام؛

لأن الفحشاء من المعاصي، ما تنهى قبحه،

كالزنا، وشرب الخمر، والقتل، والقذف، والبخل ونحو ذلك،  
مما يستفحشه من له عقل،

\*\*\*و أغلظ من ذلك القول علي الله بلا علم فيدخل في هذا كل كافر و كل مبتدع أيضا

**(وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ)**

فيدخل في ذلك، القول على الله بلا علم، في شرعه، وقدره،  
☀️ فمن وصف الله بغير ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله،  
☀️ أو نفى عنه ما أثبتته لنفسه،

☀️ أو أثبت له ما نفاه عن نفسه، فقد قال على الله بلا علم،  
☀️ ومن زعم أن لله ندا، وأوثانا، تقرب من عبدها من الله،  
فقد قال على الله بلا علم،

☀️ ومن قال: إن الله أحل كذا، أو حرم كذا، أو أمر بكذا، أو نهى عن كذا،  
بغير بصيرة، فقد قال على الله بلا علم،

☀️ ومن قال: الله خلق هذا الصنف من المخلوقات، للعلة الفلانية بلا برهان له  
بذلك، فقد قال على الله بلا علم،

☀️ ومن أعظم القول على الله بلا علم، أن يتأول المتأول كلامه،

أو كلام رسوله، على معان اصطلاح عليها طائفة من طوائف الضلال،  
ثم يقول: إن الله أرادها، فالقول على الله بلا علم،

من أكبر المحرمات، وأشملها، وأكبر طرق الشيطان التي يدعو إليها،  
○ فهذه طرق الشيطان التي يدعو إليها هو وجنوده،

وَيَبْذُلُونَ مَكْرَهُمْ وَخِدَاعَهُمْ، عَلَى إِغْوَاءِ الْخَلْقِ بِمَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ.  
○ وَأَمَّا اللَّهُ تَعَالَى، فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى،  
وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ،

فَلْيَنْظُرِ الْعَبْدُ نَفْسَهُ، مَعَ أَيِّ الدَّاعِيَيْنِ هُوَ، وَمَنْ أَيِّ الْحَزْبَيْنِ؟

1- أَتَتَّبِعُ دَاعِيَ اللَّهِ الَّذِي يَرِيدُ لَكَ الْخَيْرَ وَالسَّعَادَةَ الدُّنْيَوِيَّةَ وَالْآخِرَوِيَّةَ،

الَّذِي كُلُّ الْفَلَاحِ بِطَاعَتِهِ، وَكُلُّ الْفَوْزِ فِي خِدْمَتِهِ،

وَجَمِيعِ الْأَرْبَاحِ فِي مَعَامَلَةِ الْمُنْعَمِ بِالنَّعْمِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ،

الَّذِي لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِالْخَيْرِ، وَلَا يَنْهَى إِلَّا عَنِ الشَّرِّ

2- أَمْ تَتَّبِعُ دَاعِيَ الشَّيْطَانِ، الَّذِي هُوَ عَدُوُّ الْإِنْسَانِ، الَّذِي يَرِيدُ لَكَ الشَّرَّ،

وَيَسْعَى بِجَهْدِهِ عَلَى إِهْلَاكِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟

الَّذِي كُلُّ الشَّرِّ فِي طَاعَتِهِ، وَكُلُّ الْخُسْرَانِ فِي وِلَايَتِهِ، الَّذِي لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِشَرِّ،

وَلَا يَنْهَى إِلَّا عَنِ خَيْرٍ.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا آَلَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولَٰئِكَ

ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا

كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عَمِيَ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ

تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِزْيِرِ وَمَا أَهَلَ بِهِ

لِغَيْرِ اللَّهِ ۗ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ۗ مِمَّا قَلِيلًا

أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا

يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ

وَالْعَذَابُ بِالْمَغْفِرَةِ ۗ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ

الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا آَلَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا

أُولَٰئِكَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا)

ثم أخبر تعالى عن حال المشركين إذا أمروا باتباع

(مَا أَنْزَلَ اللَّهُ)

ما أنزل الله على رسوله - مما تقدم وصفه - رغبوا عن ذلك:

(قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا آَلَفْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا)

(أَلْفَيْنَا)

\*\*\*وجدنا

فاكتفوا بتقليد الآباء، وزهدوا في الإيمان بالأنبياء،

و مع هذا فأباؤهم أجهل الناس،

وأشدهم ضلالا وهذه شبهة لرد الحق واهية،

فهذا دليل على إعراضهم عن الحق، ورغبتهم عنه، وعدم إنصافهم،

فلو هدوا لرشدهم، وحسن قصدهم، لكان الحق هو القصد،

ومن جعل الحق قصده، ووازن بينه وبين غيره، تبين له الحق قطعا،

واتبعه إن كان منصفًا.

(أُولَٰئِكَ آبَاؤُهُمْ)

\*\*\*الَّذِينَ يَقْتَدُونَ بِهِمْ وَيَقْتَفُونَ أَثَرَهُمْ

{ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ }

\*\*\*أي: ليس لهم فهم ولا هداية!!

(وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا)

\*\*\*فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الضَّلَالِ وَالْجَهْلِ

لما بين تعالى عدم انقيادهم لما جاءت به الرسل، و ردهم لذلك بالتقليد،  
عُلِمَ من ذلك أنهم غير قابلين للحق، و لا مستجيبين له،  
بل كان معلوما لكل أحد أنهم لن يزولوا عن عنادهم،  
أخبر تعالى،

**كَمَثَلِ الَّذِينَ يَبْعُثُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً**

يظن بعض الناس أن الله شبه الكفار بالراعى (الناعق للغنم) و الصواب: أن الله  
شبه الكفار بالبهائم المنعوق بها و المعنى أن الكفار كالبهائم التي تسمع  
أصواتا لا تدرى ما معناها)

\*أن مثلهم عند دعاء الداعي لهم إلى الإيمان كمثل البهائم التي ينعق لها  
راعيها، و ليس لها علم بما يقول راعيها و منادياها،  
فهم يسمعون مجرد الصوت، الذي تقوم به عليهم الحجة،  
و لكنهم لا يفقهونه فقها ينفعهم، فلهذا كانوا

**(صُمُّ)**

صما لا يسمعون الحق سماع فهم وقبول،

**(بَكْمٌ)**

فلا ينطقون بما فيه خير لهم.

**(عُمَى)**

عمياً لا ينظرون نظر اعتبار،

→ والسبب الموجب لذلك كله، أنه ليس لهم عقل صحيح،

-بل هم أسفه السفهاء، و أجهل الجهلاء.

فهل يستريب العاقل، أن من دُعِيَ إلى الرشاد، و زيد عن الفساد،

و نُهي عن اقتحام العذاب،

و أمر بما فيه ((صلاحه و فلاحه، و فوزه، و نعيمه))

فعصى الناصح، و تولى عن أمر ربه

و اقتحم النار على بصيرة، و اتبع الباطل، و نبذ الحق

أن هذا ليس له مسكة من عقل،

و أنه لو اتصف بالمكر و الخديعة و الدهاء، فإنه من أسفه السفهاء.

**(فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)**

\*\*\* و لا يفهمونه

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ

تَعْبُدُونَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ

لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَن اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾

**(يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ)**

\*\*\* صحيح مسلم

(1015) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:



" أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا،  
وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ،

فَقَالَ: { يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا \* إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ }

[المؤمنون: 51]

وَقَالَ: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ } [البقرة: 172]

ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يُمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ،  
يَا رَّبِّ، يَا رَّبِّ،

وَمَطَعْمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ،  
فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟ ( )

\*\*\* وَ قَدْ حَخَّصَ الْجُمْهُورُ مِنْ ذَلِكَ مِئْتَةَ الْبَحْرِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

{ أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ } [المائدة: 96]

عَلَى مَا سَيَأْتِي، وَحَدِيثُ الْعَنْبَرِ فِي الصَّحِيحِ وَفِي الْمُسْنَدِ وَالْمَوْطَأِ  
\*\*\* وَ فِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ

83 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ،

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَرَكَبُ الْبَحْرَ،

وَنَحْمِلُ مَعَنَا الْقَلِيلَ مِنَ الْمَاءِ،

(إن الله طيب) قال القاضي الطيب في صفة الله تعالى بمعنى المنزه عن النقائص

وهو بمعنى القدوس وأصل الطيب الزكاة والطهارة والسلامة من الخبث

(ثم ذكر الرجل) هذه الجملة من كلام الراوي والضمير فيه للنبي ﷺ

و الرجل بالرفع مبتدأ مذكور على وجه الحكاية من لفظ رسول الله ﷺ

و يجوز أن ينصب على أنه مفعول ذكر

(وَغُذِيَ) بضم الغين وتخفيف الذال

فَإِنْ تَوَضَّأْنَا بِهِ عَطِشْنَا، أَفَتَوَضَّأُ بِمَاءِ الْبَحْرِ؟  
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مِيتَتُهُ»

\*\*\* سنن ابن ماجه

3314 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«أُحِلَّتْ لَكُمْ مِيتَتَانِ وَ دَمَانِ،

فَأَمَّا الْمِيتَتَانِ، فَالْحُوتُ وَ الْجَرَادُ،

وَ أَمَّا الدَّمَانِ، فَالْكَبِدُ وَ الطَّحَالُ»

وَ سَيَأْتِي تَقْرِيرٌ ذَلِكَ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ .

- هذا أمر للمؤمنين خاصة، بعد الأمر العام، وذلك أنهم هم المنتفعون على

الحقيقة بالأوامر والنواهي، بسبب إيمانهم،

فأمرهم بأكل الطيبات من الرزق، والشكر لله على إنعامه، باستعمالها بطاعته،

والتقوي بها على ما يوصل إليه،

فأمرهم بما أمر به المرسلين في قوله

﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾

[المؤمنون:51]

فالشكر في هذه الآية، هو العمل الصالح، و هنا لم يقل «حلالا»

1- لأن المؤمن أباح الله له الطيبات من الرزق خالصة من التبعة،

2- و لأن إيمانه يحجزه عن تناول ما ليس له.

و قوله ( **إِنْ كُنْتُمْ إِتْيَاهُ تَعْبُدُونَ** )

أي: فاشكروه، فدل على أن من لم يشكر الله، لم يعبده وحده،

كما أن من شكره، فقد عبده، وأتى بما أمر به،

- و يدل أيضا على أن أكل الطيب ((سبب للعمل الصالح وقبوله))

- و الأمر بالشكر، عقيب النعم:-

1- لأن الشكر يحفظ النعم الموجودة،

2- و يجلب النعم المفقودة

☆ كما أن الكفر:-

1- ينفّر النعم المفقودة

2- و يزيل النعم الموجودة.

ولما ذكر تعالى إباحة الطيبات ذكر تحريم الخبائث فقال

**(إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ)** الاعجاز العلمي

و هي: ما مات بغير تذكية شرعية، لأن الميتة خبيثة مضرّة لردائها في نفسها،

و لأن الأغلب، أن تكون عن مرض، فيكون زيادة ضرر

و استثنى الشارع من هذا العموم، ميتة الجراد، و سمك البحر،

فإنه حلال طيب.

**(وَالدَّم)**

أي: المسفوح كما قيد في الآية الأخرى. الاعجاز العلمي

**(وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ)** الاعجاز العلمي

**(وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ)**

ذبح لغير الله، كالذي يذبح للأصنام والأوثان من الأحجار، والقبور ونحوها، وهذا المذكور غير حاصر للمحرمات، جيء به لبيان أجناس الخبائث المدلول عليها بمفهوم قوله:

**(طَيِّبَاتٍ)**

فعموم المحرمات، تستفاد من الآية السابقة، من قوله:

**(حَلَالًا طَيِّبًا)** كما تقدم.

وإنما حرم علينا هذه الخبائث ونحوها، لطفًا بنا، وتنزيها عن المضر، ومع هذا

**(فَمَنْ اضْطُرَّ)**

أي: ألجئ إلى المحرم، بجوع وعدم، أو إكراه،

**(غَيْرَ بَاغٍ)**

غير طالب للمحرم، مع قدرته على الحلال، أو مع عدم جوعه،

**(وَلَا عَادٍ)**

أي: متجاوز الحد في تناول ما أبيح له، اضطرارًا،

فمن اضطر وهو غير قادر على الحلال، وأكل بقدر الضرورة فلا يزيد عليها،

**(فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ)**

فلا جناح عليه، وإذا ارتفع الجناح الإثم رجع الأمر إلى ما كان عليه،

والإنسان بهذه الحالة، مأمور بالأكل،

بل منهي أن يلقي بيده إلى التهلكة، وأن يقتل نفسه.

فيجب، إذاً عليه الأكل، ويأثم إن ترك الأكل حتى مات، فيكون قاتلاً لنفسه.

و هذه الإباحة والتوسعة، من رحمته تعالى بعباده،

فلهذا ختمها بهذين الاسمين الكريمين المناسبين غاية المناسبة فقال:

**(إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)**

ولما كان الحل مشروطاً بهذين الشرطين، وكان الإنسان في هذه الحالة،

ربما لا يستقصي تمام الاستقصاء في تحقيقها - أخبر تعالى أنه غفور،

فيغفر ما أخطأ فيه في هذه الحال،

خصوصاً وقد غلبته الضرورة، وأذهبت حواسه المشقة.

وفي هذه الآية دليل على القاعدة المشهورة: « **الضرورات تبيح المحظورات** »

فكل محظور، اضطر إليه الإنسان، فقد أباحه له، الملك الرحمن.

فله الحمد والشكر، أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً .

**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِءً مِمَّا قَلِيلًا**

**أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا**

**يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾** **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى**

وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ

الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ)

هذا وعيد شديد لمن كتم ما أنزل الله على رسله، من العلم الذي أخذ الله الميثاق على أهله، أن يبينوه للناس ولا يكتمونه،

(وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ )

فمن تعوض عنه بالحطام الدنيوي، ونبذ أمر الله، فأولئك:

(مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ)

لأن هذا الثمن الذي اكتسبوه، إنما حصل لهم بأقبح المكاسب، وأعظم المحرمات، فكان جزاؤهم من جنس عملهم،

\*\*\*كقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ

نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: 10]

(وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

بل قد سخط عليهم وأعرض عنهم، فهذا أعظم عليهم من عذاب النار،

(وَلَا يُرَكِّبُهُمْ)

\*\*\*أَيُّ يُثَنِّنُ عَلَيْهِمْ وَيَدْحُهُمْ

أي: لا يطهرهم من الأخلاق الرذيلة،  
 و ليس لهم أعمال تصلح للمدح والرضا والجزاء عليها،  
 وإنما لم يذكهم لأنهم فعلوا أسباب عدم التزكية التي أعظم أسبابها العمل  
 بكتاب الله، والاهتداء به، والدعوة إليه،

**(وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)**

\*\*\*بَلْ يُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا.

**(أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى)**

فهؤلاء نبذوا كتاب الله، وأعرضوا عنه،

واختاروا الضلالة على الهدى،

\*\*\*اعْتَاضُوا عَنِ الْهُدَى، وَهُوَ نَشْرُ مَا فِي كُتُبِهِمْ مِنْ صِفَةِ الرَّسُولِ  
 وَذِكْرِ مَبْعَثِهِ وَالْبِشَارَةِ بِهِ مِنْ كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ وَاتِّبَاعِهِ وَتَصَدِيقِهِ،  
 اسْتَبَدَّلُوا عَنْ ذَلِكَ وَاعْتَاضُوا عَنْهُ بِالضَّلَالَةِ،  
 وَهُوَ تَكْذِيبُهُ وَالْكَفْرُ بِهِ وَكَيْفَانُ صِفَاتِهِ فِي كُتُبِهِمْ

**(وَالْعَذَابُ بِالْمَغْفِرَةِ)**

والعذاب على المغفرة،

\*\*\* اعْتَاضُوا عَنِ الْمَغْفِرَةِ بِالْعَذَابِ وَهُوَ مَا تَعَاطَوْهُ مِنْ أَسْبَابِهِ الْمَذْكُورَةِ.

**ع (فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ)**

\*\*\* يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُمْ فِي عَذَابٍ شَدِيدٍ عَظِيمٍ هَائِلٍ،

يَتَعَجَّبُ مَنْ رَأَاهُمْ فِيهَا مِنْ صَبْرِهِمْ عَلَى ذَلِكَ،

مَعَ شِدَّةِ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ، وَالنَّكَالِ، وَالْأَعْلَالِ عِيَادًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ.

\*\*\* مَا أَدْوَمَهُمْ لِعَمَلِ الْمَعَاصِي الَّتِي تُفْضِي بِهِمْ إِلَى النَّارِ  
-فهؤلاء لا يصلح لهم إلا النار، فكيف يصبرون عليها، وأنى لهم الجلد عليها؟

(ذَلِكَ)

المذكور وهو مجازاته بالعدل ومنعه أسباب الهداية، ممن أباحها واختار سواها.

(بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ)

\*\*\* إِنَّمَا اسْتَحَقُّوا هَذَا الْعَذَابَ الشَّدِيدَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى:-

أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَعَلَى الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ كُتُبَهُ بِتَحْقِيقِ الْحَقِّ وَإِبْطَالِ  
الْبَاطِلِ،

وَهُؤُلَاءِ اتَّخَذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا، فَكِتَابُهُمْ يَأْمُرُهُمْ بِإِظْهَارِ الْعِلْمِ وَنَشْرِهِ،  
فَخَالَفُوهُ وَكَذَّبُوهُ.

وَهَذَا الرَّسُولُ الْخَاتَمُ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى،  
وَيَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَهُمْ يُكذِّبُونَهُ وَيُخَالِفُونَهُ  
وَيَجْحَدُونَهُ، وَيَكْتُمُونَ صِفَتَهُ، فَاسْتَهْزَؤُوا بِآيَاتِ اللَّهِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى رَسُولِهِ؛  
فَلِهَذَا اسْتَحَقُّوا الْعَذَابَ وَالنَّكَالَ؛ وَلِهَذَا قَالَ:

{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ

بَعِيدٍ} .

-ومن الحق، مجازاة المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

وأيضا ففي قوله: (نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ)

ما يدل على أن الله أنزله لهداية خلقه،

وتبيين الحق من الباطل، والهدى من الضلال



فمن صرفه عن مقصوده، فهو حقيق بأن يجازى بأعظم العقوبة.

**(وَإِنَّ الَّذِينَ اٰخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ)**

أي: وإن الذين اختلفوا في الكتاب، فأمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه،  
والذين حـرفوه وصـرفوه على أهوائهم ومراداتهم

**(لِي شِقَاقِ)**

أي: محادة،

**(بِعِيدِ)**

عن الحق لأنهم قد خالفوا الكتاب الذي جاء بالحق الموجب للاتفاق وعدم  
التناقض،

فمرج أمرهم، وكثر شقاقهم، وترتب على ذلك افتراقهم،  
بخلاف أهل الكتاب الذين آمنوا به، وحكموه في كل شيء،  
فإنهم اتفقوا وارتفقوا بالمحبة والاجتماع عليه.

و قد تضمنت هذه الآيات:-

1- الوعيد للكافرين لما أنزل الله المـؤثرين عليه عرض الدنيا بالعذاب  
و السخط،

2- وأن الله لا يطهرهم بالتـوفيق، ولا بالمغفرة،

3- وذكر السبب في ذلك بإيثارهم الضلالة على الهدى

فترتب على ذلك اختيار العذاب على المغفرة،

- 4- ثم توجع لهم بشدة صبرهم على النار،  
لعملهم بالأسباب التي يعلمون أنها موصلة إليها،  
5- و أن الكتاب مشتمل على الحق الموجب للاتفاق عليه، وعدم الافتراق،  
وأن كل من خالفه، فهو في غاية البعد عن الحق، والمنازعة والمخاصمة،  
والله أعلم.

(وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

## الحكمة من تحريم لحم الخنزير: -

<http://www.eajaz.org/index.php/Encyclopedias/Research-Scientific-Miracles-Encyclopedia/Medicine-and-Life-Sciences/84->

- وقد تحققت نجاسة لحم الخنزير كما تحقق الضرر من أكل لحمه  
من خلال الأبحاث العلمية العديدة وهذه بعض نتائجها :-
1. أن الخنزير حيوان سبى له أنياب يأكل الجيف والفئران  
ولو سمحت له الفرصة لأكل الأطفال لأكلها  
وهذا عكس الأنعام تماما فهي بدون أنياب ولا تتغذى إلا على العشب  
والكلأ فقط
  2. أن عدم وجود انزيمى Uricase & Xanthin oxidase في بلازما الخنزير  
وقلة وجوده في الكلوتين يجعله يحتفظ بكمية كبيرة من حمض البوليك في  
أنسجته فالخنزير يتخلص من 2% فقط من هذا الحمض  
والباقي يختزن في جسده وهذا عكس الأنعام فهي تتخلص من حمض  
البوليك بكميات كبيرة لوجود (Xanthin oxidase) في بلازما الأبقار

وهو يقوم بتكسير حمض البولييك إلى ألتوين Allantoin

والذى يفرز فى بول الأبقار بكميات عالية جدا

وبالتالى تتخلص الأبقار منه عن طريق البول وينقى الدم منه وبالتالى اللحم فىكون لحم الأبقار طاهرا طبيبا .

كما يوجد فى بلازما الأغنام انزيم اليوريكاز (Uricase) والذى يقوم بتكسير حمض البولييك وتتخلص الأغنام منه عن طريق الكليتين مما يجعل لحم الأغنام أيضا طاهرا طبيبا

3. أن كثرة وجود حمض البولييك فى دم ولحم الخنزير دليل على نجاسته ولهذا وصفه ربنا عز وجل بأن رجس

4. أن كمية انزيم اليوريكاز فى كلى الأبقار حوالى ستة أضعاف الموجود فى كلى الخنازير

5. أن الخنزير بطبعه الخبيث يأكل روثه المختلط ببوله وما به أيضا من حمض البولييك يجعل تراكم هذا الحمض فى لحمه بكميات كبيرة تضر بصحة الإنسان وهذا يدل على نجاسة لحمه كما بين ربنا عز وجل فى علة التحريم للحم الخنزير وهى أنه رجس

وهذا من الإعجاز العلمى لهذه الآية ولتحريم لحم الخنزير

6. أن الخنزير يحتوى على 50% من لحمه دهنيات

وأن هذه الدهنيات منها 38% دهون مشبعة ترى جلسريد ولا يستطيع الإنسان هضمها بينما الأبقار تحتوى على 6% فقط من الدهون وهى سهلة الهضم والأغنام تحتوى على 17% دهون أيضا سهلة الهضم وهذا يدل أيضا على الضرر المحقق من تناول لحم لخنزير

7. أن الخنزير يحتوى على كميات عالية من هرمونات النمو وهى تسبب ستة أنواع من السرطانات بينما تفتقر الأنعام إلى هذه الهرمونات مقارنة بالخنزير وهذا أيضا ضررا آخر محققا من تناول لحم الخنزير وعلة ذاتية

على التحريم

8. أن لحم الخنزير يحتوى على كميات كبيرة من الكبريت على عكس

الأنعام وهذه علة أخرى ذاتية لتحريم لحم الخنزير

9. أن لحم الخنزير يحتوى على كميات كبيرة من الهستامين والإميدازول

المسبب للحساسية واكزيما الجلد لمن يأكله بينما لحم الأنعام لا تحتوى على هذا الهرمون

10. وأن نسبة الكوليسترول في لحم الخنزير خمسة عشر ضعفاً لما في البقر،

ولهذه الحقيقة أهمية خطيرة :-

لأن هذه الدهون تزيد مادة الكوليسترول في دم الإنسان

وهذه المادة عندما تزيد عن المعدل الطبيعي تترسب في الشرايين ،

ولاسيما شرايين القلب ، و تسبب تصلب الشرايين و ارتفاع الضغط ،

وهو السبب الرئيسى في معظم حالات الذبحة القلبية.

وهذه أضرار شديدة بصحة الإنسان .

11. وتعتبر هذه الأضرار علل ذاتية للتحريم ويبقى الحكم ببقاء العلة

ويكون الخنزير محرماً على التأييد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها

من خلال نتائج هذا البحث يتضح بيان الإعجاز العلمى فى حرمة لحم

الخنزير حيث إن كل هذه الأضرار التى موجودة فى:-

((لحم وده —ن ودم الخنزير)) تجعل الخنزير محرماً لذاته

وليس لعلل عارضة أو مكتسبة

وهذا الذى بينه ربنا عز وجل من قوله (فإنه رجس) أى نجس ،

ضار ومؤذ ونتن

ومن هنا يتضح وجه الإعجاز العلمى فى هذا النص القرآنى لحرمة لحم

الخنزير

وصدق الله العظيم الحكيم العليم الخبير الذي بلغ رسوله النبي الأمي  
بتحريم لحم الخنزير كما بلغ الرسل الكرام من قبله بحرمة هذا الحيوان  
القدر النجس

## تحريم الميتة

لقد ثبت علميا وبشكل مؤكد أن جسم الميتة في الحيوانات يحتبس فيه  
الدم وسمومه، وقد يتخلل جميع الأنسجة اللحمية،  
وتبدأ السموم عملها في كل خلايا الجسم، فتكتسب الميتة اللون الداكن،  
وتمتلئ الأوردة السطحية بالدماء،  
وتتوقف الدورة الدموية دون أن يتسرب حتى ولو قدر ضئيل من تلك  
الدماء إلى خارج الجسم،  
وتصبح بذلك الميتة كلها بؤرة فاسدة للأمراض ومجمعا خبيثا للميكروبات،  
ويبدأ التعفن في عمله فيها،  
ويعم أثره في اللحم لونا وطعما ورائحة، فالميتة إذن ليست من الطيبات  
على الإطلاق .

(يسألونك ماذا أحل لهم\* قل أحل لكم الطيبات ) (المائدة 4 )

كما أن الميتة يفقد لحمها كل قيمة لأن إنزيمات التحلل تبدأ عملها في  
الخلايا فتفقدتها كل قيمة غذائية،  
وعلى أية حال فإن المسلمين يمتنعون تماما ومن قبل معرفة هذه الحقائق  
العلمية عن أكل لحم الميتة اتباعا لأوامر الخالق في كتابه الكريم،  
لأنهم يؤمنون أن ما جاء في هذا القرآن إنما هو الحق المطلق الذي لا  
يتغير ولا يتبدل ..

(وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين) يونس (37).

## أنواع الميتهنة.

### ○ المخنقة:

هي التي تموت بالخنق، إما قصدا، وإما عرضا كأن تتعثر مثلا في وثاقها، فتموت، وقد ثبت علميا أن الحيوان إذا مات مختنقا أي بمنع الأوكسجين في الدخول إلى رئتيه فإنه يتراكم في جسمه غاز ثاني أكسيد الكربون السام، كما تتراكم جميع الإفرازات السامة التي تخرج عادة مع التنفس في عملية الزفير، وهذه المواد إذا احتبست ولم تخرج عادت لتمتص في الجسم ويحدث التسمم في كل الأنسجة، فتؤدي إلى الوفاة. وبالتالي فإن أكل لحوم هذه الحيوانات معناه انتقال هذه المواد السامة إلى جسم أكلها فتسبب أمراضا خطيرة، أيسر كثيرا من علاجها أن نتجنب أكل هذه اللحوم كما أمرنا العليم الحكيم. .

### ○ الموقوذة:

الموقوذة هي التي تُضرب بعصا أو خشبة أو حجر حتى الموت، وهذه الحيوانات تفسد لحومها لتلف الأنسجة، واحتوائها على الكثير من الميكروبات نتيجة احتقان الدم فيها وعدم ذبحها بالطريقة التي أمر بها الله جل و علا.

### ○ المتردبة:

المتريية هي التي تموت من السقوط من مكان عال أو تسقط في بئر أو من جراء حادث كصدمة سيارة،

وهذه الحيوانات تفسد لحومها وتتلف ولا تكون صالحة لغذاء البشر؛ لما تحتويه من جراثيم وميكروبات تسبب أمراضا شتى. .

### ○ النطيحة:

النطيحة هي التي تموت بسبب نطح حيوان آخر لها،

وقد قال ابن عباس: " النطيحة هي ما نطحت فماتت فما أدركته يتحرك بذنبه أو بعينه فاذبح و كل "

ولحومها تحتوي على ميكروبات مختلفة نتيجة موتها بهذه الطريقة وعدم تخلصها من الدماء الفاسدة. .

### ○ ما أكل السبع:

وقد حرمت لحوم ما أكل السبع لحكمة إلهية عظيمة، اكتشف الطب الحديث جانبا منها،

حيث ثبت أن الجراثيم والميكروبات التي تكون في أظافر السبع حين تنهش فريستها تنتقل إليها وتسبب أمراضا لمن يأكل لحومها بعد ذلك، كما أن السبع أو الحيوانات البرية بشكل عام قد تكون مصابة بمرض تظهر آثاره في فمه و لعابه،

و ينتقل بدوره إلى جسم الفريسة، فتسبب في أضرار بالغة لآكل لحومها. .

### ○ تحريم الدم:

فلنتعرف أولا على وظيفة الدم في جسم الكائن الحي:-

إن الدم يقوم في جسم الكائن الحي بوظيفتين:

الأولى أنه ينقل المواد الغذائية التي تمتص من الأمعاء مثل: البروتينات والسكريات والدهون إلى أعضاء الجسم وعضلاته،

إلى جانب حملها للفيتامينات والهرمونات والأوكسجين وجميع العناصر الحيوية الضرورية.

والثانية: هي حمل إفرازات الجسم الضارة في جسم الحيوان كي يتخلص منها مع البول أو العرق أو البراز. فإذا كان الحيوان مريضا فإن الميكروبات تتكاثر عادة في دمه، لأنها تستعمله كوسيلة للانتقال من عضو إلى آخر، كما أن إفرازات الميكروب وسمياته تنتقل عن طريق الدم أيضا، وهنا يكمن الخطر..

لأنه إذا شرب الإنسان الدم فستنتقل إليه كل هذه الميكروبات وإفرازاتها، وتتسبب في أمراض كثيرة مثل ارتفاع البولينا في الدم، مما يهدد بحدوث فشل كلوي أو ارتفاع نسبة الأمونيا في الدم وحدوث غيبوبة كبدية..

وكثير من الجراثيم التي يحملها الدم تحدث في المعدة والأمعاء تهيجا في الأغشية، مما يسبب أمراضا كثيرة

لكل هذه الأسباب حتم الإسلام الذبح الشرعي الذي يقتضي تصفية دم الحيوان بعد ذبحه

وكذا حرم الله شرب الدم أو دخوله بأي شكل من الأشكال إلى الغذاء الآدمي،

وهذا قبل أن يخترع الميكروسكوب، وقبل أن يعرف الإنسان أي شئ عن الجراثيم والميكروبات

﴿ **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** ﴾ العنكبوت: ٤



❖ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ  
 وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي  
 الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ  
 الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ  
 وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ  
 ءَامَنُوا كُتُبٌ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ط الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ  
 فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأْتِبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّنْ  
 رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ مِّنْ أَعْدَائِكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَهَلْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ  
 حَيَوةٌ يَتَأُولَىٰ الْأَبْلَىٰ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ  
 الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ط حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ  
 ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

❖ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ  
 وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي  
 الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ

الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ

وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٧٧﴾

يقول تعالى:

(لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ)

\*\*\* كما قال ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ النُّقُورَى مِنْكُمْ ﴾

الحج: ٣٧

\*\*\* وَقَالَ التَّوْرِيُّ: { وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ } الْآيَةَ،

قَالَ: هَذِهِ أَنْوَاعُ الْبِرِّ كُلُّهَا. وَصَدَقَ رَحِمَهُ اللَّهُ؛

فَإِنَّ مَنْ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الْآيَةِ، فَقَدْ دَخَلَ فِي عَرَى الْإِسْلَامِ كُلِّهَا،

وَأَخَذَ بِمَجَامِعِ الْخَيْرِ كُلِّهِ،

1- وَهُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَهُوَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ،

2- وَصَدَّقَ بِوُجُودِ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ هُمْ سَفَرَةٌ بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ

3- { وَالْكِتَابِ } وَهُوَ اسْمُ جِنْسٍ يَشْمَلُ الْكُتُبَ الْمُنَزَّلَةَ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى

الْأَنْبِيَاءِ، حَتَّى خْتِمَتْ بِأَشْرَفِهَا، وَهُوَ الْقُرْآنُ الْمُهَيَّمِنُ عَلَى مَا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ،

الَّذِي انْتَهَى إِلَيْهِ كُلُّ خَيْرٍ، وَاشْتَمَلَ عَلَى كُلِّ سَعَادَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،

وَنَسَخَ اللَّهُ بِهِ كُلَّ مَا سِوَاهُ مِنَ الْكُتُبِ قَبْلَهُ،

4- وَآمَنَ بِأَنْبِيَاءِ اللَّهِ كُلِّهِمْ مِنْ أَوْلِيهِمْ إِلَى خَاتَمِهِمْ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ

عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

أي: ليس هذا هو البر المقصود من العباد،

فيكون كثرة البحث فيه والجدال من العناء الذي ليس تحته إلا الشقاق والخلاف، وهذا نظير قوله ﷺ:

- في صحيح البخاري

6114 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ» (I)

و نحو ذلك.

**(وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ)**

أي: بأنه إله واحد، موصوف بكل صفة كمال، منزه عن كل نقص.

**(وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)**

وهو كل ما أخبر الله به في كتابه، أو أخبر به الرسول، مما يكون بعد الموت.

**(وَالْمَلَكَةِ)**

الذين وصفهم الله لنا في كتابه، ووصفهم رسوله ﷺ

**(وَالْكِتَابِ)**

جنس الكتب التي أنزلها الله على رسوله، وأعظمها القرآن،

فيؤمن بما تضمنه من الأخبار والأحكام،

---

(الشديد) القوي الحقيقي.

(بالصرعة) الذي يغلب الرجال ويصرعهم.

(يملك نفسه) يكظم غيظه ويتحلم ولا يعمل بمقتضى غضبه

## (وَالْتَبَيَّنَ)

عموما، خصوصا خاتمهم وأفضلهم محمد ﷺ.

## (وَعَاتَى الْمَالَ)

وهو كل ما يتموله الإنسان من مال، قليلا كان أو كثيرا، أي: أعطى المال

## (عَلَى حُبِّهِ)

\*\*\* صحيح البخاري

1419 - عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ:  
يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَكْبَرُ أَجْرًا؟  
قَالَ: «أَنْ تَصَدَّقَ

1- وَأَنْتَ صَاحِبٌ 2- شَاحِبٌ 3- تَخَشَى الْفَقْرَ 4- وَتَأْمَلُ الْغِنَى 5- وَ لَا تَمَهَّلُ  
حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ،  
قُلْتَ لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا وَ قَدْ كَانَ لِفُلَانٍ» ( )

---

(صحيح) ليس فيك مرض أو علة تقطع أملك في الحياة.

(شحيح) من شأنك الشح وهو البخس مع الحـ رص.

(تخشى الفقر) تخافه وتحسب له حسابا.

(تأمل) تطمع وترجو.

(تمهل) تؤخر.

(بلغت الحلقوم) قاربت الروح الحلق والمراد شعرت بقرب الموت.

(لفلان كذا) أخذت توصي وتتصدق.

(وقد كان لفلان) وقد أصبح مالك ملكا لغيرك وهم ورثتك

\*\*\* ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ الإنسان: ٨

أي: حب المال ، بيّن به أن المال محبوب للنفوس،  
فلا يكاد يخرج العبد.

فمن أخرج مع حبه له تقربا إلى الله تعالى، كان هذا برهانا لإيمانه،

❁ ومن إيتاء المال على حبه، أن يتصدق وهو صحيح شحيح، يأمل الغنى،  
ويخشى الفقر،

❁ وكذلك إذا كانت الصدقة عن قلة، كانت أفضل، لأنه في هذه الحال،  
يحب إمساكه، لما يتوهمه من العدم والفقر.

❁ وكذلك إخراج النفيس من المال، وما يحبه من ماله كما قال تعالى:

﴿ لَنْ نَأْتُوا النِّرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا حُبِّبْنَا وَمَنْ نَفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾

آل عمران: ٩٢

– فكل هؤلاء ممن آتى المال على حبه.

(دَوَى الْقُرْبَى)

\*\*\* سنن الترمذي ت شاكر -658

قال ﷺ الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ،

وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصَلَةٌ

\*\*\* فَهُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِكَ وَبِرِّكَ وَإِعْطَائِكَ.

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ.

(وَالْتَمَنَى)

\*\*\*هُمُ:الَّذِينَ لَا كَاسِبَ لَهُمْ، وَقَدْ مَاتَ آبَاؤُهُمْ وَهُمْ ضَعَفَاءُ صِغَارٌ دُونَ  
الْبُلُوغِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى التَّكْسِبِ

(وَالْمَسْكِينِ )

\*\*\* الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَكْفِيهِمْ فِي قُوَّتِهِمْ وَكِسْوَتِهِمْ وَسُكْنَاهُمْ،  
فَيُعْطُونَ مَا تُسَدُّ بِهِ حَاجَتَهُمْ وَخَلَّتُهُمْ  
\*\*\*صحيح البخاري

1479 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:  
«لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ  
تَرُدُّهُ اللَّفْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَ التَّمْرَةُ وَ التَّمْرَتَانِ،  
← وَ لَكِنِ الْمِسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، وَلَا يُفْطِنُ بِهِ،  
فَيَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ»

(وَأَبْنِ السَّبِيلِ )

\*\*\* الْمُسَافِرُ الْمُجْتَازُ الَّذِي قَدْ فَرَعَتْ نَفَقَتُهُ فَيُعْطَى مَا يُوصِلُهُ إِلَى بَلَدِهِ،  
وَكَذَا الَّذِي يُرِيدُ سَفَرًا فِي طَاعَةٍ، فَيُعْطَى مَا يَكْفِيهِ فِي ذَهَابِهِ وَإِيَابِهِ،  
وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الضَّيْفُ

(وَالسَّائِلِينَ )

أي: الذين تعرض لهم حاجة من الحوائج، توجب السؤال،  
كمن ابتلي بأرش (D) جنائية، أو ضريبة عليه من ولاة الأمور،  
أو يسأل الناس لتعمير المصالح العامة،

مختار الصحاح : دِيَّةُ الْجِرَاحَاتِ.

كالمساجد، والمدارس، والقناطر، ونحو ذلك، فهذا له حق وإن كان غنيا

### (وَفِي الرِّقَابِ )

- فيدخل فيه العتق والإعانة عليه،
- وبذل مال للمكاتب ليوفي سيده،
- وفداء الأسرى عند الكفار أو عند الظلمة.

### (وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ)

قد تقدم مرارا، أن الله تعالى يقرن بين الصلاة والزكاة، لكونهما أفضل العبادات، وأكمل القربات،

عبادات (( قليية، و بدنية، و مالية ))

وبهما يوزن الإيمان، ويعرف ما مع صاحبه من الإيقان.

\*\*\* يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ زَكَاةَ النَّفْسِ، وَتَخْلِيصَهَا مِنَ الْأَخْلَاقِ الدَّنِيَّةِ

الرِّذِيلَةِ، كَقَوْلِهِ: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا \* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}

[الشَّمْسِ: 9، 10]

وَقَوْلُ مُوسَى لِفِرْعَوْنَ: {هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكِّي \* وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى}

[النَّازِعَاتِ: 18، 19]

### (وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا)

\*\*\* ﴿ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾ الرعد: ٢٠

صحيح البخاري

33 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

" آيَةُ الْمُنَافِقِ ذَلَّتْ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَ إِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَ إِذَا أَوْمِنَ خَانَ " \*\*\* صحيح البخاري -34

(.....وَ إِذَا خَاصَمَ فَجَرَ " )

و العهد: [هو الالتزام بالزام الله أو إلزام العبد لنفسه].  
فدخل في ذلك:-

1- حقوق الله كلها، لكون الله ألزم بها عباده و التزموها،  
و دخلوا تحت عهدها، و وجب عليهم أداؤها،  
و حقوق العباد، التي أوجبها الله عليهم،

2- و الحقوق التي التزمها العبد كالإيمان والندور، ونحو ذلك.

**(وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ)**

\*\*\* وَ إِنَّمَا نَصَبَ {وَالصَّابِرِينَ} {

عَلَى الْمَدْحِ وَالْحَثِّ عَلَى الصَّبْرِ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ لِشِدَّتِهِ وَصُعُوبَتِهِ، وَاللَّهُ  
أَعْلَمُ، وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التَّكْلَانِ.

أي: الفقير، لأن الفقير يحتاج إلى الصبر من وجوه كثيرة،  
لكونه يحصل له من ((الآلام القلبية والبدنية)) المستمرة  
ما لا يحصل لغيره.

فإن تنعم الأغنياء بما لا يقدر عليه تألم،

وإن جاع أو جاعت عياله تألم،

وإن أكل طعاما غير موافق لهواه تألم، و إن عرى أو كاد تألم،



وإن نظر إلى ما بين يديه وما يتوهمه من المستقبل الذي يستعد له تألم،  
وإن أصابه البرد الذي لا يقدر على دفعه تألم.  
فكل هذه ونحوها، مصائب، يؤمر بالصبر عليها، والاحتساب، ورجاء الثواب  
من الله عليها.

### (وَالضَّرَّاءُ )

أي: المرض على اختلاف أنواعه،  
من حمى، و قروح، و رياح، و وجع عضو، حتى الضرس و الإصبع ونحو ذلك،  
فإنه يحتاج إلى الصبر على ذلك (( لأن النفس تضعف، والبدن يئالم ))  
وذلك في غاية المشقة على النفوس،  
خصوصا مع تناول ذلك، فإنه يؤمر بالصبر، احتسابا لثواب الله تعالى.

### (وَحِينَ الْبَأْسِ )

أي: وقت القتال للأعداء المأمور بقتالهم،  
لأن الجلال، يشق غاية المشقة على النفس،  
ويجزع الإنسان من القتل، أو الجراح أو الأسر،  
فاحتيج إلى الصبر في ذلك احتسابا،  
ورجاء لثواب الله تعالى الذي منه النصر والمعونة، التي وعدّها الصابرين.

### (أَوْلِيَّكَ )

أي: المتصفون بما ذكر من العقائد الحسنة،

والأعمال التي هي آثار الإيمان، وبرهانه ونوره،  
والأخلاق التي هي جمال الإنسان وحقيقة الإنسانية، فأولئك هم

**(الَّذِينَ صَدَقُوا)**

في إيمانهم، لأن أعمالهم صدقت إيمانهم،  
\*\*\* هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّصَفُوا بِهَذِهِ الصِّفَاتِ هُمُ الَّذِينَ صَدَقُوا فِي إِيْمَانِهِمْ؛  
لَأَنَّهُمْ حَقَّقُوا الْإِيْمَانَ الْقَلْبِيَّ (بِالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ))  
فَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ صَدَقُوا

**(وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)**

لأنهم ((تَرَكَوا المحظور، وفعلوا المأمور))  
لأن هذه الأمور مشتملة على كل خصال الخير، تضمننا ولزومنا،  
لأن الوفاء بالعهد، يدخل فيه الدين كله،  
ولأن العبادات المنصوص عليها في هذه الآية أكبر العبادات،  
ومن قام بها، كان بما سواها أقوم، فهؤلاء هم الأبرار الصادقون المتقون.  
وقد علم ما رتب الله على هذه الأمور الثلاثة، من الثواب الدنيوي والأخروي،  
مما لا يمكن تفصيله في مثل هذا الموضوع.

يَتَائِبًا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُنِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى  
بِالْأَنْثَى فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَسْبَغَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَّاءُ إِلَيْهِ يَأْخِزُنِي ذَلِكَ  
تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَعَدَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ



وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٣٨﴾

(يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

يتمن تعالى على عباده المؤمنين، بأنه فرض عليهم

(الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ)

أي: المساواة فيه، وأن يقتل القاتل على الصفة، التي قتل عليها المقتول، إقامة للعدل والقسط بين العباد.

وتوجيه الخطاب لعموم المؤمنين، فيه دليل على أنه: -

1- يجب عليهم كلهم، حتى أولياء القاتل حتى القاتل بنفسه إعانة ولي

المقتول، إذا طلب القصاص وتمكينه من القاتل،

2- و أنه لا يجوز لهم أن يحولوا بين هذا الحد،

و يمنعوا الولي من الاقتصاص، كما عليه عادة الجاهلية،

و من أشبههم من ((إيواء المحدثين)).

ثم بيّن تفصيل ذلك فقال:

(الْحُرُّ بِالْحُرِّ)

يدخل بمنطوقها، الذكر بالذكر،

(وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ)

(وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى)

والأنثى بالذكر، والذكر بالأنثى، فيكون منطوقها مقدا على مفهوم قوله:

« الأنثى بالأنثى »

مع دلالة السنة، على أن الذكر يقتل بالأنثى،

○ وخرج من عموم هذا الأبـوان وإن علوا،

فلا يقتلان بالولد، لورود السنة بذلك،

مع أن في قوله: ( **القِصَاصُ** ) ما يدل على أنه ليس من العدل،

أن يقتل الوالد بولده،

ولأن في قلب الوالد من الشفقة والرحمة ما يمنعه من القتل لولده إلا بسبب:-

1- اختلال في عقله

2- أو أذية شديدة جدا من الولد له.

○ وخرج من العموم أيضا، الكافر بالسنة، مع أن الآية في خطاب المؤمنين

خاصة.

\*\*\*صحيح البخاري

111 - عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ، قَالَ: قُلْتُ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ:

هَلْ عِنْدَكُمْ كِتَابٌ؟ قَالَ: " لَا، إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ، أَوْ فَهَمُّ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ،

أَوْ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ. قَالَ: قُلْتُ: فَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ؟

قَالَ: الْعَقْلُ،

وَفَكَائِكَ الْأَسِيرِ،

وَلَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ " ( )

(كتاب) شيء مكتوب من عند رسول الله ﷺ.

\*\*\*مَسْأَلَةٌ: وَمَذْهَبُ الْأُمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَالْجُمْهُورِ أَنَّ الْجَمَاعَةَ يُقْتَلُونَ بِالْوَاحِدِ  
 ○ وأيضاً فليس من العدل أن يقتل ولي الله بعدوه، والعبد بالعبد،  
 ذكرا كان أو أنثى، تساوت قيمتهما أو اختلفت،  
 ○ ودل بمفهومها على أن الحر، لا يقتل بالعبد، لكونه غير مساو له،  
 والأنثى بالأنثى، أخذ بمفهومها بعض أهل العلم فلم يجز قتل الرجل بالمرأة،  
 وتقدم وجه ذلك.

وفي هذه الآية دليل على أن الأصل :-

1- وجوب القود (○) في القتل،

2- وأن الدية بدل عنه، فلهذا قال:

(فَمَنْ عَفَى لِدُّهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ)

أي: عفا ولي المقتول عن القاتل إلى الدية، أو عفا بعض الأولياء،  
 فإنه يسقط القصاص، وتجب الدية،

وتكون الخيرة في القود واختيار الدية إلى الولي.

فإذا عفا عنه وجب على الولي، أي: ولي المقتول أن يتبع القاتل

(فَأَتْبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ)

(الصحيفة) الورقة المكتوبة وكانت معلقة بسيفه.

(العقل) الدية.

(فكاك الأسير) ما يخلص به من الأسر

معجم اللغة العربية المعاصرة: قَوْدَ [مفرد]: قِصَاصٌ وقتل القاتل بدل القتل "طلب القَوْدَ  
 من القاتل- لم يعد القَوْدَ من مهمّات أقارب القتل بل هو أمرٌ يحكم به القضاء".

من غير أن يشق عليه، ولا يحمله ما لا يطيق،

بل يحسن الاقتضاء والطلب، ولا يحرجه.

\*\*\*فَعَلَى الطَّالِبِ اتِّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ إِذَا قَبِلَ الدِّيَةَ

وعلى القاتل (وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ)

من غير مطل ولا نقص، ولا إساءة فعلية أو قولية،

فهل جزاء الإحسان إليه بالعمو، إلا الإحسان بحسن القضاء،

وهذا مأمور به في كل ما ثبت في ذمم الناس للإنسان،

مأمور من له الحق بالاتباع بالمعروف، ومن عليه الحق، بالأداء بإحسان .

(ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ)

\*\*\*إِنَّمَا شَرَعَ لَكُمْ أَخَذَ الدِّيَةِ فِي الْعَمْدِ تَخْفِيفًا مِّنَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةً بِكُمْ،

مِمَّا كَانَ مَحْتُومًا عَلَى الْأُمَّةِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْقَتْلِ أَوْ الْعَفْوِ،

\*\*\*رَحِمَ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ وَأَطْعَمَهُمُ الدِّيَةَ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلَهُمْ،

☆فَكَانَ أَهْلُ التَّوْرَةِ إِنَّمَا هُوَ الْقِصَاصُ وَعَفْوٌ لَيْسَ بَيْنَهُمْ أَرْشٌ

☆وَكَانَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ إِنَّمَا هُوَ عَفْوٌ أَمْرًا بِهِ،

وَجَعَلَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْقِصَاصَ وَالْعَفْوَ وَالْأَرْشَ.

وفي قوله:

(فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ )

ترقيق وحث على العفو إلى الدية، وأحسن من ذلك العفو مجاناً.

وفي قوله: ( أَخِيهِ هـ )

دليل على أن القاتل لا يكفر، لأن المراد بالأخوة هنا أخوة الإيمان، فلم يخرج بالقتل منها، ومن باب أولى أن سائر المعاصي التي هي دون الكفر، لا يكفر بها فاعلها، وإنما ينقص بذلك إيمانه. وإذا عفا أولياء المقتول، أو عفا بعضهم، احتقن دم القاتل، وصار معصوما منهم ومن غيرهم، ولهذا قال:

(فَمَنْ أَعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ)

\*\*\*فَمَنْ قَتَلَ بَعْدَ أَخْذِ الدِّيَةِ أَوْ قَبُولِهَا

أي: بعد العفو

(فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

أي: في الآخرة، وأما قتله وعدمه، فيؤخذ مما تقدم، لأنه قتل مكافئاً له، فيجب قتله بذلك.

وأما من فسر العذاب الأليم بالقتل:—

1— فإن الآية تدل على أنه يتعين قتله،

2— ولا يجوز العفو عنه،

وبذلك قال بعض العلماء والصحيح الأول،

(( لأن جنائته لا تزيد على جنائية غيره)).

ثم بين تعالى حكمته العظيمة في مشروعية القصاص فقال:

## (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ)

1- تنحَقن بذلك الدماء،

2- وتنقمع به الأشقياء،

لأن من عرف أنه مقتول إذا قتل، لا يكاد يصدر منه القتل،  
وإذا رئي القاتل مقتولا اندعر بذلك غيره وانزجر،

فلو كانت عقوبة القاتل غير القتل، لم يحصل انكفاف الشر،

الذي يحصل بالقتل، وهكذا سائر الحدود الشرعية، فيها من النكاية والانزجار،  
ما يدل على حكمة الحكيم الغفار،

ونكر « الحياة » لإفادة التعظيم والتكثير.

ولما كان هذا الحكم، لا يعرف حقيقته،

((إلا أهل العقول الكاملة والألباب الثقيلة)) خصهم بالخطاب دون غيرهم،

وهذا يدل على أن الله تعالى،

يحب من عباده، أن يُعملوا أفكارهم وعقولهم، في تدبر:-

1- ما في أحكامه من الحكم،

2- والمصالح الدالة على كماله، وكمال حكمته وحمده، وعدله ورحمته

الواسعة

## (يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ)

وأن من كان بهذه المثابة فقد استحق المدح بأنه من ذوي الألباب



الذين وجه إليهم الخطاب، وناداهم رب الأرباب،  
وكفى بذلك فضلا وشرفا لقوم يعقلون.

وقوله: **(لَمَلَكُكُمْ تَتَّقُونَ)**

وذلك أن من عرف ربه وعرف ما في دينه وشرعه من الأسرار العظيمة والحكم  
البديعة والآيات الرفيعة، أوجب له ذلك أن :-

1- ينقاد لأمر الله،

2- ويعظم معاصيه فيتركها، فيستحق بذلك أن يكون من المتقين.

**\*\*\*التقوي:** اسم جامع لفعل الطاعات و ترك المنكرات

**كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ**

**وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ** ﴿١٨٠﴾

**فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴿١٨١﴾

**(كُتِبَ عَلَيْكُمْ)**

أي: فرض الله عليكم، يا معشر المؤمنين

**(إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ)**

أسبابه، كالمرض المشرف على الهلاك، وحضور أسباب المهالك،

**(إِنْ تَرَكَ خَيْرًا)**

أي: مالا وهو المال الكثير عرفا،

## (الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ط)

فعلية أن يوصي لوالديه وأقرب الناس إليه بالمعروف،

على قدر حاله من غير سرف،

ولا اقتصار على الأبعد، دون الأقرب،

بل يرتبهم على القرب والحاجة، ولهذا أتى فيه بأفعل التفضيل.

\*\*صحيح البخاري

3936 - عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:

عَادَنِي النَّبِيُّ ﷺ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ مِنْ مَرَضٍ أَشْفَيْتُ مِنْهُ عَلَى الْمَوْتِ،  
فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَلِّغْ بِي مِنَ الْوَجَعِ مَا تَرَى، وَأَنَا ذُو مَالٍ،  
وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ لِي وَاحِدَةٌ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلْثِي مَالِي؟

قَالَ: «لَا»، قَالَ: فَأَتَصَدَّقُ بِشَطْرِهِ؟

قَالَ: «الثُّلُثُ يَا سَعْدُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ،

إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ ذُرِّيَّتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ  
وَلَسْتَ بِنَافِقٍ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ،

إِلَّا آجَرَكَ اللَّهُ بِهَا حَتَّى اللَّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ» ( )

(حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ)

دل على وجوب ذلك، لأن الحق هو: الثابت،

---

(أشفيت منه) أشرفت من الوجع منه.

(ذو مال) صاحب مال كثير.

(ورثتك) وفي رواية (ذريتك).

و قد جعله الله من موجبات التقوى.

✽ واعلم أن جمهور المفسرين يرون أن هذه الآية منسوخة بآية الموارث،

✽ وبعضهم يرى أنها في الوالدين والأقربين غير الوارثين،

مع أنه لم يدل على التخصيص بذلك دليل،

و الأحسن في هذا أن يقال:

○ إن هذه الوصية للوالدين والأقربين مجملة، ردها الله تعالى إلى العرف الجاري.

○ ثم إن الله تعالى قدر للوالدين الوارثين وغيرهما من الأقارب الوارثين

هذا المعروف في آيات الموارث،

بعد أن كان مجملا

وبقي الحكم فيمن لم يرثوا من الوالدين الممنوعين من الإرث وغيرهما

ممن حجب بشخص أو وصف

فإن الإنسان مأمور بالوصية لهؤلاء وهم أحق الناس بیره،

وهذا القول تتفق عليه الأمة، ويحصل به الجمع بين القولين المتقدمين،

لأن كلا من القائلين بهما كل منهم لحظ ملحظا، واختلف المورد.

فبهذا الجمع، يحصل الاتفاق، والجمع بين الآيات،

لأنه مهما أمكن الجمع كان أحسن من ادعاء النسخ،

الذي لم يدل عليه دليل صحيح.

\*\*\* بَقِيَ الْأَقْرَابُ الَّذِينَ لَا مِيرَاثَ لَهُمْ، يُسْتَحَبُّ لَهُ أَنْ يُوصَى لَهُمْ مِنَ الثَّلَاثِ،  
 اسْتِثْنَاءً بِآيَةِ الْوَصِيَّةِ وَشُمُولِهَا  
 وَالْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ بِالْأَمْرِ بِبِرِّ الْأَقْرَابِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، كَثِيرَةٌ جِدًّا.  
 ولما كان الموصي قد يمتنع من الوصية، لما يتوهمه أن من بعده،  
 قد يبدل ما وصى به قال تعالى:

(فَمَنْ بَدَّلَهُ)

أي: الإيذاء للمذكورين أو غيرهم  
 \*\*\*فَمَنْ بَدَّلَ الْوَصِيَّةَ وَحَرَّفَهَا، فَغَيَّرَ حُكْمَهَا وَزَادَ فِيهَا أَوْ نَقَصَ -  
 وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْكِتْمَانُ لَهَا بِطَرِيقِ الْأَوْلَى  
 (بَعْدَ مَا سَمِعَهُ)

أي: بعدما عقله، وعرف طريقه وتنفيذه،

(فَأَنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ)

وإلا فالموصي وقع أجره على الله، وإنما الإثم على المبدل المغير.

(إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ)

يسمع سائر الأصوات، ومنه سماعه لمقالة الموصي ووصيته،  
 فينبغي له أن يراقب من يسمعه ويراه، وأن لا يجور في وصيته،

(عَلِيمٌ) بنيته، وعليم بعمل الموصي إليه،

فإذا اجتهد الموصي، وعلم الله من نيته ذلك، أثابه و لو أخطأ،

وفيه التحذير للموصى إليه من التبديل،  
فإن الله عليم به، مطلع على ما فعله، فليحذر من الله،  
هذا حكم الوصية العادلة.

فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ  
 رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ  
 مِنْ قَبْلِكُمْ لِمَلَّكُمْ تَنَفُّونَ ﴿١٨٣﴾ آيَاتًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ  
 عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ  
 فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾  
 شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ  
 الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ  
 عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ  
 الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ  
 تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ  
 إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾

\*\*\*اَشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةَ عَلَى الْأَمْرِ بِالْوَصِيَّةِ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ.  
 وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ وَاجِبًا -عَلَى أَصْحَ الْقَوَائِنِ -قَبْلَ نُزُولِ آيَةِ الْمَوَارِيثِ،  
 فَلَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الْفَرَائِضِ نَسَخَتْ هَذِهِ،  
 وَصَارَتْ الْمَوَارِيثُ الْمُقَدَّرَةُ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ،  
 يَأْخُذُهَا أَهْلُهَا حَتْمًا مِنْ غَيْرِ وَصِيَّةٍ وَلَا تَحْمِلُ مَتَّةَ الْمُوصِي،  
 وَلِهَذَا جَاءَ الْحَدِيثُ فِي السُّنَنِ وَعَظِيرَهَا  
 سنن الترمذي ت شاکر

2121 - عَنْ عَمْرِو بْنِ خَارِجَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ عَلَى نَاقَتِهِ  
 وَأَنَا تَحْتَ جَرَانِهَا وَهِيَ تَفْصَعُ بِجَرَّتِهَا،  
 وَإِنَّ لِعَابِهَا يَسِيلُ بَيْنَ كَتْفَيْي فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ  
 «إِنَّ اللَّهَ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَلَا وَصِيَّةَ لِمَوَارِيثٍ»  
 \*\*\*وَهَذَا يَشْمَلُ أَنْوَاعَ الْخَطَا كُلِّهَا، بِأَنْ زَادَ وَارِثًا بِوَاسِطَةٍ أَوْ وَسِيلَةٍ،  
 كَمَا إِذَا أَوْصَى بِبَيْعِهِ الشَّيْءَ الْفُلَانِي مَحَابَاةً،  
 أَوْ أَوْصَى لِابْنِ ابْنَتِهِ لِيَزِيدَهَا،  
 أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْوَسَائِلِ، إِمَّا مُخْطِئًا غَيْرَ عَامِدٍ،  
 بَلْ بِطَبْعِهِ وَقُوَّةِ شَفَقَتِهِ مِنْ غَيْرِ تَبَصُّرٍ، أَوْ مُتَعَمِّدًا آثِمًا فِي ذَلِكَ،  
 فَلِلْوَصِيِّ -وَالْحَالَةُ هَذِهِ -أَنْ يُصْلِحَ الْقَضِيَّةَ  
 وَيَعْدَلَ فِي الْوَصِيَّةِ عَلَى الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ.  
 وَيَعْدَلَ عَنِ الَّذِي أَوْصَى بِهِ الْمَيِّتُ إِلَى مَا هُوَ أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ إِلَيْهِ  
 وَأَشْبَهُ الْأُمُورِ بِهِ جَمْعًا بَيْنَ مَقْصُودِ الْمُوصِي وَالطَّرِيقِ الشَّرْعِيِّ.  
 وَهَذَا الْإِصْلَاحُ وَالتَّوْفِيقُ لَيْسَ مِنَ التَّبْدِيلِ فِي شَيْءٍ.  
 وَلِهَذَا عَطَفَ هَذَا -فَبَيْنَهُ -عَلَى النَّهْيِ لِذَلِكَ،  
 لِيُعْلَمَ أَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ بِسَبِيلٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ)

وأما الوصية التي فيها حيف و جنف، و إثم،

فينبغي لمن حضر الموصي وقت الوصية بها،

1- أن ينصحه بما هو الأحسن والأعدل،

2- وأن ينهاه عن الجور

و الجنف:-

وهو: الميل بها عن خطأ، من غير تعمد،

و الإثم: وهو التعمد لذلك.

فإن لم يفعل ذلك، فينبغي له أن يصلح بين الموصي إليهم،

ويتوصل إلى العدل بينهم على وجه التراضي والمصالحة،

ووعظهم بتبرئة ذمة ميتهم فهذا قد فعل معروفًا عظيمًا،

وليس عليهم إثم، كما على مبدل الوصية الجائزة، ولهذا قال:

**﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾**

أي: يغفر جميع الزلات، ويصفح عن التبعات لمن تاب إليه،

ومنه مغفرته لمن غض من نفسه،

وترك بعض حقه لأخيه،

لأن من سامح، سامحه الله، غفور لميتهم الجائر في وصيته،

إذا احتسبوا بمسامحة بعضهم بعضاً لأجل براءة ذمته،



عباده، حيث شرع لهم كل أمر به يتراحمون ويتعاطفون،

فدلت هذه الآيات على:-

- 1- الحث على الوصية،
- 2- وعلى بيان من هي له،
- 3- وعلى وعيد المبدل للوصية العادلة،
- 4- والترغيب في الإصلاح في الوصية الجائرة.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ. وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ

وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ

يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

(يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ

\*\*\*صحيح البخاري

1905 - عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي، مَعَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ:

كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ:

«مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَخْصَنُ لِلْفَرْجِ،

وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ» ( )

يخبر تعالى بما من به على عباده، بأنه فرض عليهم الصيام،

كما فرضه على الأمم السابقة،

لأنه من الشرائع والأوامر التي هي مصلحة للخلق في كل زمان.

وفيه تنشيط لهذه الأمة، بأنه ينبغي لكم أن تنافسوا غيركم في تكميل الأعمال،

والمسارعة إلى صالح الخصال،

وأنه ليس من الأمور الثقيلة، التي اختصتيم بها.

ثم ذكر تعالى حكمته في مشروعية الصيام فقال:

(لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

(العزوبة) العزب من لا زوج له والعزبة من لا زوج لها أي خاف أن يقع في الزنا لعدم

الزواج وبعده عنه.

(الباءة) هي في اللغة الجماع والتقدير من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤن النكاح وقيل

المراد بالباءة هنا مؤن الزواج.

(أغض للبصر) أَدْعَى إِلَى غَضِّ الْبَصْرِ.

(أحصن للفرج) أَدْعَى إِلَى إِحْصَانِ الْفَرْجِ أَي حَفْظِهِ مِنَ الزَّانَا.

(وجاء) قاطع للشهوة]

فإن الصيام من أكبر أسباب التقوى،  
لأن فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه.  
فمما اشتمل عليه من التقوى:-

1- أن الصائم يترك ما حرم الله عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها،  
التي تميل إليها نفسه، متقرباً بذلك إلى الله، راجياً بتركها، ثوابه،  
فهذا من التقوى.

2- أن الصائم يدرّب نفسه على مراقبة الله تعالى، فيترك ما تهوى نفسه،  
مع قدرته عليه، لعلمه باطلاع الله عليه،

3- أن الصيام يُضيق مجاري الشيطان، فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم،  
فبالصيام، يضعف نفوذه، وتقل منه المعاصي،

4- أن الصائم في الغالب، تكثّر طاعته، والطاعات من خصال التقوى

5- أن الغني إذا ذاق ألم الجوع، أوجب له ذلك، مواساة الفقراء المعدمين،  
وهذا من ((خصال التقوى)).

ولما ذكر أنه فرض عليهم الصيام، أخبر أنه

**(أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ)**

أي: قليلة في غاية السهولة.

ثم سهل تسهيلاً آخر. فقال:

**(فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ)**

وذلك للمشقة، في الغالب، رخص الله لهما، في الفطر.  
ولما كان لا بد من حصول مصلحة الصيام لكل مؤمن،  
أمرهما أن يقضياه في أيام آخر إذا زال المرض، وانقضى السفر، وحصلت  
الراحة. و في قوله:

**(فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ)**

فيه دليل على أنه يقضي عدد أيام رمضان، كاملا كان، أو ناقصا،  
وعلى أنه يجوز أن يقضي أياما قصيرة باردة، عن أيام طويلة حارة كالعكس.

وقوله: **(وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ)**

أي: يطيقون الصيام

**(فَدِيَةٌ)**

عن كل يوم يفطرونه

**(طَعَامٌ مِّسْكِينٍ)**

وهذا في ابتداء فرض الصيام، لما كانوا غير معتادين للصيام،  
وكان فرضه حتما، فيه مشقة عليهم، درجهم الرب الحكيم، بأسهل طريق،  
وخير المطيق للصوم بين أن يصوم، وهو أفضل، أو يطعم،

**(فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ.)**

\* أيسر التفاسير: زاد على المُدِين (□) أو أطعم أكثر من مسكين فهو خير له.  
ولهذا قال:

(وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ) .

ثم بعد ذلك، جعل الصيام حتما على المطيق وغير المطيق، يفطر ويقضيه في أيام آخر وقيل:  
(وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ)

أي: يتكلفونه، و يشق عليهم مشقة غير محتملة، كالشيخ الكبير، فدية عن كل يوم مسكين و هذا هو الصحيح .

(إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ)

أي: الصوم المفروض عليكم، هو شهر رمضان، الشهر العظيم، الذي قد حصل لكم فيه من الله الفضل العظيم، وهو القرآن الكريم،

\*\*\*كقوله ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ القدر: ١

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ الدخان: ٣

(هُدًى لِّلنَّاسِ)

---

هل الواجب مد أو مدان خلاف، فمن الفقهاء من يرى مدين، ومنهم من يرى مدأ واحداً، والمد: الحفنة بحفنة الرجل المعتدل بين القصر والطول.

\*\*\*هدي لقلوب العباد ممن آمن به و صدقه

(وَيَبِّئْتَنِي مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ )

-المشتمل على الهداية لمصالحكم الدينية و الدنيوية،

و تبيين الحق بأوضح بيان،

و الفرقان بين الحق و الباطل،

و الهدى و الضلال،

و أهل السعادة و أهل الشقاوة.

\*\*\*وَدَلَّائِلُ وَحُجَجٌ بَيِّنَةٌ وَآضِحَةٌ جَلِيَّةٌ لِمَنْ فَهَمَهَا وَتَدَبَّرَهَا دَالَّةٌ عَلَى صِحَّةِ

مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْهُدَى الْمُنْتَفِي لِلضَّلَالِ،

وَ الرَّشْدِ الْمُخَالَفِ لِلْغَيِّ،

وَ مُفْرَقًا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْحَرَامِ.

-فحقيق بشهر، هذا فضله، وهذا إحسان الله عليكم فيه،

أن يكون موسما للعباد مفروضا فيه الصيام.

فلما قرره، وبين فضيلته، و حكمة الله تعالى في تخصيصه قال:

(فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ )

\*\*\*وَنَسَخَتْ هَذِهِ آيَةُ الْإِبَاحَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ لِمَنْ كَانَ صَاحِبًا مُقِيمًا أَنْ يُفْطَرَ

وَيُقَدِّي بِإِطْعَامِ مَسْكِينٍ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ، كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ

-هذا فيه تعيين الصيام على القادر الصحيح الحاضر.

**(وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَتْيَا أُخْرَ)**

ولما كان النسخ للتخيير، بين الصيام والفداء خاصة،  
أعاد الرخصة (( للمريض )) و (( المسافر )) لئلا يتوهم أن الرخصة أيضا منسوخة  
\*\*\* مع تحتمه في حق المقيم الصحيح تيسيرا عليكم و رحمة بكم

**(يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)**

أي: يريد الله تعالى أن ييسر عليكم الطرق الموصلة إلى رضوانه أعظم تيسير،  
ويسهلها أشد تسهيل،

ولهذا كان جميع ما أمر الله به عباده في غاية السهولة في أصله.  
و إذا حصلت بعض العوارض الموجبة لثقله، سهّله تسهيلات أخرى،  
إما بإسقاطه، أو تخفيفه بأنواع التخفيفات.  
وهذه جملة لا يمكن تفصيلها، لأن تفاصيلها، جميع الشرعيات،  
ويدخل فيها جميع الرخص والتخفيفات.

**(وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ)**

وهذا - والله أعلم - لئلا يتوهم متوهم،  
أن صيام رمضان، يحصل المقصود منه ببعضه،  
دفع هذا الوهم بالأمر بتكميل عدته،  
ويشكر الله تعالى عند إتمامه على توفيقه وتسهيله وتيسينه لعباده،

**(وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتَكُمْ)**

و بالتكبير عند انقضائه،

و يدخل في ذلك التكبير عند رؤية هلال شوال إلى فراغ خطبة العيد.

\*\*\*كقوله ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ مِنْ سِجِّكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾

أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴿البقرة: ٢٠٠﴾

\*\*\*﴿فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ

كثيْرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الجمعة: ١٠

\*\*\*وَلِهَذَا جَاءَتِ السُّنَّةُ بِاسْتِحْبَابِ التَّسْبِيحِ، وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّكْبِيرِ بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَاتِ.

\*\*\*صحيح البخاري

842 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:

«كُنْتُ أَعْرِفُ انْقِضَاءَ صَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ بِالتَّكْبِيرِ»

(وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

\*\*\* إِذَا قُمْتُمْ مِمَّا أَمَرَكُمُ اللَّهُ مِنْ طَاعَتِهِ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَتَرَكِ مَحَارِمِهِ، وَحَفِظِ حُدُودَهُ، فَلَعَلَّكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ الشَّاكِرِينَ بِذَلِكَ.

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ

فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ

\*\*\* صحيح مسلم

(2704) عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ:



كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ،  
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا،  
إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ»  
قَالَ وَأَنَا خَلْفَهُ، وَأَنَا أَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ،  
فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ،  
فَقُلْتُ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: " قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ " ( )  
\*\*\* صحيح مسلم

(2675) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:  
" إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي "  
\*\*\* مشكاة المصابيح

2259 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:  
" مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِلَهُمْ وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمَ  
إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ:  
1- إِمَّا أَنْ يُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ  
2- وَ إِمَّا أَنْ يَدْخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ  
3- وَ إِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا "  
قَالُوا: إِذَنْ نَكْثُرُ قَالَ: «اللَّهُ أَكْثَرُ». رَوَاهُ أَحْمَدُ -

---

(اربعوا) معناه ارفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم  
فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان لبعد من يخاطبه لئلا يسمعه  
وأنتم تدعون الله تعالى وليس هو بأصم ولا غائب بل هو سميع قريب

\*\*\* صحيح البخاري

6340 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

" يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي ( )  
\*\*\* وَفِي ذِكْرِهِ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةُ الْبَاعِثَةُ عَلَى الدُّعَاءِ، مُتَخَلِّلَةً بَيْنَ أَحْكَامِ

الصِّيَامِ، إِرْشَادٌ إِلَى الْاجْتِهَادِ فِي الدُّعَاءِ عِنْدَ إِكْمَالِ الْعِدَّةِ،  
بَلْ وَعِنْدَ كُلِّ فِطْرٍ، كَمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ فِي مُسْنَدِهِ:

\*\*\* مسند أبي داود الطيالسي

2376 - ، عن عبد الله بن عمرو قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

«لِلصَّائِمِ عِنْدَ إِفْطَارِهِ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ»

فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو إِذَا أَفْطَرَ دَعَا أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ وَدَعَا

- هذا جواب سؤال، سأل النبي ﷺ بعض أصحابه فقالوا:

يا رسول الله، أقرب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فنزل:

**(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ)**

لأنه تعالى، الرقيب الشهيد، المطلع على السر وأخفى،

يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فهو قريب أيضا من داعيه، بالإجابة،

ولهذا قال:

**(أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)**

- و الدعاء نوعان:-

(يستجاب لأحدكم) يجاب دعاؤه.

(ما لم يعجل) يسأم ويترك الدعاء أو يستبطن الإجابة

1- دعاء عبادة

2- و دعاء مسألة.

- و القرب نوعان:-

1- قرب بعلمه من كل خلقه،

2- وقرب من عابديه وداعيه ((بالإجابة و المعونة والتوفيق))

- فمن دعا ربه بقلب حاضر، ودعاء مشروع، ولم يمنع مانع من إجابة الدعاء، كأكل الحرام ونحوه، فإن الله قد وعده بالإجابة،

**(فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي)**

وخصوصا إذا أتى بأسباب إجابة الدعاء،

وهي الاستجابة لله تعالى :-

1- بالانقياد لأوامره ونواهيهِ ((القولية والفعالية))

2- والإيمان به، الموجب للاستجابة، فلهذا قال:

**(لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)**

أي: يحصل لهم الرشد الذي هو الهداية للإيمان والأعمال الصالحة،

ويزول عنهم الغي المنافي للإيمان والأعمال الصالحة.

ولأن الإيمان بالله والاستجابة لأمره، سبب لحصول العلم كما قال تعالى:

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنَقَّوْا لِلَّهِ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ الأنفال: ٢٩

## من أوجه الإعجاز العلمي في الصيام

د. عبد الجواد الصاوي

يعتقد كثير من الناس أن للصيام تأثيراً سلبياً على صحتهم، وينظرون إلى أجسامهم نظرتهم إلى الآلة الصماء، التي لا تعمل إلا بالوقود، وقد اصطلحوا على أن تناول ثلاث وجبات يومية، أمر ضروري لحفظ حياتهم، وأن ترك وجبة طعام واحدة سيكون لها من الأضرار والأخطار الشيء الكثير كنتيجة طبيعية للجهل العلمي، بطبيعة الصيام الإسلامي وفوائده المحققة وفي هذه المقالة سنلقي الضوء على أوجه الإعجاز العلمي في الصيام.

### ☆الوجه الأول: الوقاية من العلل والأمراض:

أخبر الله سبحانه وتعالى أنه فرض علينا الصيام وعلى كل أهل الممل قبلنا، لنكتسب به التقوى الإيمانية التي تحجزنا عن المعاصي والآثام، ولنتوقى به كثيراً من الأمراض والعلل الجسمية والنفسية، قال تعالى:

{ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم

لعلكم تتقون } [البقرة 183]

\*\*\*صحيح مسلم

1151 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الصَّيَامُ جُنَّةٌ» ( )

وقد ثبت من خلال الأبحاث الطبية بعض الفوائد الوقائية للصيام ضد كثير من الأمراض والعلل الجسمية والنفسية، منها على سبيل المثال لا الحصر:

(الصيام جنة) معناه ستره ومانع من الرفث والأثام ومانع أيضاً من النار ومنه المجن وهو

الترس ومنه الجن لاستتارهم]

## 1- يقوي الصيام جهاز المناعة:-

فيقي الجسم من أمراض كثيرة، حيث يتحسن المؤشر الوظيفي للخلايا للمفاوية عشرة أضعاف،

كما تزداد نسبة الخلايا المسئولة عن المناعة النوعية (T.lymphocytes) زيادة كبيرة، كما ترتفع بعض أنواع الأجسام المضادة في الجسم، وتنشط الردود المناعية نتيجة لزيادة البروتين الدهني منخفض الكثافة ( )

## 2- الوقاية من مرض السمنة وأخطارها:-

حيث إنه من المعتقد أن السمنة كما قد تنتج عن خلل في تمثيل الغذاء، فقد تتسبب عن ضغوط بيئية أو نفسية أو اجتماعية، وقد تتضافر هذه العوامل جميعاً في حدوثها، وقد يؤدي الاضطراب النفسي إلى خلل في التمثيل الغذائي، وكل هذه العوامل التي يمكن أن تنجم عنها السمنة، يمكن الوقاية منها بالصوم من خلال الاستقرار النفسي والعقلي الذي يتحقق بالصوم نتيجة الجو الإيماني الذي يحيط بالصائم، وكثرة العبادة والذكر، وقراءة القرآن، والبعد عن الانفعال والتوتر، وضبط النوازع والرغبات، وتوجيه الطاقات النفسية والجسمية توجيهاً إيجابياً نافعاً.

## 3- يقي الصيام الجسم من تكون حصيات الكلى:-

إذ يرفع معدل الصوديوم في الدم فيمنع تبلور أملاح الكالسيوم، كما أن زيادة مادة البولينا في البول، تساعد في عدم ترسب أملاح البول، التي تكون حصيات المسالك البولية ( )

4- يقي الصيام الجسم من أخطار السموم المتراكمة في خلاياه، وبين أنسجته، من جراء تناول الأطعمة، وبين أنسجته، من جراء تناول الأطعمة، وخصوصاً المحفوظة والمصنعة منها وتناول الأدوية واستنشاق الهواء الملوث بهذه السموم ( )

5- يخفف الصيام ويهدئ ثورة الغريزة الجنسية، وخصوصاً عند الشباب، وبذلك يقي الجسم من الإضرابات النفسية والجسمية، والانحرافات السلوكية، وذلك تحقيقاً للإعجاز في حديث النبي ﷺ "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء" إذا التزم الشاب الصيام وأكثر منه وذلك لقوله النبي ﷺ "فعليه بالصوم" أي فليكثر من الصوم المتواصل ( ) - وقد وُجد أن الإكثار من الصوم مع الاعتدال في الطعام والشراب، وبذل الجهد المعتاد ((الذي)) يقترب من الصيام المتواصل، ويجني الشاب فائدته في تثبيط غرائزه المتأججه بيسر، كما لا يتعرض إلى أخطار هذا النوع من الصيام. وهذا البحث يجلي بوضوح الإعجاز في قول النبي ﷺ "فإنه له وجاء" من وجهين:

### الأول:

الإشارة إلى أن الخصيتين هما مكان إنتاج عوامل الإثارة الجنسية، حيث أن معنى الوجاء ( ) أن ترض أنثيا الفحل ( خصيتاه ) رضاً شديداً،

---

(د. فاهم عبد الرحيم وآخرون. تأثير الصيام الإسلامي على مرضى الكلى والمسالك البولية، نشرة الطب الإسلامي، العدد الرابع - أعمال وأبحاث المؤتمر العالمي الرابع عن الطب الإسلامي - منظمة الطب الإسلامي، الكويت، 1407هـ - 1986، ص707-714).

(الصيام معجزة علمية. د. عبد الجواد الصاوي ص 1223، 144 - 1413هـ - 1992م ط 1 دار القبلة).

( K. Inesh, Beitins, Thomas, Badger et al (1981) Reproductive Function during Faasting -Men.J. of clin )

(endocrin and Metabol. 53: 258 - 266)

يذهب شهوة الجماع، ويتنزل في قطعة منزلة الخَصِي  
وقد ثبت أن في الخصيتين خلايا متخصصة في إنتاج هرمون التيستوستيرون  
(Testosterone) وهو الهرمون المحرك و المثير للرجبة الجنسية،  
وأن قطع الخصيتين (الخَصِي) يذهب هذه الرغبة، ويخمدتها تماماً.  
الثاني:

إن الإكثار من الصوم مثبط للرغبة الجنسية وكابح لها،  
وقد ثبت في هذا البحث هبوط مستوى هرمون الذكورة ( التيستوستيرون)،  
هبوطاً كبيراً أثناء الصيام المتواصل،  
بل وبعد إعادة التغذية بثلاثة أيام، ثم ارتفع ارتفاعاً كبيراً بعد ذلك،  
وهذا يؤكد أن الصيام له القدرة على كبح الرغبة الجنسية مع تحسينها  
بعد ذلك،  
وهذا يؤكد فائدة الصوم في زيادة الخصوبة عند الرجل بعد الإفطار.  
فالصيام يقوي جهاز المناعة ويقي الجسم من تكون حصيات الكلى.  
☆ الوجه الثاني: { وأن تصوموا خير لكم }

بعد أن أخبرنا الله سبحانه وتعالى، وأخبرنا رسوله ﷺ أن الصيام يحقق لنا  
وقاية من العلل الجسمية والنفسية،  
ويشكل حاجزاً وسترأً لنا من عقاب الله، أخبرنا جل في علاه أن في الصيام خيراً  
ليس للأصحاء المقيمين فقط،  
بل أيضاً للمرضى والمسافرين، والذين يستطيعون الصوم بمشقة،  
ككبار السن ومن في حكمهم،

{ أياماً معدودات في من كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون }

[البقرة: 184] أي فضيلة الصوم وفوائده ( )  
وذلك لعموم اللفظ و وذلك في قوله تعالى

{ وأن تصوموا خير لكم }

وقد تجلت هذه الفوائد واستقر خبرها في زماننا هذا،  
لمن أوجب الله عليهم الصيام، ولمن أطاقوه من أهل الرخص،  
الذين يستطيعون تناول وجبتي الفطور والسحور كأصحاء.  
بعض الأمراض الخطرة التي كان يخشى عليها من الصيام:-  
\*كان وما زال الأطباء يعتقدون أن الصيام يؤثر على مرضى المسالك البولية،  
وخصوصاً الذين يعانون من تكوين الحصيات،  
أو الذين يعانون من تكوين الحصيات،  
أو الذين يعانون من فضل كلوي فينصحون مرضاهم بالفطر وتناول كميات  
كبيرة من السوائل.

وقد ثبت خلاف ذلك، إذ ربما كان الصيام سبباً في عدم تكون بعض  
الحصيات، وإذابة بعض الأملاح،  
ولم يؤثر الصيام مطلقاً حتى علي من يعانون أخطر الأمراض الجهاز البولي،  
وهو مرض الفشل الكلوي مع الغسيل المتكرر .

5- كان يعتقد أن فقدان النسبي لسوائل الجسم، وانخفاض عدد ضربات  
القلب، وزيادة الإجهاد أثناء الصوم يؤثر تأثيراً سلبياً على التحكم في منع



تجلط الدم، وهو من آخر الأمراض، وقد ثبت أن الصيام الإسلامي لا يؤثر على ذلك في المرضى الذين يتناولون الجرعات المحددة من العلاج ( ) \* ثبت أن الصيام لا يشكل خطراً على معظم مرضى السكر، إن لم يكن يفيد الكثيرين منهم ( )

## بعض الأمــــــــــــــــــــراض التي يعالجها الصيام

### يعالج الصيام عدداً من الأمراض الخطيرة أهمها:

أ- الأمراض الناتجة عن السمنة: كمرض تصلب الشرايين، وضغط الدم، وبعض أمراض القلب .

ب- يعالج بعض أمراض الدورة الدموية الطرفية مثل:

مرض الرينود (Raynaud's disease) ومرض برجر ( )

ج- يعالج الصيام المتواصل الطبي مرض إلتهاب المفاصل المزمن الروماتويد ( )

د- يعالج الصيام الإسلامي ارتفاع حموضة المعدة، وبالتالي يساعد في التئام قرحة المعدة مع العلاج المناسب ( )

هـ- لا يسبب الصيام أي خطر على المرضعات، أو الحوامل، ولا يغير من التركيب الكيميائي، أو التبدلات الاستقلابية في الجسم عند المرضعات، وخلال الشهور الأولى والمتوسطة من الحمل ( )

---

Jalal Saour, Does Ramadan fasting complicate anticoagulant therapy? Fasting: its effects on health and diseases basic )

.(principles and clinical practice (Abstracts ) college of Medicine King Saudi University. Riyadh, December /1990. 5

Sulimami RA. Famuyiwa FO, Laagan MA. Diabetes mellitus and Ramadan fasting (1988): the need for critical appraisal. )

.(Diabetic Medicine 8:549-552

.(S.M. Bakir (1991) Can fasting in Ramadan help in some periphral vascular diseases? JIMA: VOL. 23: 163 - 164)

A N N. Mariuden. I. Trang. N venizelos, and pamblad. (1983) Neutrophil functions and clinical performance after total )

.(fasting in patients with rheumatis. Annals of rheumatic diseases. 42: 54 - 51

Muazzam MG., Ali M. N. and Husain A. (1963) Observations on the effects of Ramadan Fasting on Gasric acidity. The )

.(.Meducus, 25:228

.( .Prentice, AM ; prentice, A, Lamb WH, Lunn PG: (1983) Austins, Hum Nutr clin Nutr 37 (4) 283 - 94 ).

## فـــــــوائد أخرى تجنى بالصوم:

1- يمكن الصيام آليات الهضم والامتصاص في الجهاز الهضمي وملحقاته، من أداء وظائفها على أتم وأكمل وجه، وذلك بعدم إدخال الطعام والشراب على الوجبة الغذائية، أثناء هضمها وامتصاصها.

كما يتيح الصيام راحة فسيولوجية للجهاز الهضمي وملحقاته، وذلك بمنع تناول الطعام والشراب لفترة زمنية، تتراوح من 9 - 11 ساعة بعد امتصاص الغذاء كما تستريح آليات الامتصاص في الأمعاء طوال هذه الفترة من الصيام .

وتتمكن الانقباضات الخاصة ( Migrating Motor Complex ) بتنظيف الأمعاء، من عملها المستمر دون توقف ( )

2- يمكن الصيام الغدد الصماء ذات العلاقة بعمليات الاستقلاب، في فترة ما بعد الامتصاص، ومن أداء وظائفها، في تنظيم وإفراز هرموناتها الحيوية على أتم حال، وذلك بتنشيط آليات التثبيط والتنبية لها يومياً، ولفترة دورية ثابتة، ومتغيرة طوال العام،

وبالتالي يحصل توازن بين الهرمونات المتضادة في العمل، مثل هرموني: النمو والإنسولين، كهرمونات بناء من ناحية، وهرموني: الجلوكاجون والكوريتزول، كهرمونات هدم من ناحية أخرى، والذي يتوقف على توازنها الدقيق، تركيز الأحماض الأمينية في الدم، توازن الاستقلاب.

3- ينشط الصيام آليات الاستقلاب أو التمثيل الغذائي في البناء والهدم للجلوكوز والدهون، والبروتينات في الخلايا، لتقوم بوظائفها على أكمل وجه.

4- أما إذا اقتصر الجسم على البناء فقط، وكان همه التخزين للغذاء في داخله، فإن آليات البناء تغلب آليات الهدم، فيعتري الأخيرة - لعدم استعمالها بكامل طاقتها -، وهن تدريجي، تظهر ملامحه عند تعرض الجسم لشدة مفاجئة، بانقطاع الطعام عنه في الصحة، أو المرض، فقد لا يستطيع هذا الإنسان مواصلة حياته، أو مقاومة مرضه .

- 5- يحسن الصيام خصوبة المرأة والرجل على السواء ( )
- 6- يستفيد الإنسان من العطش أثناء الصيام استفادة كبيرة، حيث يساعد في إمداد الجسم بالطاقة، وتحسين القدرة على التعلم، وتقوية الذاكرة .
- 7- تتهدم الخلايا المريضة والضعيفة في الجسم عندما يتغلب الهدم على البناء أثناء الصيام، وتتجدد الخلايا أثناء مرحلة البناء .
- 8- كذلك فإن أداء الصيام الإسلامي طاعة لله وخشوعاً له، ورجاء فيما عنده سبحانه من الأجر والمثوبة، لعمل ذو فائدة جمّة لنفس الإنسان وجسمه، حيث يبث في النفس السكينة والطمأنينة، وينعكس هذا بدوره على آليات الاستقلاب فيجعلها تتم في أوفق وأيسر وأنفع السبل، مما يعود بالنفع والفائدة على الجسم إن الصيام كإقتناع فكري وممارسة عملية، يقوي لدى الإنسان كثيراً من جوانبه النفسية، فيقوي لديه:-  
الصبر، والجلد، وقوة الإرادة، وضبط النوازع والرغبات،

ويضفي على نفسه السكينة والرضا والفرح...

وقد أخبر بذلك النبي ﷺ فقال: " للصائم فرحتان يفرحهما:

إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه " متفق عليه.

9- ثبت بالدليل العلمي القاطع أن الصيام الإسلامي

ليس له أي تأثير سلبي على الأداء العضلي وتحمل المجهود البدني،

بل بالعكس أظهرت نتائج البحث القيم الذي أجراه الدكتور أحمد القاضي

وزملاؤه دليل جديد على الإعجاز العلمي لحديث " صوموا تصحوا "

وأية { وإن تصوموا خير لكم }

بالولايات المتحدة الأمريكية أن درجة تحمل المجهود البدني

وبالتالي كفاءة الأداء العضلي

قد ازداد بنسبة 200% عند 30% من أفراد التجربة،

و7% عند 40% منهم،

وتحسنت سرعة دقات القلب بمقدار 9%،

كما تحسنت درجة الشعور بإرهاق الساقين بمقدار 11%. ( )

وهذا يبطل المفهوم الشائع عند كثير من الناس من أن الصيام يضعف

المجهود البدني، ويؤثر على النشاط فيقضون معظم النهار في النوم والكسل.

☀️ الوجه الثالث: يسر الصيام الإسلامي وسهولته:

تشير الدراسات العلمية المحققة، في وظائف أعضاء الجسم،

أثناء مراحل التجويع، إلى يسر الصيام الإسلامي وسهولته،

تحقيقاً لقوله تعالى:

{ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر } [ البقرة: 185 ]

وفي تفسير الآية قال الرازي: إن الله تعالى أوجب الصوم على سبيل السهولة واليسر، وما أوجبه إلا في مدة قليلة من السنة، ثم ما أوجب هذا القليل على المريض ولا على المسافر ( ) كما يتجلى يسر الصيام الإسلامي في إمداد الجسم بجميع احتياجاته الغذائية، وعدم حرمانه من كل ما هو لازم ومفيد له، فالإنسان في هذا الصيام، يمتنع عن الطعام والشراب فترة زمنية محدودة، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وله حرية المطعم والمشرب من جميع الأغذية والأشربة المباحة ليلاً، ويعتبر الصيام الإسلامي بهذا تغييراً لمواعيد تناول الطعام والشراب فحسب فلم يفرض الله سبحانه الانقطاع الكلي عن الطعام لمدة طويلة، أو حتى لمدة يوم وليلة، تيسيراً وتخفيفاً على أمة خاتم الأنبياء ﷺ، وقد تجلى هذا اليسر بعد تقدم وسائل المعرفة والتقنية في هذا العصر. فقد قسمت المراجع الطبية التجويع إلى ثلاث مراحل:-

1-مرحلة مبكرة 2-ومتوسطة 3-وطويلة الأجل ( )

وتقع المرحلة المبكرة بعد نهاية فترة امتصاص آخر وجبة ( أي بعد حوالي 5 ساعات من الأكل ) وحتى نهاية فترة ما بعد الامتصاص والتي تتراوح مدتها حوالي 12 ساعة، وقد تمتد إلى 40 ساعة عند بعض العلماء، في هذه الفترة يقع الصيام الإسلامي كما يقع في فترة امتصاص الغذاء، وهذه الفترة من الانقطاع عن الطعام آمنة تماماً بالمقاييس العلمية،

(التفسير الكبير للرازي 82/2 ط3 دار الباز).

J. Hywel Thomas and Brian Gillham, Will's Biochemical Basis of Medicine - 2nd Edition, (1989), Landon. pp 97-114 , 272- )

فالجلوكوز هو الوقود الوحيد للمخ، والدهون لا تتأكسد بالقدر الذي يولد أجساماً كيتونية بالدم أثناء هذه الفترة، كما لا يستهلك البروتين في إنتاج الطاقة بالقدر الذي يحدث خلافاً في التوازن النروجيني في الجسم.

مما حدا بعض العلماء أن يسقط فترة ما بعد الامتصاص من مراحل التجويع أصلاً، وهذه الحقيقة تجعل الصيام الإسلامي متفرداً في يسره وسهولته عكس مراحل التجويع الأخرى.

من خلال عرض الحقائق السابقة، ندرك أن مدة الصيام الإسلامي والتي تتراوح من 12-16 ساعة في المتوسط يقع جزء منها في فترة الامتصاص، ويقع معظمها في فترة ما بعد الامتصاص، ويتوفر فيها تنشيط جميع آليات الامتصاص والاستقلاب بتوازن، فتنشط آلية تحلل الجليكوجين، وأكسدة الدهون، وتحللها وتحلل البروتين، وتكوين الجلوكوز الجديد منه، ولا يحدث للجسم البشري أي خلل في أي وظيفة من وظائفه، فلا تتأكسد الدهون بالقدر الذي يولد أجساماً كيتونية تضر بالجسم، ولا يحدث توازن نروجيني سلبي لتوازن استقلاب البروتين،\* ويعتمد المخ البشري، وخلايا الدم الحمراء، والجهاز العصبي، على الجلوكوز وحده للحصول منه على الطاقة

\*بينما التجويع أو الصيام الطبي - القصير والطويل منه - لا يقف عند تنشيط هذه الآليات، بل يشتد حتى يحدث خلافاً في بعض وظائف الجسم.

يعتبر الصيام الإسلامي تمثيلاً غذائياً فريداً، إذ يشتمل على مرحلتي البناء والهدم،

\*فبعد وجبتي الإفطار والسحور، يبدأ البناء للمركبات الهامة في الخلايا، وتجديد المواد المخترنة، والتي استهلكت في إنتاج الطاقة، وبعد فترة امتصاص وجبة السحور، يبدأ الهدم، فيتحلل المخزون الغذائي من الجليكوجين والدهون، ليمد الجسم بالطاقة اللازمة، أثناء الحركة والنشاط في نهار الصيام .

لذلك كان تأكيد النبي ﷺ وحثه على ضرورة تناول وجبة السحور،

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ:  
" تسحروا فإن في السحور بركة " متفق عليه.

وذلك لإمداد الجسم بوجبة بناء يستمر لمدة 4 ساعات، محسوبة من زمن الانقطاع عن الطعام،

وبهذا أيضاً يمكن تقليص فترة ما بعد الامتصاص إلى أقل زمن ممكن،

كما أن النبي ﷺ حث على تعجيل الفطر حيث قال:

" لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر - متفق عليه "

وتأخير السحور فقد روى عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال:

" تسحرنا مع رسول الله ﷺ ثم قمنا إلى الصلاة، قيل: كم كان بينهما ؟

قال خمسون آية " (متفق عليه)

وهذا من شأنه تقليص فترة الصيام أيضاً إلى أقل حد ممكن، حتى لا يتجاوز

فترة ما بعد الامتصاص ما أمكن،

وبالتالي فإن الصيام الإسلامي لا يسبب شدة، ولا يشكل ضغطاً نفسياً ضاراً

على الجسم البشري، بحال من الأحوال.

وبناء على هذه الحقائق يمكننا أن نؤكد أن الذي يتوقف أثناء الصيام،

هو عمليات الهضم والامتصاص، وليست عمليات التغذية،  
فخلايا الجسم تعمل بصورة طبيعية، وتحصل على جميع احتياجاتها اللازمة  
لها، من هذا المخزون بعد تحلله، والذي يعتبر هضماً داخل الخلية،  
فيتحول الجليكوجين إلى سكر الجلوكوز،  
والدسم والبروتينات إلى أحماض دهنية وأحماض أمينية،  
بفعل شبكة معقدة من الإنزيمات، والتفاعلات الكيميائية الحيوية الدقيقة،  
والتي يقف الإنسان أمامها مشدوهاً معترفاً بجلال الله وعلمه، وعظيم  
قدرته وإحكام صنعه.

فمن أخبر محمداً ﷺ أن في الصيام وقاية للإنسان من أضرار نفسية  
وجسدية؟

ومن أخبره أن فيه منافع وفوائد يجنيها الأصحاء؟

بل ومن يستطيع الصيام من المرضى وأصحاب الأعذار !!

ومن أخبره ﷺ بأن الصيام سهل ميسور، لا يضر بالجسم ولا يجهد بالنفس؟

ومن أطلعه على أن كثرة الصوم تثبط الرغبة الجنسية؟

وتخفف من حدتها وثورتها خصوصاً عند الشباب !!

فيصير الشباب آمناً من الاضطرابات الغريزية النفسية،

ومحصناً ضد الانحرافات السلوكية !! وخصوصاً أنه نشأ في بيئة لا تعرف

هذا الصيام ولا تمارسه. " إنه الله.. آمنت بالله "



أَجَلَ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٍ لَهُنَّ  
 عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَانْزَلَ  
 بِشْرَهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ  
 مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْبَيْتِ وَلَا تَبْشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ  
 عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ  
 لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى  
 الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ✽  
 يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا  
 الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا  
 وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ  
 وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

أَجَلَ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٍ لَهُنَّ  
 عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَانْزَلَ  
 بِشْرَهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ

مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى الْاَيْلِ وَلَا تَبْشُرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ  
عَلَيْكُمْ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ

لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾

**(أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ)**

- كان في أول فرض الصيام، يحرم على المسلمين في الليل بعد النوم  
الأكل والشرب والجماع، فحصلت المشقة لبعضهم،  
فخفف الله تعالى عنهم ذلك، وأباح في ليالي الصيام كلها  
(الأكل و الشرب و الجماع) سواء نام أو لم ينم،

\*\*\* الرفث أي الجماع.

\*\*\* هَذِهِ رُخْصَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمُسْلِمِينَ، وَرَفْعٌ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ فِي ابْتِدَاءِ  
الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ كَانَ إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُهُمْ  
إِنَّمَا يَحِلُّ لَهُ الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ وَالْجِمَاعُ إِلَى صَلَاةِ الْعِشَاءِ أَوْ يَنَامُ قَبْلَ ذَلِكَ،  
فَمَتَى نَامَ أَوْ صَلَّى الْعِشَاءَ حَرَّمَ عَلَيْهِ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ وَالْجِمَاعُ إِلَى اللَّيْلَةِ  
الْقَابِلَةِ.  
فَوَجَدُوا مِنْ ذَلِكَ مَشَقَّةً كَبِيرَةً.

**(إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ)**

\*\*\* يَعْنِي هُنَّ سَكَنٌ لَكُمْ، وَأَنْتُمْ سَكَنٌ لَهُنَّ.

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنْسٍ: هُنَّ لِحَافٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِحَافٌ لَهُنَّ.  
وَحَاصِلُهُ أَنَّ الرَّجُلَ وَالْمَرْأَةَ كُلُّ مِنْهُمَا يُخَالِطُ الْآخَرَ وَيَمَاسُهُ وَيُضَاجِعُهُ،  
فَنَاسَبَ أَنْ يُرَخَّصَ لَهُمْ فِي الْمُجَامَعَةِ فِي لَيْلِ رَمَضَانَ،

لَيْلًا يَشُقُّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَيُحْرَجُوا،

\*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

\*\*\* صحيح البخاري

1915 - عن البراء رضي الله عنه، قال:

" كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَائِمًا، فَحَضَرَ الْإِفْطَارَ،

فَنَامَ قَبْلَ أَنْ يَفْطُرَ لَمْ يَأْكُلْ لَيْلَتَهُ وَلَا يَوْمَهُ حَتَّى يُمْسِيَ،

وَإِنْ قَيْسُ بْنُ صَرْمَةَ الْأَنْصَارِيُّ كَانَ صَائِمًا،

فَلَمَّا حَضَرَ الْإِفْطَارَ أَتَى امْرَأَتَهُ، فَقَالَ لَهَا: أَعِنْدَكَ طَعَامٌ؟

قَالَتْ: لَا وَلَكِنْ أَنْطَلِقُ فَأَطْلُبُ لَكَ، وَكَانَ يَوْمَهُ يَعْمَلُ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ،

فَجَاءَتْهُ امْرَأَتُهُ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: خَيْبَةٌ لَكَ،

فَلَمَّا انْتَصَفَ النَّهَارُ غَشِيَ عَلَيْهِ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ

فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ}

[البقرة 187] ففَرَحُوا بِهَا فَرَحًا شَدِيدًا،

وَنَزَلَتْ: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ}

[البقرة 187] (□)

(كان أصحاب محمد) أي وهو معهم أول ما افترض الله تعالى الصيام.

(فغلبته عيناه) كناية عن النوم.

(خيبة لك) حرمانا لك يقال خاب الرجل إذا لم ينل ما طلبه.

(غشي عليه) من الغشيان وهو تعطيل القوى المحركة والأوردة الحساسة لضعف القلب

بسبب وجع شديد أو برد أو جوع مفرط وهو نوع من الإغماء.

(ونزلت) أي تنمة الآية.

(الخيط الأبيض) بياض الصبح الصادق أول ما يبدو معترضا في الأفق كالخيط المهم دود و

(الخيط الأسود) ما يمتد معه من غبش الليل وسواده

(عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ)

\* الميسر: علم الله أنكم كنتم تخونون أنفسكم بمخالفة ما حرّمه الله عليكم من جماعة النساء بعد العشاء في ليالي الصيام- وكان ذلك في أول الإسلام  
-لكونهم يختانون أنفسهم بترك بعض ما أمروا به.

(فَتَابَ)

الله

(عَلَيْكُمْ)

بأن وسع لكم أمرا كان - لولا توسعته - موجبا للإثم

(وَعَفَا عَنْكُمْ)

ما سلف من التخون.

(فَأَلَنَ)

بعد هذه الرخصة والسعة من الله

(بَشِّرُوهُمْ)

وطأ و قبلة و لمسأ و غير ذلك.

(وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ)

\* الميسر: واطلبوا ما قدره الله لكم من الأولاد  
-انـووا في مباشرتكم لزوجاتكم التقرب إلى الله تعالى

و المقصود الأعظم من الوطء، وهو :-

1- حصول الذرية

2- وإعفاف فرجه وفرج زوجته،

3- و حصول مقاصد النكاح.

و مما كتب الله لكم ليلة القدر، الموافقة لليالي صيام رمضان،

فلا ينبغي لكم أن تشتغلوا بهذه اللذة عنها وتضيعوها،

فاللذة مدركة، وليلة القدر إذا فاتت لم تدرك.

**(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)**

\*الميسر:- كلوا واشربوا حتى يتبين ضياء الصباح من سواد الليل،

بظهور الفجر الصادق،

\*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:-

\*\*\*صحيح البخاري

1917 - عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: " أَنْزَلَتْ:

**{ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ \* مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ }**

[البقرة 187]

وَلَمْ يَنْزِلْ { مِنَ الْفَجْرِ } [البقرة 187]،

فَكَانَ رِجَالٌ إِذَا أَرَادُوا الصَّوْمَ رَبَطَ أَحَدُهُمْ فِي رِجْلِهِ الْخَيْطَ الْأَبْيَضَ  
وَالْخَيْطَ الْأَسْوَدَ، وَلَمْ يَزَلْ يَأْكُلُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ رُؤْيُهُمَا،  
فَأَنْزَلَ اللَّهُ بَعْدُ:

{ مِنَ الْفَجْرِ } [البقرة 187] فَعَلِمُوا أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ "

\*\*\* صحيح البخاري  
 4509 عَنْ عَدِيٍّ، قَالَ: أَخَذَ عَدِيٌّ عِقَالًا أَبْيَضَ، وَعِقَالًا أَسْوَدَ  
 حَتَّى كَانَ بَعْضُ اللَّيْلِ نَظَرَ فَلَمْ يَسْتَبِينَا،  
 فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ:  
 جَعَلْتُ تَحْتَ وَسَادِي عِقَالَيْنِ، قَالَ:  
 «إِنَّ وَسَادَكَ إِذَا لَعْرِيضٌ أَنْ كَانَ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ، وَالْأَسْوَدُ تَحْتَ وَسَادَتِكَ»

### الاعجاز العلمي

- هذا غاية للأكل والشرب والجماع،

1- وفيه أنه إذا أكل ونحوه شاكاً في طلوع الفجر فلا بأس عليه.

2- وفيه: دليل على استحباب السحور للأمر،

وأنه يستحب تأخيره أخذاً من معنى رخصة الله وتسهيله على العباد.

\*\*\* صحيح البخاري

1923 - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:  
 «تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً» ( )

\*\*\* صحيح مسلم

(1096) عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:  
 «فَضْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ، أَكَلَةُ السَّحْرِ» ( )

(تسحروا) من السحور والأمر للندب.

(بركة) دنيوية في التقوى على صيام النهار وأخروية بمزيد الأجر والثواب

(فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر)

معناه الفارق والمميز بين صيامنا وصيامهم السحور

فإنهم لا يتسحرون ونحن يستحب لنا السحور وأكلة السحر هي السحور

3- وفيه أيضا دليل على أنه يجوز أن يدركه الفجر وهو جُنُبٌ من الجماع قبل أن يغتسل، ويصح صيامه، لأن لازم إباحة الجماع إلى طلوع الفجر، أن يدركه الفجر وهو جنب، ولازم الحق حق.

(ثُمَّ)

إذا طلع الفجر

(أَتَمُّوا الصِّيَامَ)

أي: الإمساك عن المفطرات

(إِلَى الْإِتِّلِ)

و هو غروب الشمس ولما كان إباحة الوطاء في ليالي الصيام ليست إباحتها عامة لكل أحد،

\*\*\* صحيح البخاري

1954 - عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَا هُنَا، وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَا هُنَا، وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ» ( )

---

وهي بفتح الهمزة هكذا ضبطناه وهكذا ضبطه الجمهور وهو المشهور في روايات بلادنا وهي عبارة عن المرة الواحدة من الأكل كالغدوة والعشوة وإن كثر المأكول فيها وأما الأكلة بالضم فهي اللقمة الواحدة] (ها هنا) جهة المشرق.  
(أدبر) ذهب.  
(ها هنا) جهة المغرب.  
(أفطر الصائم) دخل وقت فطره]

\*\*\* صحيح البخاري

1957 - عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ» ( )  
- فإن المعتكف لا يحل له ذلك، استثناء بقوله:

**﴿وَلَا تَبْشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ﴾**

\* الميسر: ولا تجامعوا نساءكم أو تتعاطوا ما يفضي إلى جماعهن  
إذا كنتم معتكفين في المساجد؛

\*\*\*المُرَادُ بِالْمُبَاشَرَةِ: إِمَّا هُوَ الْجَمَاعُ وَدَوَاعِيهِ مِنْ  
(تَقْبِيلٍ، وَمُعَانَقَةٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ)) فَأَمَّا مُعَاطَاةُ الشَّيْءِ وَنَحْوَهُ فَلَا بَأْسَ بِهِ؛  
فَقَدْ ثَبَّتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ، صحيح البخاري

2029 - عن عائشة رضي الله عنها - زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَتْ:  
وَإِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

«لِيَدْخُلَ عَلَيَّ رَأْسُهُ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، فَأَرْجُلُهُ،  
وَكَانَ لَا يَدْخُلُ الْبَيْتَ إِلَّا لِحَاجَةٍ إِذَا كَانَ مُعْتَكِفًا»  
\*\*\*صحيح مسلم

297 عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت:  
«إِنْ كُنْتُ لَأَدْخُلُ الْبَيْتَ لِلْحَاجَةِ، وَ الْمَرِيضُ فِيهِ،  
فَمَا أَسْأَلُ عَنْهُ إِلَّا وَأَنَا مَآرَةٌ،

---

(لا يزال) أي يبقون في سعة وراحة إذا هم أفتروا عقب تحقق الغروب لأنه أرفق بهم  
وأقوى لهم على العبادة.

وكذلك يحصل لهم مزيد من الأجر والمثوبة لتمسكهم بسنة رسول الله ﷺ



أي: وأنتم متصفون بذلك، ودلت الآية على مشروعية الاعتكاف، وهو لزوم المسجد لطاعة الله تعالى، وانقطاعا إليه، وأن الاعتكاف لا يصح إلا في المسجد. ويستفاد من تعريف المساجد، أنها المساجد المعروفة عندهم، وهي التي تقام فيها الصلوات الخمس. وفيه أن الوطاء من مفسدات الاعتكاف.

(تَلَكَّ)

المذكورات - وهو تحريم الأكل و الشرب و الجماع و نحوه من المفطرات في الصيام، و تحريم الفطر على غير المعذور، و تحريم الوطاء على المعتكف، و نحو ذلك من المحرمات

(حُدُّوْهُ اللهُ)

التي حدها لعباده، ونهاهم عنها، فقال:

(فَلَا تَقْرُبُوهَا)

أبلغ من قوله: « فلا تفعلوها » لأن القربان، يشمل النهي عن فعل المحرم بنفسه، و النهي عن وسائله الموصلة إليه. و العبد مأمور بترك المحرمات،

و البعد منها غاية ما يمكنه،

و ترك كل سبب يدعو إليها، و أما الأوامر فيقول الله فيها:

( **تلك حدود الله فلا تعتدوها** )

فينهاى عن مجاوزتها.

( **كَذَلِكَ** )

أي: بين الله لعباده الأحكام السابقة أتم تبيين، و أوضحها لهم أكمل إيضاح.

( **يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** )

فإنهم إذا بان لهم الحق اتبعوه، وإذا تبين لهم الباطل اجتنبوه،

فإن الإنسان قد يفعل المحرم على وجه الجهل بأنه محرم،

ولو علم تحريمه لم يفعله،

فإذا بين الله للناس آياته، لم يبق لهم عذر ولا حجة، فكان ذلك سببا للتقوى.

\*\*\* ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ

بِكُم لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ الحديد: ٩

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَطْلِ وَتُدُلُّوهُآ إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ

أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾

( **وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَطْلِ** )

\* الميسر: ولا يأكل بعضكم مال بعض بسبب باطل كاليمين الكاذبة، والغصب، والسرقه، والرشوة، والربا ونحو ذلك أي: ولا تأخذوا أموالكم أي: أموال غيركم، أضافها إليهم، لأنه ينبغي للمسلم أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، و يحترم ماله كما يحترم ماله؛

و لأن أكله لمال غيره يجرئ غيره على أكل ماله عند القدرة.  
 \*\*\*هَذَا فِي الرَّجُلِ يَكُونُ عَلَيْهِ مَالٌ، وَ لَيْسَ عَلَيْهِ فِيهِ بَيِّنَةٌ، فَيَجْحَدُ الْمَالَ وَ يُخَاصِمُ إِلَى الْحُكَّامِ، وَ هُوَ يَعْرِفُ أَنَّ الْحَقَّ عَلَيْهِ، وَ هُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ آثَمَ آكَلٍ حَرَامٍ.  
 \*\*\*قِيلَ:- لَا تُخَاصِمَ وَ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ ظَالِمٌ

\*\*\*صحيح البخاري

2680 - عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:  
 " إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَ لَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَمَنْ قَضَيْتَ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، بِقَوْلِهِ:  
 فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلَا يَأْخُذْهَا ( )  
 \*\*\*قَالَ قَتَادَةُ: اعْلَمْ - يَا ابْنَ آدَمَ - أَنَّ قَضَاءَ الْقَاضِي لَا يُحِلُّ لَكَ حَرَامًا، وَ لَا يُحِقُّ لَكَ بَاطِلًا

وَ إِذَا يَفْضِي الْقَاضِي بِنَحْوِ مَا يَرَى وَ يَشْهَدُ بِهِ الشُّهُودُ، وَ الْقَاضِي بَشَرٌ يُخْطِئُ وَ يُصِيبُ، وَ اعْلَمُوا أَنَّ مَنْ قَضَى لَهُ بِبَاطِلٍ أَنَّ حُصُومَتَهُ لَمْ تَنْقُضْ حَتَّى يَجْمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ،

(ألحن بحجته) أفطن وأفصح ببيان حجته وإظهار أن الحق له)

فَيُقْضَىٰ عَلَى الْمُبْطِلِ لِلْمُحِقِّ بِأَجْوَدَ مِمَّا قُضِيَ بِهِ لِلْمُبْطِلِ عَلَى الْمُحِقِّ فِي الدُّنْيَا.

و لما كان أكلها نوعين:

1-نوعا بحق،

2-و نوعا بباطل،

و كان المحرم إنما هو أكلها بالباطل، قيده تعالى بذلك، و يدخل في ذلك:-

1-أكلها على وجه الغصب

2-و السرقة

3-و الخيانة في [وديعة أو عارية، أو نحو ذلك]

4-و يدخل فيه أيضا، أخذها على وجه المعاوضة، بمعاوضة محرمة،

[كعقود الربا، و القمار كلها] فإنها من أكل المال بالباطل،

لأنه ليس في مقابلة عوض مباح،

5-و يدخل في ذلك أخذها بسبب غش في:-

[ البيع و الشراء و الإجارة، و نحوها]

6-و يدخل في ذلك استعمال الأجراء و أكل أجرتهم،

7-و كذلك أخذهم أجره على عمل لم يقوموا بواجبه،

8-و يدخل في ذلك أخذ الأجرة على العبادات و القربات التي لا تصح حتى

يقصد بها وجه الله تعالى،

9- و يدخل في ذلك الأخذ من [ الزكوات و الصدقات، و الأوقاف، و الوصايا ] لمن ليس له حق منها، أو فوق حقه.

فكل هذا و نحوه، من أكل المال بالباطل، فلا يحل ذلك بوجه من الوجوه،

**(وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ**

**تَعْلَمُونَ)**

\* الميسر: و لا تلقوا بالحجج الباطلة إلى الحكام؛

لتأكلوا عن طريق التخاصم أموال طائفة من الناس بالباطل،

وأنتم تعلمون تحريم ذلك عليكم.

-حتى ولو حصل فيه النزاع وحصل الارتفاع إلى حاكم الشرع،

وأدلى من يريد أكلها بالباطل بحجة، غلبت حجة المحق،

وحكم له الحاكم بذلك،

-فإن حكم الحاكم، لا يبيح محرما، ولا يحلل حراما،

إنما يحكم على نحو مما يسمع، وإلا فحقائق الأمور باقية،

فليس في حكم الحاكم للمبطل راحة، ولا شبهة، ولا استراحة.

فمن أدلى إلى الحاكم بحجة باطلة، وحكم له بذلك، فإنه لا يحل له،

ويكون آكلا لمال غيره، بالباطل والإثم، وهو عالم بذلك.

فيكون أبلغ في عقوبته، وأشد في نكاله.

وعلى هذا فالوكيل إذا علم أن موكله مبطل في دعواه،

لم يحل له أن يخاصم عن الخائن كما قال تعالى:

﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾ النساء: ١٠٥

أي: مجادلاً عنهم

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا

الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا

وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨١﴾

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾

جمع - هلال - ما فائدتها وحكمتها؟ أو عن ذاتها،

﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾

أي: جعلها الله تعالى بلطفه ورحمته على هذا التدبير يبدو الهلال ضعيفا في أول الشهر، ثم يتزايد إلى نصفه، ثم يشرع في النقص إلى كماله، وهكذا، ليعرف الناس بذلك، مواقيت عباداتهم من:-

1- الصيام

2- وأوقات الزكاة

3- والكفارات

4- وأوقات الحج.

5- وأوقات الديون المؤجلات

6- ومدة الإجازات

7- و مدة العمد و الحمل،

و لما كان الحج يقع في أشهر معلومات، و يستغرق أوقاتا كثيرة قال:

(وَالْحَجُّ)

و غير ذلك مما هو من حاجات الخلق، فجعله تعالى، حسابا، يعرفه كل أحد، من صغير، و كبير، و عالم، و جاهل، فلو كان الحساب بالسنة الشمسية، لم يعرفه إلا النادر من الناس.

(وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا)

\*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

صحيح البخاري

1803 - عن البراء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَقُولُ:

«نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا، كَانَتْ الْأَنْصَارُ إِذَا حَجُّوا فَجَاءُوا، لَمْ يَدْخُلُوا مِنْ قَبْلِ أَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ، وَلَكِنْ مِنْ ظُهُورِهَا، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَدَخَلَ مِنْ قَبْلِ بَابِهِ، فَكَانَهُ عَيْرٌ بِذَلِكَ، فَنَزَلَتْ:»

{ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا \* وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى \* وَأْتُوا

الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا } [البقرة:189] (□)

(فجأوا) إلى منازلهم.

(عير) من التعيير وهو التعيب.

(البر) اسم جامع لوجوه الخير والطاعة.

(ظهورها) سقوفها ويكون ذلك بنقبها وإحداث فتحة فيها أو غير ذلك. (اتقى) بفعل ما أمر به

وترك ما نهى عنه في شرع الله عز وجل.

وهذا كما كان الأنصار وغيرهم من العرب، إذا أحرموا،  
 لم يدخلوا البيوت من أبوابها، تعبدوا بذلك، وظننا أنه —  
 — فأخبر الله أنه ليس ببر لأن الله تعالى، لم يشرعه لهم،  
 وكل من تعبد بعبادة لم يشرعها الله ولا رسوله، فهو متعبد ببدعة،  
 وأمرهم أن يأتوا البيوت من أبوابها لما فيه من السهولة عليهم،  
 التي هي قاعدة من قواعد الشرع.

○ و يستفاد من إشارة الآية:-

☆ أنه ينبغي في كل أمر من الأمور، أن يأتيه الإنسان من الطريق السهل  
 القريب، الذي قد جعل له موصلا  
 فالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ينبغي أن ينظر في حالة المأمور،  
 ويستعمل معه الرفق والسياسة، التي بها يحصل المقصود أو بعضه،  
 ☆ و المتعلم والمعلم، ينبغي أن يسلك أقرب طريق وأسهله يحصل به مقصوده  
 وهكذا كل من حاول أمرا من الأمور و أتاه من أبوابه و ثابر عليه،  
 فلا بد أن يحصل له المقصود بعون الملك المعبود.

**(وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا)**

\* الميسر: و ادخلوا البيوت من أبوابها عند إحرامكم بالحج أو  
 العمرة

**(وَأَتَقُوا اللَّهَ)**



هذا هو البر الذي أمر الله به، و هو لزوم تقواه على الدوام،  
بامثال أوامره، و اجتناب نواهيه،

**(لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ)**

فإنه سبب للفلاح، الذي هو الفوز بالمطلوب، و النجاة من المرهوب،  
فمن لم يتق الله تعالى، لم يكن له سبيل إلى الفلاح، و من اتقاه،  
فاز بالفلاح والنجاح.

**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا**

**إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**

**(وَقَاتِلُوا)**

هذه الآيات، تتضمن الأمر بالقتال في سبيل الله،  
وهذا كان بعد الهجرة إلى المدينة، لما قوي المسلمون للقتال، أمرهم الله به،  
بعد ما كانوا مأمورين بكف أيديهم، و في تخصيص القتال

**(فِي سَبِيلِ اللَّهِ)**

حث على الإخلاص، و نهى عن الاقتتال في الفتن بين المسلمين.

**(الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ)**

أي: الذين هم مستعدون لقتالكم، وهم المكلفون الرجال،  
غير الشيوخ الذين لا رأي لهم و لا قتال.

## (وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)

-والنهي عن الاعتداء، يشمل أنواع الاعتداء كلها، من قتل من لا يقاتل من:-

1- النساء،

2-و المجانين

3-و الأطفال،

4-و الرهبان ونحوهم\*\*\* و أصحاب الصوامع

5-و التمثيل بالقتلى،

6-و قتل الحيوانات،

7-و قطع الأشجار ونحوها ،

لغير مصلحة تعود للمسلمين.

8-و من الاعتداء،مقاتلة من تقبل منهم الجزية إذا بذلوا، فإن ذلك لا يجوز.

9-\*\*\*الغلول

\*\*\*صحيح مسلم

1731- عَنْ بُرَيْدَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ،

وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا،

ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ،

اغْزُوا وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تَعْدِرُوا، وَلَا تَمْتَلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا،

\*\*\*صحيح البخاري

3014 - عن أن عبدا لله رضي الله عنه، أخبره:

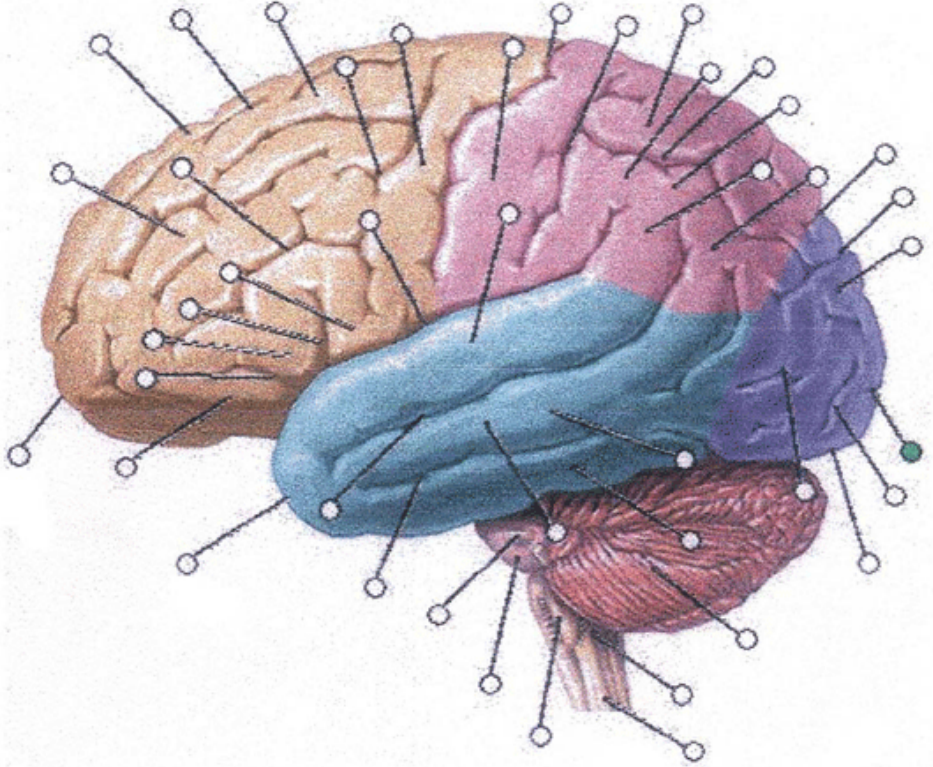


تبدأ الرؤية عندما تسقط أشعة الضوء المنكسرة من الجسم المرئي فتكون صورة على شبكية العين ( الشكل رقم 2 ) فتقوم خلايا الشبكية ( قضبانية و مخروطية ) بتحويل هذه الصورة إلى موجات أو إشارات عصبية التي تنقل عن طريق عصب العين إلى القشرة الدماغية ( مركز النظر ) الموجودة في القفا ( الشكل رقم 1 )

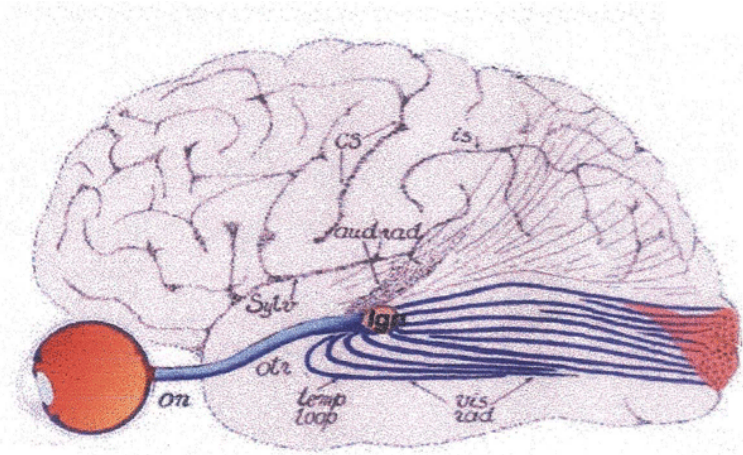
حيث يقوم هذا المركز بتحويل هذه الإشارات مرة أخرى إلى صورة تعكس تماما الجسم المرئي بكل تفاصيله الدقيقة.

أعضاء الجسم	قدرة التفريق بين نقطتين (سم)	التمثيل النسبي في القشرة الدماغية
الشفة	٠,٣	٣,٣٣
فروة الرأس	٥,٤	٠,١٩
الجيئة	١,٩	٠,٥٣
الأنف	٠,٩	١,١١
الحنك	٠,٦٥	١,٥٤
الخد	١,٦	٠,٦٣
الشفة السفلى	٠,٣	٣,٣
الشفة العليا	٠,٢٥	٤
الأذن	٢,٤	٠,٤٢
الرقبية (خلف)	١,٣٥	٠,٧٤
الرقبية (جانبي)	١,٨٥	٠,٥٤
الرقبية (أمام)	٢,٥٥	٠,٣٩
العاصد	٤,٦	٠,٢٢
ظهر اليد	١,٧	١,٢٥
السيابة (أمام)	٠,٢٥	٤
السيابة (خلف)	٠,٢٥	٤
الإبهام (خلف)	٠,٧٥	١,٣٣
الإبهام (أمام)	٠,٣	٣,٣٣
الظهر	٤,٢	٠,٢٤
الصدر	٣,٨	٠,٢٦
الفخذ (الوطني)	٢,٦٥	٠,٣٧
الفخذ (الأنسي)	٣,٣٥	٠,٣
الساق (أمام)	٤	٠,٢٥
إصبع القدم الكبرى	٢,٦	٠,٣٨

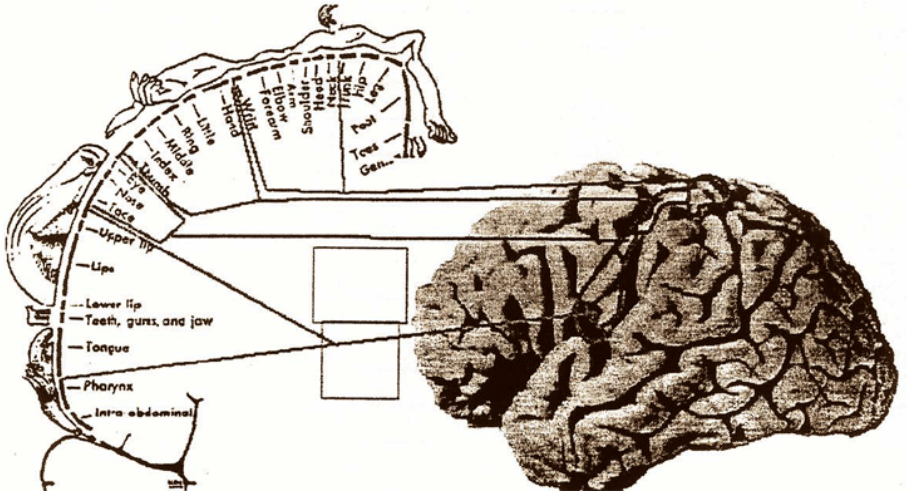
جدول رقم ( 1 ) مقدرة العضو والمساحة النسبية من القشرة الدماغية



شكل رقم ( 1 ) موقع العين ومركز النظر  
 - في كل شبكية عين 105 مليون خلية منها 5 مليون فقط مخروطية الشكل.  
 أما عدد ألياف عصب العين فهو واحد مليون فقط التي تنقل إلى مليون  
 خلية في القشرة الدماغية ( مركز النظر )  
 مع العلم أن القشرة الدماغية بكاملها تتكون من 20 بليون خلية  
 تنتشر على حوالي 2 متر مربع.



شكل رقم ( 2 ) تمثيل الأعضاء على القشرة الدماغية  
 مركز النظر يقوم بوظائف كثيرة إلى جانب حدة النظر منها تحديد شكل  
 الجسم المرئي واللون والبعد والموقع والاسم وكذلك التنسيق مع المراكز  
 الدماغية الأخرى وهلم جرا.  
 ولذلك فإن مساحة مركز النظر لابد أن تكون أعرض من ناتج العملية  
 الحسائية للمعطيات السابقة.



شكل رقم ( 3 ) زاوية الرؤية

التعليق

أولاً: الحديث قال: (إنك لعريض القفا)

و لم يقل كبير القفا لأن المساحة وليس الحجم هي الأهم وفي ذلك إعجاز.

ثانياً: الحديث قال: (الخيط الأبيض من الخيط الأسود)

و لم يقل مثل الخيط الأحمر من الخيط الأصفر ولو قال ذلك لما كان هنا

إعجاز

لأنه لا يمكن أن يراهما ولو كان قفاه بعرض السماء والأرض وفي ذلك إعجاز

أيضاً.

ثالثاً: لزيادة الرؤية في النهار فإنه لا يحتاج لعرض القفا كما يحتاجه للرؤية

الليلية حيث إن كل خلية مخروطية يقابلها 20 خلية قصبية

( الرؤية الليلية ).

فلهذا فإننا نجد أن بعض الكائنات البحرية



( مثل الأخطبوط ) فإن مركز النظر يحتل لديها أكثر من نصف مساحة القشرة الدماغية لأنها تعيش في ظلام دامس كما وصف ذلك القرآن الكريم بقوله:

أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ  
بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذُ بِرَأْيِهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ  
مِنْ نُورٍ ( النور: 40 ).

رابعاً: ما هي المساحة اللازمة التي تمكنا من رؤية الخيط الأبيض من الخيط الأسود؟ وهل يمكن أن نخمن؟

يبدو لي أن ذلك بالإمكان. اللفظ الثاني للحديث يقول:

( إن وسادك لعريض طويل ) وهو يتكلم أيضا عن مساحة.

فمتوسط الوسادة هو 90 سم إلى متر في 40 سم إلى 50 سم وبعملية حسابية بسيطة فإن ذلك يساوي حوالي 18 - 25% من القشرة الدماغية وهذه النسبة ربما تكون كافية ذلك أن الأخطبوط الذي يرى في قعر البحار مع تلكم الظلمات فمركز النظر لديه يشكل حوالي 50% من القشرة الدماغية.

الخلاصة:

الحديث يبدو لفظه نشاز ( وحاشا لله أن يكون كذلك )

وذلك لمن يجهل معناه فما علاقة العين بالقفا، حتى أن بعض من فسر الحديث ذهب إلى القول بأن عرض القفا كناية عن الغباء والحقيقة أنه كلام من يعني ما يقول ويعلم ما يعني وهو الذي لا ينطق عن الهوى بل هو وحي يوحى.

وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ نَفِثْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ وَالْفَنِينَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ  
 وَلَا تُقْبَلُوا لَهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْبَلَتْ لَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمُوهُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ  
 الْكَافِرِينَ ﴿١١١﴾ فَإِنْ أَنْهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٢﴾ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ  
 وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١١٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ  
 وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا  
 اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١١٤﴾ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ  
 وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ وَاتَّمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ  
 مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ  
 أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ  
 فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ  
 تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ  
 وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١٦﴾

وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَفْقَهُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ<sup>٤</sup> وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقْتَلُوهُمْ

عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ ﴿١١١﴾

فَإِنْ أَنَّهُوَا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٢﴾ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ

فَإِنْ أَنَّهُوَا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١١٣﴾

**(وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَفْقَهُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ)**

\*الميسر:- ثقفتموهم: وجدتموهم

\*\*\* لَتَكُنْ هِمَّتُكُمْ مُنْبِعَتُهُ عَلَى قِتَالِهِمْ، كَمَا أَنَّ هِمَّتَهُمْ مُنْبِعَتُهُ عَلَى قِتَالِكُمْ،

وَعَلَى إِخْرَاجِهِمْ مِنْ بِلَادِهِمُ الَّتِي أَخْرَجُوكُمْ مِنْهَا، قِصَاصًا.

-هذا أمر بقتالهم، أينما وجدوا في كل وقت، وفي كل زمان قتال مدافعة،

وقتل مهاجمة

**(وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقْتَلُوهُمْ)**

-ولما كان القتال عند المسجد الحرام، يُتوهم أنه مفسدة في هذا البلد

الحرام، أخبر تعالى أن المفسدة بالفتنة عنده بالشرك، والصد عن دينه،

أشد من مفسدة القتل، فليس عليكم - أيها المسلمون - حرج في قتالهم.

ويستدل بهذه الآية على القاعدة المشهورة، وهي:

((أنه يرتكب أخف المفسدتين، لدفع أعلاهما)).

-ثم استثنى من هذا العموم قتالهم

**(عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوكُمْ فِيهِ)**

1834 - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ افْتَتَحَ مَكَّةَ: «لَا هَجْرَةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَبَيْتَةٌ، وَإِذَا اسْتَنْفَرْتُمْ، فَانْفِرُوا، فَإِنَّ هَذَا بَلَدٌ حَرَّمَ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَا يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَ لَا يُنْفَرُ صَيْدُهُ، وَ لَا يَلْتَقِطُ لُقْطَتُهُ إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا، وَ لَا يُخْتَلَى خَلَاهَا»،  
 قَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا الْإِذْخَرَ فَإِنَّهُ لِقَيْنِهِمْ وَلِبَيْوتِهِمْ،  
 قَالَ: قَالَ: «إِلَّا الْإِذْخَرَ» ( )

(لا يعضد) العضد القطع

(ولا يختلى خلاها) الخلا هو الرطب من الكلاً قالوا الخلا والعشب اسم للرطب منه والحشيش والهشيم اسم لليابس منه والكلاً يقع على الرطب واليابس ومعنى يختلى يؤخذ ويقطع (الإذخر) الإذخر نبات عشبي من فصيلة النجيليات له رائحة ليمونية عطرة أزهاره تستعمل منقوعا كالشاي ويقال له أيضا طيب العرب والإذخر المكي من الفصيلة نفسها جذوره من الأفاويه ينبت في السهول وفي المواضع الجافة الحارة ويقال له أيضا حلفاء مكة (لقينهم ولبيوتهم) القين هو الحداد والصائغ ومعناه يحتاج إليه القين في وقود النار ويحتاج إليه في القبور لتسد به فرج اللحد المتخللة بين اللبنة

**(فَإِنْ قَتَلْتُمْهُمْ فَقَاتِلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ)**

وأنه لا يجوز إلا أن يبدأوا بالقتال، فإنهم يقاتلون جزاء لهم على اعتدائهم، وهذا مستمر في كل وقت،

**(فَإِنْ أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)**

حتى ينتهوا عن كفرهم فيسلموا، فإن الله يتوب عليهم، ولو حصل منهم ما حصل من الكفر بالله والشرك في المسجد الحرام، وصد الرسول والمؤمنين عنه وهذا من رحمته وكرمه بعباده.

**(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ)**

\*\*\*شــــرك

(الفتنة أى الكفر و ليس النزاع و الخصومة أو العداوة و مثله قوله

"و الفتنة أشد من القتل")

ثم ذكر تعالى المقصود من القتال في سبيله، وأنه ليس المقصود به، سفك دماء الكفار، وأخذ أموالهم، ولكن المقصود به :-

**(وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ)** تعالى، فيظهر دين الله تعالى على سائر الأديان،

ويدفع كل ما يعارضه، من الشــــرك وغيره، وهو المراد [بالفتنة]

فإذا حصل هذا المقصود، فلا قتل ولا قتال،

\*\*\*صحيح البخاري

2810 - عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ الرَّجُلُ: يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانَهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعَلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ( )

(فَإِنْ أَنْهَوْا) عن قتالكم عند المسجد الحرام

(فَلَا عُدُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ)

فليس عليهم منكم اعتداء، إلا من ظلم منهم، فإنه يستحق المعاقبة، بقدر ظلمه.

\*\*\*صحيح البخاري

25 - عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ» ( )

(رجل) قيل هو لاحق بن ضميرة الباهلي رضي الله عنه.

(للمغنم) أي من أجل الغنيمة.

(للمذكر) الشهرة بين الناس.

(ليرى مكانه) مرتبته في الشجاعة]

(أقاتل الناس) أي بعد عرض الإسلام عليهم.

(يشهدوا) يعترفوا بكلمة التوحيد أي يسلموا أو يخضعوا لحكم الإسلام

إن كانوا أهل كتاب يهودا أو نصارى.

(عصموا) حفظوا وحققوا والعصمة الحفظ والمنع.

الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرْمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا

أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾

يقول تعالى: (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ)

\*الميسر: قتالكم -أيها المؤمنون- للمشركين في الشهر الذي حرم الله القتال فيه هو جزاء لقتالهم لكم في الشهر الحرام. \*\*\* مسند أحمد ط الرسالة

14713 - عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: " لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَغْزُوا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، إِلَّا أَنْ يُغْزَى، أَوْ يُغْزَوْا، فَإِذَا حَضَرَهُ، أَقَامَ حَتَّى يَنْسَلِحَ " 1-يحتمل أن يكون المراد به ما وقع من صد المشركين للنبي ﷺ وأصحابه

عام الحديبية، عن الدخول لمكة، وقاضوهم على دخولها من قابل، وكان الصد والقضاء في شهر حرام، وهو ذو القعدة، فيكون هذا بهذا، فيكون فيه، تطيب لقلوب الصحابة، بتمام نسكهم، وكماله. 2-ويحتمل أن يكون المعنى: إنكم إن قاتلتموهم في الشهر الحرام فقد قاتلوكم فيه، وهم المعتدون، فليس عليكم في ذلك حرج،

و على هذا فيكون قوله: (وَالْحُرْمَتُ قِصَاصٌ)

من باب عطف العام على الخاص،

---

(إلا بحق الإسلام) أي إلا إذا فعلوا ما يستوجب عقوبة مالية أو بدنية في الإسلام فإنهم يؤخذون بذلك قصاصا.

(وحسابهم على الله) أي فيما يتعلق بسرائرهم وما يضمرون

أي: كل شيء يحترم من شهر حرام، أو بلد حرام، أو إحرام،  
أو ما هو أعم من ذلك، جميع ما أمر الشرع باحترامه،  
فمن تجرأ عليها فإنه يقتص منه،  
فمن قاتل في الشهر الحرام، قوتل،  
و من هتك البلد الحرام، أخذ منه الحد، ولم يكن له حرمة،  
و من قتل مكافئا له قتل به،  
و من جرحه أو قطع عضوا، منه، اقتص منه  
و من أخذ مال غيره المحترم، أخذ منه بدله،  
**(وَالْحُرْمَتُ قِصَاصٌ<sup>٤</sup>)**

\*الميسر: والذي يعتدي على ما حَرَّمَ اللهُ من المكان والزمان،  
يُعاقب بمثل فعله، ومن جنس عمله.

ولكن هل لصاحب الحق أن يأخذ من ماله بقدر حقه أم لا؟  
خلاف بين العلماء، الراجح من ذلك:-

أنه إن كان سبب الحق ظاهرا كالضيف، إذا لم يقره غيره، والزوجة، والقريب  
إذا امتنع من تجب عليه النفقة من الإنفاق عليه  
فإنه يجوز أخذه من ماله.

وإن كان السبب خفيا، كمن جحد دين غيره، أو خانه في ودیعة، أو سرق منه  
ونحو ذلك، فإنه لا يجوز له أن يأخذ من ماله مقابلة له،  
جمعا بين الأدلة، ولهذا قال تعالى، تأكيدا وتقوية لما تقدم:



**(فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ)**

\*\*\* أمر بِالْعَدْلِ حَتَّىٰ فِي الْمُشْرِكِينَ كَمَا قَالَ:

{وَأِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ} [النَّحْلِ: 126].

وَقَالَ: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا} [الشُّورَى: 40].

— هذا تفسير لصفة المقاصة، وأنها هي المماثلة في مقابلة المعتدي.

**(وَأَنْفِقُوا لِلَّهِ)**

ولما كانت النفوس - في الغالب - لا تقف على حدها إذا رُخص لها في المعاقبة لطلبها التشفي، أمر تعالى بلزوم تقواه، التي هي الوقوف عند حدوده،

وعدم تجاوزها، **(وَأَعْلَمُوا أَنَّ)**

و أخبر تعالى أنه

**(مَعَ الْمُتَّقِينَ)**

أي: بالعون، والنصر، والتأييد، والتوفيق.

ومن كان الله معه، حصل له السعادة الأبدية،

ومن لم يلزم التقوى تخلى عنه وليه، وخذله،

فوكله إلى نفسه فصار هلاكه أقرب إليه من حبل الوريد.

**وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** (١١٥)

\* جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

صحيح البخاري

4516 - عَنْ حُدَيْفَةَ {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}

[البقرة 195] قَالَ: «نَزَلَتْ فِي النِّفْقَةِ» (□)

\*سنن الترمذي ت شاكر

2972 - عَنْ أَسْلَمَ أَبِي عَمْرَانَ التَّجِيبِيَّ، قَالَ:

كُنَّا بِمَدِينَةِ الرُّومِ، فَأَخْرَجُوا إِلَيْنَا صَفًّا عَظِيمًا مِنَ الرُّومِ،  
فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَهُمْ أَوْ أَكْثَرُ، وَعَلَى أَهْلِ مِصْرَ عَقْبَةُ  
بْنُ عَامِرٍ، وَعَلَى الْجَمَاعَةِ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ،  
فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى صَفِّ الرُّومِ حَتَّى دَخَلَ فِيهِمْ،  
فَصَاحَ النَّاسُ وَ قَالُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ.  
فَقَامَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ:

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَتَتَوَوُّونَ هَذِهِ الْآيَةَ هَذَا التَّأْوِيلَ،  
وَإِنَّمَا أُنزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِيْنَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لَمَّا أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ  
وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ،

فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ سِرًّا دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:  
إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَزَّ الْإِسْلَامَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ،  
فَلَوْ أَقْمَنَّا فِي أَمْوَالِنَا، فَأَصْلَحْنَا مَا ضَاعَ مِنْهَا.  
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ يَرُدُّ عَلَيْنَا مَا قُلْنَا:

وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} [البقرة 195]

فَكَانَتْ التَّهْلُكَةُ الْإِقَامَةَ عَلَى الْأَمْوَالِ وَإِصْلَاحَهَا،  
وَتَرَكْنَا الْغَزْوَ

(في النفقة) أي في ترك النفقة في سبيل الله تعالى

والمعنى لا تركوا الإنفاق في سبيل الخير والجهاد فيؤدي ذلك بكم إلى الهلاك.]

«فَمَا زَالَ أَبُو أَيُّوبَ، شَاخِصًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى دُفِنَ بِأَرْضِ الرُّومِ»  
\* وفي مجمع الزوائد ج 31 ص 317 وعن أبي جبيرة بن الضحاك  
قال كانت الأنصار يتصدقون ويعطون ما شاء الله فأصابته  
مصيبة فأمسكوا فأنزل الله عز وجل:-

{ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ } رواه الطبراني في الكبير والأوسط  
ورجالهما رجال الصحيح وزاد في الأوسط  
{ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } .

\* وفي الفتح ج 9 ص 251 من حديث البراء نحوه قال الحافظ:  
وسنده صحيح ثم قال  
والأول أظهر لتصدير الآية بذكر النفقة فهو المعتمد في نزولها

**(وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ)**

يأمر تعالى عباده بالنفقة في سبيله،

وهو إخراج الأموال في الطرق الموصلة إلى الله، وهي كل طرق الخير،  
من صدقة على مسكين، أو قريب، أو إنفاق على من تجب مؤنته.

وأعظم ذلك وأول ما دخل في ذلك الإنفاق في الجهاد في سبيل الله،  
فإن النفقة فيه جهاد بالمال، وهو فرض كالجهاد بالبدن،  
وفيها من المصالح العظيمة، الإعانة على تقوية المسلمين،

وعلى توهية الشرك وأهله،

وعلى إقامة دين الله وإعزازه،

فالجهاد في سبيل الله لا يقوم إلا على ساق النفقة،

فالنفقة له كالروح، لا يمكن وجوده بدونها،  
وفي ترك الإنفاق في سبيل الله، إبطال للجهد،  
وتسليط للأعداء، وشدة تكاليفهم، فيكون قوله تعالى:

**(وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)**

كالتعليل لذلك، والإلقاء باليد إلى التهلكة يرجع إلى أمرين:-

1- ترك ما أمر به العبد، إذا كان تركه موجبا أو مقاربا لهلاك البدن أو الروح،  
وفعل ما هو سبب موصل إلى تلف النفس أو الروح،  
فيدخل تحت ذلك أمور كثيرة، فمن ذلك،  
✳ ترك الجهاد في سبيل الله، أو النفقة فيه، الموجب لتسلط الأعداء،  
✳ ومن ذلك تغريب الإنسان بنفسه في مقاتلة أو سفر مخوف، أو محل مسيئة  
أو حيات، أو يصعد شجرا أو بنيانا خطرا،  
✳ أو يدخل تحت شيء فيه خطر ونحو ذلك، فهذا ونحوه، ممن ألقى بيده  
إلى التهلكة.

2- ومن الإلقاء باليد إلى التهلكة الإقامة على معاصي الله، واليأس من التوبة،  
ومنها ترك ما أمر الله به من الفرائض، التي في تركها هلاك للروح والدين.

**\*[1]\* وعن النعمان بن بشير في قوله:**

**{ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ }**

قال: كان الرجل يذنب فيقول لا يغفر الله لي فأنزل الله تعالى:  
{ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } رواه  
الطبراني في الكبير والأوسط ورجالهما رجال الصحيح ا. هـ.

-----  
-ولما كانت النفقة في سبيل الله نوعا من أنواع الإحسان، أمر بالإحسان عموما

فقال: (وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)

وهذا يشمل جميع أنواع الإحسان، لأنه لم يقيده بشيء دون شيء،

1- فيدخل فيه الإحسان بالمال كما تقدم.

2- ويدخل فيه الإحسان بالجاه، بالشفاعات ونحو ذلك،

3- ويدخل في ذلك، الإحسان بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر،

4- وتعليم العلم النافع،

5- ويدخل في ذلك قضاء حوائج الناس، من تفريج كرباتهم

و إزالة شداتهم،

و عيادة مرضاهم،

و تشييع جنائزهم،

و إرشاد ضالهم،

و إعانة من يعمل عملا والعمل لمن لا يحسن العمل ونحو ذلك،

مما هو من الإحسان الذي أمر الله به،

6- ويدخل في الإحسان أيضا، الإحسان في عبادة الله تعالى،

وهو كما ذكر النبي ﷺ: « أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك »  
فمن اتصف بهذه الصفات، كان من الذين قال الله فيهم:

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ يونس: ٢٦

وكان الله معه يسدده ويرشده ويعينه على كل أمره.

ولما فرغ تعالى من ذكر أحكام الصيام فالجهد، ذكر أحكام الحج فقال:

وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ

الْهَدْيُ مَحَلَّهُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ

نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ

أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعًا إِذَا رَجَعْتُمْ

تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٦٦﴾

\*الصحيح المسند من أسباب النزول :-

قال الطبراني كما في مجمع البحرين من زوائد المعجمين  
مخطوط ج 2 ص 14:

عن عطاء بن أبي رباح عن صفوان بن يعلى بن أمية عن أبيه قال:  
جاء إلى رسول ﷺ وقال:

كيف تأمرني في عمرتي، فأنزل الله عز وجل

{ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ } فقال رسول الله ﷺ:

"من السائل عن العمرة" فقال: أنا.

فقال: "ألق ثيابك واغتسل واستنشق ما استطعت وما كنت صانعا في حجتك فاصنع في عمرتك" لم يروه عن أبي الزبير إلا إبراهيم ولم يدخل أبو الزبير بين عطاء وصفوان أحدا.

ورواه مجاهد عن عطاء عن صفوان عن أبيه قلت هذا في الصحيح سوى قوله {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ} ا. هـ.

وقال: في مجمع الزوائد ج 3 ط 205 وعن يعلى بن أمية قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ متضمخ بالخلوق عليه مقطعات قد أحرم بعمرة وذكر الحديث ثم قال:

رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح ا. هـ. وذكره الحافظ في الفتح وسكت عليه.

وأما استغراب ابن كثير رحمه الله له في تفسيره فلا وجه له لأن قوله عند الطبراني فنزل عليه {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ} مبين لحديث الصحيحين

-يستدل بقوله تعالى:

{وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ} على أمور: -

أحدها: وجوب الحج والعمرة، وفرضيتهما.

الثاني: وجوب إتمامهما بأركانهما و واجباتهما،

التي قد دل عليها فعل النبي ﷺ وقوله: «خذوا عني مناسككم»

الثالث: أن فيه حجة لمن قال بوجوب العمرة.

الرابع: أن الحج والعمرة يجب إتمامهما بالشروع فيهما، و لو كانا نفلا.

الخامس: الأمر بإتقانها وإحسانها، وهذا قدر زائد على فعل ما يلزم لهما.  
السادس: وفيه الأمر بإخلاصهما لله تعالى.

السابع: أنه لا يخرج المحرم بهما بشيء من الأشياء حتى يكملهما،  
إلا بما استثناه الله، وهو الحصر، فلهذا قال:

**(فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ)**

أي: منعم من الوصول إلى البيت لتكميلهما، بمرض، أو ضلالة، أو عدو،  
ونحو ذلك من أنواع الحصر، الذي هو المنع.

\*\*\*صحيح البخاري

5089 - عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ:

دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ ضُبَاعَةَ بِنْتِ الزُّبَيْرِ،

فَقَالَ لَهَا: «لَعَلَّكَ أَرَدْتِ الْحَجَّ؟»

قَالَتْ: وَاللَّهِ لَا أَجِدُنِي إِلَّا وَجِعَةً،

فَقَالَ لَهَا: " حُجِّي وَاشْتَرِطِي، وَقُولِي:

اللَّهُمَّ مَحِلِّي حَيْثُ حَبَسْتَنِي " وَ كَانَتْ تَحْتَ الْمُقَدَّادِ بْنِ الْأَسْوَدِ ( )

**(فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ)**

(ضباعة) بنت الزبير بن عبد المطلب بنت عم رسول الله

ﷺ (محلي) مكان تحلي من الحرام.

(حيث حبستني) هو المكان الذي قدرت لي فيه الإصابة بعلّة المرض وعجزت عن الإتيان  
بالمناسك.

(تحت المقداد) زوجة له أي وهذا يدل على أن الكفاءة ليست معتبرة بالنسب

وإلا لما جاز للمقداد أن يتزوج ضباعة وهي بنت أشرف القوم وهو كان حليفا متبنى



أي: فاذبحوا ما استيسر من الهدى، وهو سبع بدنة، أو سبع بقرة، أو شاة يذبحها المحصر، و يحلق و يحل من إحرامه بسبب الحصر كما فعل النبي ﷺ، لما صدهم المشركون عام الحديبية، فإن لم يجد الهدى، فليصم بدله عشرة أيام كما في المتمتع ثم يحل. ثم قال تعالى:

**(وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ،)**

وهذا من محظورات الإحرام، إزالة الشعر، بحلق أو غيره، لأن المعنى واحد من الرأس، أو من البدن، لأن المقصود من ذلك، حصول الشعث والمنع من الترفه بإزالته، وهو موجود في بقية الشعر.

وقاس كثير من العلماء على إزالة الشعر، تقليم الأظفار بجامع الترفه، ويستمر المنع مما ذكر، حتى يبلغ الهدى محله، وهو يوم النحر [\[2\]](#) والأفضل أن يكون الحلق بعد النحر، كما تدل عليه الآية. ويستدل بهذه الآية:-

على أن المتمتع إذا ساق الهدى، لم يتحلل من عمرته قبل يوم النحر، فإذا طاف وسعى للعمرة، أحرم بالحج، و لم يكن له إحلال بسبب سوق الهدى، وإنما منع تبارك وتعالى من ذلك، لما فيه من الذل والخضوع لله والانكسار له، والتواضع الذي هو عين مصلحة العبد، وليس عليه في ذلك من ضرر،

فَن كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ

\* جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

صحيح البخاري

1815 - من كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، قَالَ: وَقَفَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْحُدَيْبِيَّةِ

وَرَأْسِي يَتَهَافَتُ قَمَلًا، فَقَالَ: «يُؤْذِيكَ هَوَامُّكَ؟»

قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: " فَاحْلُقْ رَأْسَكَ، أَوْ - قَالَ: احْلُقْ - "

قَالَ: فِي نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ {

[البقرة 196] إِلَى آخِرِهَا،

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، أَوْ تَصَدَّقْ بِفَرَقٍ بَيْنَ سِتَّةِ، أَوْ انْصُكُ بِمَا

تَيْسَرَ» (١)

\* صحيح البخاري

4517 - عن سَمِعْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْقِلٍ، قَالَ:

قَعَدْتُ إِلَى كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ يَعْنِي مَسْجِدَ الْكُوفَةِ،

فَسَأَلْتُهُ عَنْ فِدْيَةِ مَن صِيَامٍ،

فَقَالَ: حُمِلْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَالْقَمَلُ يَتَنَائَرُ عَلَيَّ وَجْهِي،

فَقَالَ: «مَا كُنْتُ أَرَى أَنَّ الْجَهْدَ قَدْ بَلَغَ بِكَ هَذَا، أَمَا تَجِدُ شَاءَةً.»

قُلْتُ: لَا، قَالَ: «صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ،

(يتهافت قملا) يتساقط منه القمل شيئا فشيئا.

(بفرق) مكيال كان معروفا في المدينة ويساوي تسعة ألتار تقريبا.

(انسك بما تيسر) اذبح ما تيسر لك من أنواع الهدى]

أَوْ أَطْعِمُ سِتَّةَ مَسَاكِينَ لِكُلِّ مِسْكِينٍ نِصْفَ صَاعٍ مِنْ طَعَامٍ، وَاحْلِقِ رَأْسَكَ»  
فَنَزَلَتْ فِي خَاصَّةٍ وَهِيَ لَكُمْ عَامَّةٌ

\*\*\* مَذْهَبُ الْأُمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَعَامَّةُ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ يُخَيَّرُ فِي هَذَا الْمَقَامِ،

\*\*إِنْ شَاءَ صَامَ، وَإِنْ شَاءَ تَصَدَّقَ بِفَرَقٍ،

وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَصْعٍ، لِكُلِّ مِسْكِينٍ نِصْفَ صَاعٍ، وَهُوَ مُدَّانٌ،

\*\*وَإِنْ شَاءَ ذَبَحَ شَاةً وَتَصَدَّقَ بِهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ، أَيْ ذَلِكَ فَعَلَ أَجْزَأَهُ.

-فَإِذَا حَصَلَ الضَّرَرُ بِأَنَّ كَانَ بِهِ أذى مِنْ مَرَضٍ، يَنْتَفِعُ بِحَلْقِ رَأْسِهِ لَهُ، أَوْ قَرُوحٍ،

أَوْ قَمَلٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَحْلِقَ رَأْسَهُ،

-وَلَكِنْ يَكُونُ عَلَيْهِ فِدْيَةٌ مِنْ:-

1-صِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ،

2-أَوْ صَدَقَةٌ عَلَى سِتَّةِ مَسَاكِينٍ

3- أَوْ نَسْكَ مَا يَجْزِي فِي أَضْحِيَّةٍ، فَهُوَ مَخِيرٌ،

وَالنَّسْكَ أَفْضَلُ، فَالْصَّدَقَةُ، فَالصِّيَامُ.

ومثل هذا، كل ما كان في معنى ذلك:-

من تقليم الأظفار، أو تغطية الرأس، أو لبس المخيط، أو الطيب،

فإنه يجوز عند الضرورة،

مع وجوب الفدية المذكورة لأن القصد من الجميع، إزالة ما به يترفه.

(فَإِذَا آمَنْتُمْ)

أي: بأن قدرتم على البيت من غير مانع عدو وغيره،

(فَمَنْ تَمَنَعَ بِالْمُعْرَةِ إِلَى الْحَجِّ)

بأن توصل بها إليه، وانتفع بتمتعته بعد الفراغ منها.

**(فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ)**

أي: فعليه ما تيسر من الهدى، وهو ما يجزئ في أضحية، وهذا دم نسك،  
مقابلة لحصول النسكين له في سفرة واحدة،  
و لإِنعام الله عليه بحصول الانتفاع بالتمتع بعد فراغ العمرة،  
وقبل الشروع في الحج، ومثلها القران لحصول النسكين له.  
ويدل مفهوم الآية، على أن المفرد للحج، ليس عليه هدي،  
ودلت الآية، على جواز، بل فضيلة المتعة،  
وعلى جواز فعلها في أشهر الحج.

\*\*\* إِذَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ آدَاءِ الْمَنَاسِكِ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُتَمَتِّعًا بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ،  
وَهُوَ يَشْمَلُ مَنْ أَحْرَمَ بِهِمَا، أَوْ أَحْرَمَ بِالْعُمْرَةِ أَوَّلًا فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهَا أَحْرَمَ بِالْحَجِّ  
وَهَذَا هُوَ التَّمَتُّعُ الْخَاصُّ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ فِي كَلَامِ الْفُقَهَاءِ.  
وَالتَّمَتُّعُ الْعَامُّ يَشْمَلُ الْقِسْمَيْنِ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَحَادِيثُ الصَّحَاحُ،  
فَإِنَّ مِنَ الرُّوَاةِ مَنْ يَقُولُ:

تَمَتَّعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَآخَرَ يَقُولُ: قَرَنَ. وَلَا خِلَافَ أَنَّهُ سَاقَ الْهَدْيِ.

وَقَالَ تَعَالَى: {فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ}  
أي: فَلْيَذْبَحْ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ مِنَ الْهَدْيِ، وَأَقْلَهُ شَاءَ، وَلَهُ أَنْ يَذْبَحَ الْبَقْرَ؛  
لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَبَحَ عَنْ نِسَائِهِ الْبَقْرَ.

\*\*\* صحيح البخاري

1709 - عن عائشة رضي الله عنها تقول: حَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،  
لِخَمْسِ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ، لَا نُرَى إِلَّا الْحَجَّ،

فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْ مَكَّةَ «أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ إِذَا طَافَ  
وَسَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ أَنْ يَحِلَّ»  
قَالَتْ: فَدَخَلَ عَلَيْنَا يَوْمَ النَّحْرِ بِلَحْمِ بَقْرٍ،  
فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَ: نَحَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَزْوَاجِهِ،  
\*\*\* وَ فِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى شَرَعِيَّةِ التَّمَتُّعِ،

صحيح البخاري

4518 - عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:

"أُنزِلَتْ آيَةُ الْمُتَمَتُّعِ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَفَعَلْنَاهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،  
وَلَمْ يُنْزَلْ قُرْآنٌ يُحَرِّمُهُ، وَلَمْ يَنْهَ عَنْهَا حَتَّى مَاتَ، قَالَ: رَجُلٌ بَرَأِيهِ مَا شَاءَ

(فَمَنْ لَمْ يَمُتْ)

أي الهدى أو ثمنه

(فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ)

أول جوازها من حين الإحرام بالعمرة، وآخرها ثلاثة أيام بعد النحر،  
أيام رمي الجمار، والمبيت بـ « منى »

ولكن الأفضل منها، أن يصوم السابع، والثامن، والتاسع، ([3])

(وَسَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ)

أي فرغتم من أعمال الحج، فيجوز فعلها في مكة،  
وفي الطريق، وعند وصوله إلى أهله.

(تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ)

(ذَلِكَ)

المذكور من وجوب الهدى على المتمتع

(لَمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)

بأن كان عند مسافة قصر فأكثر، أو بعيدا عنه عرفات،  
فهذا الذي يجب عليه الهدى، لحصول النسكين له في سفر واحد،  
و أما من كان أهله من حاضري المسجد الحرام،  
فليس عليه هدى لعدم الموجب لذلك.

(وَأَتَّقُوا اللَّهَ)

أي: في جميع أموركم، بامثال أوامره، واجتناب نواهيه،  
ومن ذلك، امتثالكم، لهذه المأمورات،  
واجتناب هذه المحظورات المذكورة في هذه الآية.

(وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)

أي: لمن عصاه، وهذا هو الموجب للتقوى،  
فإن من خاف عقاب الله، انكف عما يوجب العقاب،  
كما أن من رجا ثواب الله ← عمل لما يوصله إلى الثواب،  
وأما من لم يخف العقاب، ولم يرج الثواب ← اقتحم المحارم، وتجراً على ترك  
الواجبات.

- 
- [1] جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول وأقول (الوادعي): لا داعي لإلغاء الروایتين أعني رواية النعمان والبراء مع صحتهما فالآية تشمل من ترك الجهاد وبخل وتشمل من أذنب وظن أن الله لا يغفر له ولا مانع من أن تكون الآية نزلت في الجميع
- [2] العاشر من ذي الحجة
- [3] قال الشيخ العدوي:- و إذا لم يستطع صيامها صامها أيام التشريق (11-12-13) من شهر ذي الحجة للترخيص الوارد في ذلك و الله أعلم

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ  
 فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى  
 وَأَنْتُمْ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿١١٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا  
 مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ  
 الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ  
 الضَّالِّينَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ  
 إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ  
 كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا  
 آئِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿١٢٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا  
 آئِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٢١﴾  
 أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٢٢﴾

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ  
 فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى  
 وَأَنْتُمْ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿١١٧﴾



يخبر تعالى أن (الْحَجُّ)

واقع في

(أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ)

عند المخاطبين، مشهورات، بحيث لا تحتاج إلى تخصيص،  
كما احتاج الصيام إلى تعيين شهره، وكما بين تعالى أوقات الصلوات الخمس.  
وأما الحج فقد كان من ملة إبراهيم، التي لم تزل مستمرة في ذريته معروفة  
بينهم.

والمراد بالأشهر المعلومات عند جمهور العلماء:-

1- شوال

2- ذو القعدة

3- وعشر من ذي الحجة، فهي التي يقع فيها الإحرام بالحج غالبا.

(فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ)

أي: أحرم به، لأن الشروع فيه يصيره فرضا، ولو كان نفلا.

-واستدل بهذه الآية الشافعي ومن تابعه، على أنه :-

لا يجوز الإحرام بالحج قبل أشهره، قلت لو قيل: إن فيها دلالة لقول

الجمهور، بصحة الإحرام بالحج قبل أشهره لكان قريبا،

فإن قوله: (فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ)

دليل على أن الفرض قد يقع في الأشهر المذكورة وقد لا يقع فيها،

والا لم يقيده.

وقوله: (فَلَا رَفَثٌ)

أي: يجب أن تعظموا الإحرام بالحج، وخصوصا الواقع في أشهره،  
وتصونوه عن كل ما يفسده أو ينقصه، من الرفث وهو الجماع و مقدماته  
[ الفعلية و القولية] خصوصا عند النساء بحضرتهن.

\*\*\* كَمَا قَالَ تَعَالَى: {أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ}

[البقرة: 187]

وَكَذَلِكَ يَحْرُمُ تَعَاطِي دَوَاعِيهِ مِنَ الْمُبَاشَرَةِ وَالتَّقْبِيلِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَكَذَا التَّكَلُّمُ  
بِهِ بِحَضْرَةِ النِّسَاءِ.

(وَلَا فُسُوقٌ)

والفسوق وهو: جميع المعاصي، ومنها محظورات الإحرام.  
\*\*\* الفسوقُ هَا هُنَا السَّبَابُ

(وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ)

والجدال وهو: الممارة والمنازعة والمخاصمة،  
لكونها تثير الشر، وتوقع العداوة.

-والمقصود من الحج:-

1- الـذل والانكسار لله،

2- و التقرب إليه بما أمكن من القربات،

3- و التنزه عن مقارفة السيئات،

فإنه بذلك يكون مبرورا والمبرور، ليس له جزاء إلا الجنة،  
وهذه الأشياء وإن كانت ممنوعة في كل مكان وزمان،  
فإنها يتغلظ المنع عنها في الحج.

واعلم أنه لا يتم التقرب إلى الله بترك المعاصي حتى يفعل الأوامر، ولهذا قال

تعالى: **(وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ)**

أتى بـ « من » لتنصيص على العموم، فكل خير وقربة وعبادة، داخل في ذلك،  
أي: فإن الله به عليم،

وهذا يتضمن غاية الحث على أفعال الخير، وخصوصا في تلك البقاع الشريفة  
والحرمات المنيفة،

فإنه ينبغي تدارك ما أمكن تداركه فيها من

[صلاة، وصيام، وصدقة، وطواف، وإحسان قولي وفعلي].

**(وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النُّقُوءَ)**

\*\*\* صحيح البخاري

1523 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:

" كَانَ أَهْلُ الْيَمَنِ يَحْجُونَ وَلَا يَتَزَوَّدُونَ،

وَيَقُولُونَ: نَحْنُ الْمَتَوَكِّلُونَ،

فَإِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ سَأَلُوا النَّاسَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:

{وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى} [البقرة: 197] ( )

\*\*\* لَمَّا أَمَرَهُمْ بِالزَّادِ لِلسَّفَرِ فِي الدُّنْيَا أَرشَدَهُمْ إِلَى زَادِ الآخِرَةِ، وَهُوَ اسْتِصْحَابُ التَّقْوَى إِلَيْهَا، كَمَا قَالَ:

{وَرِيئًا وَلِبَاسِ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ} [الأعراف: 26] .

لَمَّا ذَكَرَ اللَّبَّاسَ الْحِصِّيَّ نَبَهَ مُرَشِدًا إِلَى [اللَّبَّاسِ الْمَعْنَوِيِّ]، وَهُوَ الْخُشُوعُ، وَالطَّاعَةُ وَالتَّقْوَى، وَذَكَرَ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ هَذَا، وَأَنْفَعُ.

—ثم أمر تعالى بالتزود لهذا السفر المبارك،

فإن التزود فيه الاستغناء عن المخلوقين، والكف عن أموالهم،

سؤالًا واستشرافًا،

—و في الإكثار منه نفع وإعانة للمسافرين، وزيادة قربة لرب العالمين،

وهذا الزاد الذي المراد منه إقامة البنية بلغة ومتاع.

وأما الزاد الحقيقي المستمر نفعه لصاحبه، في دنياه، وأخراه فهو:—

زاد التقوى الذي هو زاد إلى دار القرار، وهو الموصل لأكمل لذة، وأجل نعيم

دائم أبداً،

—و من ترك هذا الزاد، فهو المنقطع به الذي هو عرضة لكل شر،

---

(المتوكلون) المعتمدون على الله عز وجل ولا يكون المتوكل شرعياً إلا إذا أخذ بالأسباب  
المادية المألوفة وإلا فهو تواكل.

(تزودوا) خذوا معكم من الزاد ما يبلغكم سفركم وتستغنون به عن سؤال الناس. (التقوى)  
خشية الله تعالى والعمل للآخرة ومنه عدم التواكل. هذا مع إشارة إلى أن التزود للآخرة أولى  
بالاهتمام من التزود لسفر الدنيا.

وممنوع من الوصول إلى دار المتقين. فهذا مدح للتقوى.  
ثم أمر بها أولي الألباب فقال:

**(وَأَتَقُونَ يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ)**

أي: يا أهل العقول الرزينة، اتقوا ربكم الذي تقواه أعظم ما تأمر به العقول،  
وتركها دليل على الجهل، وفساد الرأي.

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ  
مِنْ عَرَفْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا  
هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١١٨﴾

ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ  
رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ  
أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آئِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ  
فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آئِنَا فِي الدُّنْيَا

حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا  
كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

**(لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ)**

\* جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

2050 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:

"كَانَتْ عُكَاظٌ، وَمَجَنَّةٌ، وَذُو الْمَجَازِ، أَسْوَاقًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا كَانَ الْإِسْلَامُ، فَكَانَتْهُمْ تَأْتُمُوا فِيهِ، فَنَزَلَتْ:

{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ} [البقرة:198]

فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ " قَرَأَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ (□)

—لما أمر تعالى بالتقوى، أخبر تعالى أن ابتغاء فضل الله بالتكسب في مواسم الحج وغيره، ليس فيه حرج إذا لم—

1—يشغل عما يجب إذا كان المقصود هو الحج،

2—و كان الكسب حلالا منسوبا إلى فضل الله، لا منسوبا إلى حذق العبد، و الوقوف مع السبب، ونسيان المُسَبِّبِ، فإن هذا هو الحرج بعينه. وفي قوله:

{فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مَنْ عَرَفْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ} (الْمَشْعَرِ)

(أسواقا) يتاجرون فيها في موسم الحج.

(تأتموا فيه) اجتنبوا التجارة في موسم الحج احترازا عن الإثم وخشية أن يذهب الأجر.

(مواسم) جمع موسم وهو وقت الاجتماع للتجارة ونحوها سمي بذلك لأنه معلّم يجتمع الناس إليه.

(قرأها. .) أي قرأ هذه اللفظة " في مواسم الحج " في جملة القرآن وهو خلاف المشهور فهي قراءة شاذة ولها حكم حديث الأحاد فتكون تفسيرا للآية وليست بقرآن]

\*\*\*المعالم الظاهرة و اما سميت المزدلفة بالمشعر الحرام لانها داخل الحرم  
-دلالة على أمور: -

أحدها: الوقوف بعرفة، وأنه كان معروفاً أنه ركن من أركان الحج،  
فالإفاضة من عرفات، لا تكون إلا بعد الوقوف.

الثاني: الأمر بذكر الله عند المشعر الحرام، وهو المزدلفة، وذلك أيضا  
معروف، يكون ليلة النحر بائتا بها، وبعد صلاة الفجر،  
يقف في المزدلفة داعياً، حتى يسفر جداً،  
ويدخل في ذكر الله عنده، إيقاع الفرائض والنوافل فيه.

الثالث: أن الوقوف بمزدلفة، متأخر عن الوقوف بعرفة، كما تدل عليه الفاء  
والترتيب.

الرابع، والخامس: أن عرفات ومزدلفة، كلاهما من مشاعر الحج المقصود  
فعلها، وإظهارها.

السادس: أن مزدلفة في الحرم، كما قيده بالحرام.

السابع: أن عرفة في الحل، كما هو مفهوم التقييد بـ « مزدلفة »  
\*\*\* سنن الترمذي ت شاكر

2975 عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

" الْحَجُّ عَرَفَاتُ، الْحَجُّ عَرَفَاتُ، الْحَجُّ عَرَفَاتُ، أَيَّامٌ مِّنِّي ثَلَاثٌ

{ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ } [البقرة: 203]

وَمَنْ أَدْرَكَ عَرَفَةَ قَبْلَ أَنْ يَطَّلِعَ الْفَجْرَ فَقَدْ أَدْرَكَ الْحَجَّ "

\*\*\* وَوَقْتُ الْوُقُوفِ مِنَ الزَّوَالِ يَوْمَ عَرَفَةَ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ الثَّانِي مِنْ يَوْمِ  
النَّحْرِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَقَفَ فِي حَجَّةِ الْوُدَاعِ، بَعْدَ أَنْ صَلَّى الظُّهْرَ إِلَى أَنْ غَرَبَتِ  
الشَّمْسُ، وَقَالَ: "تَأْخُذُوا عَنِّي مَنَاسِكُكُمْ"

\*\*\* وَقَالَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: "فَمَنْ أَدْرَكَ عَرَفَةَ قَبْلَ أَنْ يَطْلُعَ الْفَجْرُ فَقَدْ  
أَدْرَكَ" وَهَذَا مَذْهَبُ مَالِكٍ، وَأَبِي حَنِيفَةَ،

\*\*\* وَذَهَبَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ إِلَى أَنَّ وَقْتَ الْوُقُوفِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمِ عَرَفَةَ.  
وَاحْتَجُّوا بِحَدِيثِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ مَرْسٍ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ لَامِ الطَّائِيِّ  
\*\*\* فِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ

1950 - عَنْ عُرْوَةَ بْنِ مَرْسٍ الطَّائِيِّ، قَالَ:

أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْمَوْقِفِ يَعْنِي بَجَمْعٍ قُلْتُ:  
جِئْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ حَبَلٍ طَيِّبٍ أَكَلْتُ مَطِيئِي وَأَتَعَبْتُ نَفْسِي  
وَاللَّهِ مَا تَرَكْتُ مِنْ حَبَلٍ إِلَّا وَقَفْتُ عَلَيْهِ فَهَلْ لِي مِنْ حَجٍّ؟  
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«مَنْ أَدْرَكَ مَعَنَا هَذِهِ الصَّلَاةَ، وَأَتَى عَرَفَاتَ، قَبْلَ ذَلِكَ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا،  
فَقَدْ تَمَّ حَجُّهُ، وَقَضَى تَفَنُّهُ»

\*\*\* وَفِي حَدِيثِ جَابِرِ الطَّوِيلِ صَحِيحِ مُسْلِمَ 1218  
(..... حَتَّى أَتَى الْمُرْدَلِفَةَ، فَصَلَّى بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ،  
وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا شَيْئًا،

ثُمَّ اضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، وَصَلَّى الْفَجْرَ،  
حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ، بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ،

ثُمَّ رَكِبَ الْقِصْوَاءَ، حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ،  
فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَدَعَاهُ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ،  
فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أَسْفَرَ جِدًّا، فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ)



**وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ)**

أي: اذكروا الله تعالى كما منّ عليكم بالهداية بعد الضلال،  
وكما علمكم ما لم تكونوا تعلمون،  
فهذه من أكبر النعم، التي يجب شكرها ومقابلتها بذكر المنعم بالقلب  
واللسان.

**(لَيْنَ الضَّالِّينَ)**

\*\*\* مِنْ قَبْلِ هَذَا الْهَدْيِ، وَقَبْلَ الْقُرْآنِ، وَقَبْلَ الرَّسُولِ،  
وَالْكُلِّ مُتْقَارِبٌ، وَمُتَلَازِمٌ، وَصَحِيحٌ.

**(ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّكَاسُ)**

\*\*\* (ثُمَّ) هَاهُنَا لِعَطْفِ خَبَرٍ عَلَى خَبَرٍ وَتَرْتِيبِهِ عَلَيْهِ،  
كَأَنَّهُ تَعَالَى أَمَرَ الْوَاقِفَ بِعَرَفَاتٍ أَنْ يَدْفَعَ إِلَى الْمُرْدَلِفَةِ،  
لِيَذْكُرَ اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ،  
وَأَمْرَهُ أَنْ يَكُونَ وَقُوفُهُ مَعَ جُمُهورِ النَّاسِ بِعَرَفَاتٍ،  
كَمَا كَانَ جُمُهورُ النَّاسِ يَصْنَعُونَ، يَقِفُونَ بِهَا إِلَّا قَرِيبًا،  
فَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَخْرُجُونَ مِنَ الْحَرَمِ،  
فَيَقِفُونَ فِي طَرْفِ الْحَرَمِ عِنْدَ أَدْنَى الْحِلِّ،  
وَيَقُولُونَ: نَحْنُ أَهْلُ اللَّهِ فِي بَلَدَتِهِ، وَقَطَّانَ بَيْتِهِ.  
\* جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

صحيح البخاري

1665 عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، قَالَ عُرْوَةُ:

«كَانَ النَّاسُ يَطُوفُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عُرَاةً إِلَّا الْحُمْسَ،

وَالْحُمْسُ قُرَيْشٌ وَمَا وَلَدَتْ،

وَكَانَتِ الْحُمْسُ يَحْتَسِبُونَ عَلَى النَّاسِ،

يُعْطِي الرَّجُلُ الرَّجُلَ الثِّيَابَ يَطُوفُ فِيهَا،

وَتُعْطِي الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ الثِّيَابَ تَطُوفُ فِيهَا،

فَمَنْ لَمْ يُعْطِهِ الْحُمْسُ طَافَ بِالثِّيَابِ عُرْيَانًا،

وَكَانَ يُفِيضُ جَمَاعَةَ النَّاسِ مِنْ عَرَافَاتِ،

وَيُفِيضُ الْحُمْسُ مِنْ جَمْعٍ»

قَالَ: وَأَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا "

أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي الْحُمْسِ:

**ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ** [البقرة: 199]

قَالَ: كَانُوا يُفِيضُونَ مِنْ جَمْعٍ، فَدَفَعُوا إِلَى عَرَافَاتِ (□)

\* صحيح البخاري

4520 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

«كَانَتِ قُرَيْشٌ وَمَنْ دَانَ دِينَهَا يَقْضُونَ بِالْمُزْدَلِفَةِ،

وَكَانُوا يُسَمُّونَ الْحُمْسَ، وَكَانَ سَائِرُ الْعَرَبِ يَقْضُونَ بِعَرَافَاتِ،

فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَأْتِيَ عَرَافَاتِ، ثُمَّ يَقِفَ بِهَا،

(يحتسبون على الناس) يعطونهم حسبة بدون مقابل.

(يفيض) يدفع من عرفة.

(جماعة الناس) باقي الناس غير قريش.

(جمع) مزدلفة.

ثُمَّ يُفِيضُ مِنْهَا» فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

{ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ} [البقرة: 199] (□)

أي: ثم أفيضوا من مزدلفة من حيث أفاض الناس، من لدن إبراهيم عليه السلام إلى الآن، والمقصود من هذه الإفاضة كان معروفا عندهم، وهو:-

1- رمي الجمار

2- و ذبح الهدايا

3- و الطواف

4- و السعي،

5- و المبيت بـ « منى » ليالي التشريق

6- و تكميل باقي المناسك.

**(وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)**

\*\*\* كَثِيرًا مَا يَأْمُرُ اللَّهُ بِذِكْرِهِ بَعْدَ قِضَاءِ الْعِبَادَاتِ

كما في صحيح مسلم

عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا

**(فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ)**

ولما كانت هذه الإفاضة، يقصد بها ما ذكر، والمذكورات آخر المناسك،

أمر تعالى عند الفراغ منها باستغفاره والإكثار من ذكره،

---

(دان دينها) اتبع طريقها.

(سائر) باقي

فلاستغفار للخلل الواقع من العبد، في أداء عبادته وتقصيره فيها،  
وذكر الله شكر الله على إنعامه عليه بالتوفيق لهذه العبادة العظيمة والمنة  
الجسيمة.

-وهكذا ينبغي للعبد، كلما فرغ من عبادة، أن:-

1- يستغفر الله عن التقصير،

2- ويشكره على التوفيق،

-لا كمن يرى أنه قد أكمل العبادة، و منَّ بها على ربه،

و جعلت له محلا و منزلة رفيعة، فهذا حقيق بالمقت، و رد الفعل،

كما أن الأول، حقيق بالقبول و التوفيق لأعمال آخر.

**(كذِكْرُكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا)**

\*\*\*اِخْتَلَفُوا فِي مَعْنَاهُ عَنْ عَطَاءٍ:-

هُوَ كَقَوْلِ الصَّبِيِّ: "أَبُو أُمَّهُ"، يَعْني: كَمَا يَلْهَجُ الصَّبِيُّ بِذِكْرِ أَبِيهِ وَأُمَّهِ،  
فَكَذَلِكَ أَنْتُمْ، فَالْهَجُوا بِذِكْرِ اللَّهِ بَعْدَ قِضَاءِ النَّسْكِ.

-ثم أخبر تعالى عن أحوال الخلق، وأن الجميع يسألونه مطالبهم،

ويستدفعونه ما يضرهم، ولكن مقاصدهم تختلف، فمنهم:

**( وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا )**

\*\*\*وَذَمَّ مَنْ لَا يَسْأَلُهُ إِلَّا فِي أَمْرِ دُنْيَاهُ،

أي: يسأله من مطالب الدنيا ما هو من شهواته،

**( وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ )**

\*\*\* وَهُوَ مُعْرَضٌ عَنِ أُخْرَاهُ

وليس له في الآخرة من (خَلَقِي): نصيب، لرغبته عنها، وقصر همته على الدنيا،

( وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ )

ومنهم من يدعو الله لمصلحة الدارين، ويفتقر إليه في مهمات دينه ودنياه،

وكل من هؤلاء وهؤلاء، لهم نصيب من كسبهم وعملهم،

وسيجازيهم تعالى على حسب أعمالهم، وهماتهم ونياتهم،

جزاء دائرا بين العدل والفضل، يحمد عليه أكمل حمد وأتمه،

وفي هذه الآية دليل على أن:-

-الله يجيب دعوة كل داع، مسلما أو كافرا، أو فاسقا،

-ولكن ليست إجابته دعاء من دعاه، دليلا على محبته له وقربه منه،

[إلا في مطالب الآخرة ومهمات الدين].

والحسنة المطلوبة في الدنيا يدخل فيها كل ما يَحْسُنُ وقعه عند العبد من:-

1-رزق هنيء واسع حلال،

2-و زوجة سالحة،

3-و ولد تقر به العين،

4-و راحة،

5-و علم نافع،

6- و عمل صالح، ونحو ذلك، من المطالب المحبوبة والمباحة.  
وحسنة الآخرة، هي:-

1- السلامة من العقوبات، في [القبر، والموقف، والنار]

[\*\*\* الأَمْنِ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ فِي الْعَرَصَاتِ]

2-\*\*\* وَتَيْسِيرِ الْحِسَابِ

3- وحصول رضا الله،

4- والفوز بالنعيم المقيم،

5- والقرب من الرب الرحيم،

فصار هذا الدعاء، أجمع دعاء وأكملة، وأولاه بالإيثار،

ولهذا كان النبي ﷺ يكثر من الدعاء به، والحث عليه.

**(وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ )**

وَأَمَّا النَّجَاهُ مِنَ النَّارِ فَهُوَ يَفْتَضِي تَيْسِيرَ أَسْبَابِهِ فِي الدُّنْيَا، مِنْ:-

1- اجْتِنَابِ الْمَحَارِمِ وَالْأَثَامِ

2- وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ وَالْحَرَامِ.

\*\*\*صحيح مسلم

(2690) سَأَلَ قَتَادَةُ أَنَسًا أَيُّ دَعْوَةٍ كَانَ يَدْعُو بِهَا النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَ،

قَالَ: كَانَ أَكْثَرَ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا يَقُولُ:

«اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»

قَالَ: وَكَانَ أَنَسٌ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدَعْوَةٍ دَعَا بِهَا،

فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدُعَاءٍ دَعَا بِهَا فِيهِ

\*\*\*صحيح مسلم

688 عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، عَادَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ  
قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ﷺ:  
« هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟ »  
قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ:

اللَّهُمَّ مَا كُنْتُ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا،  
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " سُبْحَانَ اللَّهِ لَا تُطِيقُهُ - أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ - أَفَلَا قُلْتَ:  
اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ "   
قَالَ: فَدَعَا اللَّهَ لَهُ، فَشَفَاهُ. ( )

**(أَوْلَاتِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا)**

\*الميسر: أولئك الداعون بهذا الدعاء لهم ثواب عظيم بسبب ما  
كسبوه من الأعمال الصالحة.

**(وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ)**

\*أيسر التفاسير: فيعجل لهم تقديم الثواب وهو الجنة  
\*الميسر: مُحْصٍ أعمال عبادته، ومجازيهم بها.

---

(مثل الفرخ) أي ضعف

(في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) أظهر الأقوال في تفسير الحسنه في الدنيا  
أنها العبادة والعافية وفي الآخرة الجنة والمغفرة]

﴿ وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ

وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ

﴿٢٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي

قَلْبِهِ وَهُوَ الذُّ الْخِصَامِ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ

الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ

بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي

نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا أَدْخَلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ

إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٨﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ

فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ

مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٣٠﴾

﴿ وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ

تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ

﴿ وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾



يأمر تعالى بذكره في الأيام المعدودات،  
 وهي أيام التشريق (I) الثلاثة بعد العيد، لمزيتها وشرفها،  
 وكون بقية أحكام المناسك تفعل بها،  
 ولكون الناس أضيافاً لله فيها، ولهذا حرم صيامها،  
 فللذكر فيها مزية ليست لغيرها، ولهذا قال النبي ﷺ في صحيح مسلم: -

1141- عَنْ نُبَيْشَةَ الْهَدَلِيَّةِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
 «أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامٌ أَكُلُ وَشُرِبُ»

ويدخل في ذكر الله فيها، ذكره عند رمي الجمار، وعند الذبح،  
 والذكر المقيد عقب الفرائض، بل قال بعض العلماء:  
 إنه يستحب فيها التكبير المطلق، كالعشر، وليس ببعيد.

\*\*\* ذَكَرَ اللَّهُ عَلَى الْأَضَاحِيِّ، وَقَدْ تَقَدَّمَ،  
 وَيَتَعَلَّقُ بِهِ أَيْضًا الذِّكْرُ الْمُؤَقَّتُ خَلْفَ الصَّلَوَاتِ، وَالْمُطْلَقُ فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ.  
 وَفِي وَقْتِهِ أَقْوَالٌ لِلْعُلَمَاءِ، وَأَشْهَرُهَا الَّذِي عَلَيْهِ الْعَمَلُ أَنَّهُ:-  
 مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ يَوْمَ عَرَفَةَ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ مِنْ آخِرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ،  
 وَهُوَ آخِرُ النَّفْرِ الْآخِرِ.

\*\*\* صحيح البخاري  
 جاء في (بَابُ التَّكْبِيرِ أَيَّامَ مِنِّي، وَإِذَا عَدَا إِلَى عَرَفَةَ)  
 وَكَانَ عَمَّ رُضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
 «يُكَبَّرُ فِي قُبَّتِهِ مِنِّي فَيَسْمَعُهُ أَهْلُ الْمَسْجِدِ،

فَيُكَبِّرُونَ وَيُكَبِّرُ أَهْلُ الْأَسْوَاقِ حَتَّى تَرْتَجَّ مِنِّي تَكْبِيرًا»  
وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ «يُكَبِّرُ مِنِّي تِلْكَ الْأَيَّامَ،  
وَخَلْفَ الصَّلَوَاتِ

وَعَلَى فِرَاشِهِ

وَفِي فُسْطَاطِهِ وَمَجْلِسِهِ،

وَمَمَشَاهُ تِلْكَ الْأَيَّامَ جَمِيعًا»

وَكَانَتْ مَيْمُونَةٌ: «تُكَبِّرُ يَوْمَ النَّحْرِ»

- وَكُنَّ «النِّسَاءُ يُكَبِّرْنَ خَلْفَ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ، وَعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ

لِيَايِ التَّشْرِيقِ مَعَ الرَّجَالِ فِي الْمَسْجِدِ» ( )

\*\*\*وَيَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ أَيْضًا التَّكْبِيرُ وَذَكَرَ اللَّهُ عِنْدَ رَمِي الْجَمَرَاتِ كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ

التَّشْرِيقِ

**(فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ)**

أي: خرج من « منى » ونفر منها قبل غروب شمس اليوم الثاني

**(فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ)**

بأن بات بها ليلة الثالث ورمى من الغد

**(فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ)**

وهذا تخفيف من الله تعالى على عباده،

---

(فسطاطه) بيت من شعر ونحوه وربما كان له أورقة حوله وعند بابه.  
(يكبرن) تكبير النساء هذا مشروط بعدم ارتفاع الصوت وتليينه والتكسر فيه  
حتى لا تقع فتنة]

- في إبـاحة كلا الأمرين، و لكن من المعلوم أنه إذا أبيع كلا الأمرين،  
فالمتأخر أفضل، لأنه أكثر عبادة.

و لما كان نفي الحرج قد يُفهم منه نفي الحرج في ذلك المذكور و في غيره،  
و الحاصل أن الحرج منفي عن المتقدم، والمتأخر فقط قيده بقوله:

**(لِمَنِ اتَّقَىٰ)**

أي: اتقى الله في جميع أموره، و أحوال الحج،  
فمن اتقى الله في كل شيء، حصل له نفي الحرج في كل شيء،  
و من اتقاه في شيء دون شيء، كان الجزاء من جنس العمل.

**(وَاتَّقُوا اللَّهَ)**

بامثال أوامره واجتناب معاصيه،

**(وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)**

\*\*\*وَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى النَّفْرَ الْأَوَّلَ وَالثَّانِي، وَهُوَ تَفَرُّقُ النَّاسِ مِنْ مَوْسِمِ  
الْحَجِّ إِلَى سَائِرِ الْأَقَالِيمِ وَالْأَفَاقِ بَعْدَ اجْتِمَاعِهِمْ فِي الْمَشَاعِرِ وَالْمَوَاقِفِ،

قَالَ: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}

أي: تَجْتَمِعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

كَمَا قَالَ: {وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [الْمُؤْمِنُونَ: 79].

- فمجازيكم بأعمالكم، فمن اتقاه، وجد جزاء التقوى عنده،

ومن لم يتقه، عاقبه أشد العقوبة،

فالعلم بالجزاء من أعظم الدواعي لتقوى الله،

فلهذا حث تعالى على العلم بذلك.

وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ  
وَهُوَ الَّذِي الْخَصَامِيرُ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ  
الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ  
بِالْإِسْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ

لما أمر تعالى بالإكثار من ذكره، وخصوصا في الأوقات الفاضلة الذي هو خير  
ومصلحة وبر، أخبر تعالى بحال من يتكلم بلسانه ويخالف فعله قوله،  
فالكلام إما أن يرفع الإنسان أو يخفضه فقال:

( وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا )  
\*\*\*: أَنَّهُ يُظْهِرُ لِلنَّاسِ الْإِسْلَامَ وَيَبَارِزُ اللَّهَ بِمَا فِي قَلْبِهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالنَّفَاقِ،  
قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ} الْآيَةَ

[النساء: 108]

\*\*\* وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّهُ إِذَا أَظْهَرَ لِلنَّاسِ الْإِسْلَامَ حَلَفَ وَ أَشْهَدَ اللَّهَ لَهُمْ:-  
-أَنَّ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مُوَافِقٌ لِلِسَانِهِ. وَهَذَا الْمَعْنَى صَحِيحٌ،  
أي: إذا تكلم راق كلامه للسامع، وإذا نطق، ظننته يتكلم بكلام نافع،  
ويؤكد ما يقول ((بأن من صفته))

( وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ )

بأن يخبر أن الله يعلم، أن ما في قلبه موافق لما نطق به، وهو كاذب في ذلك،  
[لأنه يخالف قوله فعله].

فلو كان صادقاً، لتوافق القول والفعل، كحال المؤمن غير المنافق، فلهذا قال:

**(وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ)**

\*\*\*الألدُّ في اللُّغة: هُوَ الْأَعْوَجُ، كقوله {وَتُنذِرُ بِهِ قَوْمًا لُدًّا} {مَرِيَمَ: 97}  
أَي: عَوْجًا. وَهَكَذَا الْمُنَافِقُ فِي حَالِ خُصُومَتِهِ، يَكْذِبُ، وَيَزُورُ عَنِ الْحَقِّ  
وَلَا يَسْتَقِيمُ مَعَهُ، بَلْ يَفْتَرِي وَيَفْجُرُ،  
كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:  
"آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ".

\*\*\*صحيح البخاري

4523 - عَنْ عَائِشَةَ، تَرْفَعُهُ قَالَ: «أَبْغَضُ الرَّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدُّ الْخِصْمُ»

أي: إذا خاصمته، وجدت فيه من **اللد و الصعوبة و التعصب**،

وما يترتب على ذلك، ما هو من مقابح الصفات، ليس كأخلاق المؤمنين،

الذين جعلوا السهولة مركبهم، والانقياد للحق وظيفتهم، والسماحة سجيبتهم.

**وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا**

**يُحِبُّ الْفُسَادَ**

\*\*\*هُوَ أَعْوَجُ الْمَقَالِ، سَيِّئُ الْفَعَالِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ، وَهَذَا فِعْلُهُ: كَلَامُهُ كَذِبٌ،  
وَاعْتِقَادُهُ فَاسِدٌ، وَأَفْعَالُهُ قَبِيحَةٌ.

وَالسَّعْيُ هَاهُنَا هُوَ: الْقَصْدُ. كَمَا قَالَ إِخْبَارًا عَنْ فِرْعَوْنَ:

{ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى \* فَحَشَرَ فَنَادَى \* فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى \* فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ  
الْآخِرَةِ وَالْأُولَى \* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى } [النَّازِعَاتِ: 22-26] ،

وَقَالَ تَعَالَى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى  
ذِكْرِ اللَّهِ } [الْجُمُعَةِ: 9]

أي: اقصدوا واعمدوا ناوين بذلك صلاة الجمعة،  
فإن السعي الحسي إلى الصلاة منهي عنه بالسنة النبوية:

في صحيح مسلم

602 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ:  
« إِذَا تَوَّبَ لِلصَّلَاةِ فَلَا تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ، وَأْتُوهَا وَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ،  
فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأْتُوا،  
فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ يَعْمِدُ إِلَى الصَّلَاةِ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ »  
فَهَذَا الْمُنَافِقُ لَيْسَ لَهُ هِمَّةٌ إِلَّا الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ

(وَإِذَا تَوَلَّى)

هذا الذي يعجبك قوله إذا حضر عندك

(سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا)

أي: يجتهد على أعمال المعاصي، التي هي إفساد في الأرض

(وَيُهْلِكُ)

بسبب ذلك

(الْحَرْثُ)

**(وَالنَّسْلَ)**

و المواشي، تلف و تنقص، و تقل بركتها، بسبب العمل في المعاصي،

**(وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ)**

وإذا كان لا يحب الفساد، فهو يبغض العبد المفسد في الأرض، غاية البغض،  
وإن قال بلسانه قولاً حسناً.

ففي هذه الآية دليل على:-

- 1- أن الأقوال التي تصدر من الأشخاص، ليست دليلاً على صدق ولا كذب،  
ولا بر ولا فجور حتى يوجد العمل المصدق لها، المزكي لها
- 2- وأنه ينبغي اختبار أحوال الشهود، والمحقق والمبطل من الناس،  
بسبر أعمالهم، والنظر لقرائن أحوالهم،  
وأن لا يعتر بتمويههم وتزكيتهم أنفسهم.

**(وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ)**

ثم ذكر أن هذا المفسد في الأرض بمعاصي الله، إذا أمر بتقوى الله تكبر  
وأنف، و

**(أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ)**

فيجمع بين العمل بالمعاصي و الكبر على الناصحين.

خرج هارونُ الرشيدُ يوماً من مجلس الإمارة فاعترضه يهوديٌّ وقال له: اتق الله، فنزل هارون من على دابته وسجد على الأرض، فقال له أتباعه: إنه يهودي، قال هارون: اتق الله! ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ﴾ (١) (٢).

(فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ)

التي هي دار العاصين و المتكبرين،

(وَلَيْسَ الْمِهَادُ)

أي: المستقر و المسكن، عذاب دائم، و هم لا ينقطع، و يأس مستمر، لا يخفف عنهم العذاب، و لا يرجون الثواب، جزاء لجنایاتهم و مقابلة لأعمالهم، فعيادا بالله من أحوالهم.

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٧﴾  
(يشري :بييع بخلاف كلمة يشترى كما أن يبتاع بمعنى يشترى بخلاف كلمة يبيع وهذا على الغالب)

\*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

المستدرك على الصحيحين للحاكم

5700 - عَنْ عِكْرَمَةَ، قَالَ: لَمَّا خَرَجَ صُهَيْبٌ مُهَاجِرًا تَبِعَهُ أَهْلُ مَكَّةَ فَنَثَلَ كِنَانَتَهُ، فَأَخْرَجَ مِنْهَا أَرْبَعِينَ سَهْمًا، فَقَالَ: «لَا تَصَلُّونَ إِلَيَّ حَتَّى أَضَعَ فِي كُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ سَهْمًا، ثُمَّ أَصِيرَ بَعْدَ إِلَى السَّيْفِ فَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَجُلٌ»



وَقَدْ خَلَصَتْ بِمَكَّةَ قَيْنَتَيْنِ فَهُمَا لَكُمْ»  
\*قَالَ: عَنْ أَنَسٍ - نَحْوَهُ - وَنَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ:

{ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ }  
فَلَمَّا رَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «أَبَا يَحْيَى رِبِحَ الْبَيْعُ»  
قَالَ: وَتَلَّ عَلَيْهِ الْآيَةَ

هؤلاء هم الموفقون الذين باعوا أنفسهم وأرخصوها وبذلوها طلباً لمرضاة الله ورجاء لثوابه، فهم بذلوا الثمن للمليء الوفيِّ الرعوف بالعباد، الذي من رأفته ورحمته أن وفقهم لذلك، وقد وعد الوفاء بذلك، فقال:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرِّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة: ١١١

وفي هذه الآية أخبر أنهم اشتروا أنفسهم وبذلوها، وأخبر برأفته الموجبة لتحصيل ما طلبوا، وبذل ما به رغبوا، فلا تسأل بعد هذا عن ما يحصل لهم من الكريم، وما ينالهم من الفوز والتكريم

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ

الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا

جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾

**(يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَدْخُلُوا)**

هذا أمر من الله تعالى للمؤمنين أن يدخلوا

**(فِي السَّلْمِ كَافَّةً)**

أي: في جميع شرائع الدين، ولا يتركوا منها شيئاً،  
وأن لا يكونوا ممن اتخذ إلهه هواه، إن وافق الأمر المشروع هواه فعله،  
وإن خالفه، تركه،

← بل الواجب أن يكون الهوى، تبعاً للدين،

وأن يفعل كل ما يقدر عليه، من أفعال الخير، وما يعجز عنه، يلتزمه وبنوئه،  
فيدركه بنيته.

ولما كان الدخول في السلم كافة، لا يمكن ولا يتصور إلا بمخالفة طرق  
الشیطان قال:

**(وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ)**

أي: في العمل بمعاصي الله

\*\*\* ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ١٦٩

**(إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)**

والعدو المبين، لا يأمر إلا بالسوء والفحشاء، وما به الضرر عليكم.  
ولما كان العبد لا بد أن يقع منه خلل وزلل، قال تعالى:

(فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ)

أي: على علم و يقين  
\*\*\*عَدَلْتُمْ عَنِ الْحَقِّ بَعْدَ مَا قَامَتْ عَلَيْكُمْ الْحُجَجُ،

(فَاعَلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)

\*\*\* فَاَعَلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ أَي فِي انْتِقَامِهِ، لَا يَفُوتُهُ هَارِبٌ، وَلَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ.  
حَكِيمٌ فِي أَحْكَامِهِ وَنَقْضِهِ وَإِبْرَامِهِ  
عَزِيزٌ فِي نِقْمَتِهِ، حَكِيمٌ فِي أَمْرِهِ.

وفيه من الوعيد الشديد، والتخويف، ما يوجب [ترك الزلل]  
فإن العزيز القاهر الحكيم،

إذا عصاه العاصي، قهره بقوته،

وعذبه بمقتضى حكمته فإن من حكمته، تعذيب العصاة والجناة.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ  
وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ

(هَلْ يَنْظُرُونَ)

وهذا فيه من الوعيد الشديد والتهديد ما تنخلع له القلوب، يقول تعالى:  
هل ينتظر الساعون في الفساد في الأرض، المتبعون لخطوات الشيطان،  
الناబذون لأمر الله إلا يوم الجزاء بالأعمال،  
الذي قد حُشي من الأهوال والشدائد والفظائع، ما يقلقل قلوب الظالمين،

ويحق به الجزاء السيئ على المفسدين.

**(إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ)**

وذلك أن الله تعالى يطوي السماوات والأرض، وتشر الكواكب، وتكور الشمس والقمر، وتنزل الملائكة الكرام، فتحيط بالخلائق، وينزل الباري تبارك تعالى:

**(فِي ظِلِّ مِّنَ الْفُجَاءِ وَالْمَلَكِ)**

\* الميسر: ما ينتظر هؤلاء المعاندون الكافرون بعد قيام الأدلة البينة إلا أن يأتيهم الله عز وجل على الوجه اللائق به سبحانه في ظل من السحاب يوم القيامة ؛ ليفصل بينهم بالقضاء العادل، وأن تأتي الملائكة

**(وَقُضِيَ الْأَمْرُ)**

\* الميسر: وحينئذ يقضي الله تعالى فيهم قضاءه

**(وَالِلَّهِ تُرْجِعُ الْأُمُورُ)**

\* الميسر: وإليه وحده ترجع أمور الخلائق جميعها.

\*\*\* ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكَّادًا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿ وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذَكُرُ الْإِنْسَانَ أَنَّهُ لهُ الذِّكْرَى ﴾ الفجر: ٢١ - ٢٣

ليفصل بين عباده بالقضاء العدل.

فتوضع الموازين، وتشر الدواوين، وتبيض وجوه أهل السعادة وتسود وجوه أهل الشقاوة، ويتميز أهل الخير من أهل الشر، وكل يجازى بعمله،

فهناك بعض الظالم على يديه إذا علم حقيقة ما هو عليه.  
- وهذه الآية وما أشبهها دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، المثبتين للصفات الاختيارية، [كالاتواء، والنزول، والمجيء ونحو ذلك من الصفات التي أخبر بها تعالى] عن نفسه، أو أخبر بها عنه رسوله ﷺ،

فيثبتونها على وجه يليق بجلال الله وعظمته، من غير تشبيه ولا تحريف،  
خلافًا للمعطلة على اختلاف أنواعهم، من

[الجهمية، والمعتزلة، والأشعرية ونحوهم،] ممن ينفي هذه الصفات،  
ويتأول لأجلها الآيات بتأويلات ما أنزل الله عليها من سلطان،

بل حقيقتها القدح في بيان الله وبيان رسوله، والزعم بأن كلامهم هو الذي  
تحصل به الهداية في هذا الباب،

فهؤلاء ليس معهم دليل نقلي، بل ولا دليل عقلي،

○ أما النقلي:-

فقد اعترفوا أن النصوص الواردة في الكتاب والسنة،

ظاهرها بل صريحها، دال على مذهب أهل السنة والجماعة،

وأنها تحتاج لدلالاتها على مذهبهم الباطل، أن تخرج عن ظاهرها

ويزاد فيها وينقص، وهذا كما ترى لا يرتضيه من في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

○ وأما العقل:-

فليس في العقل ما يدل على نفي هذه الصفات،

بل العقل دل على أن الفاعل أكمل من الذي لا يقدر على الفعل،

وأن فعله تعالى المتعلق بنفسه والمتعلق بخلقه هو كمال،  
فإن زعموا أن إثباتها يدل على التشبيه بخلقها، قيل لهم:-  
الكلام على الصفات، يتبع الكلام على الذات،  
-فكما أن لله ذاتا لا تشبهها الذوات، فله صفات لا تشبهها الصفات،  
-فصفاته تبع لذاته، وصفات خلقه، تبع لذواتهم،  
فليس في إثباتها ما يقتضي التشبيه بوجه.  
✽ ويقال أيضا،

لمن أثبت بعض الصفات، ونفى بعضا، أو أثبت الأسماء دون الصفات:-

1- إما أن تثبت الجميع كما أثبتته الله لنفسه، وأثبتته رسوله،

2- وإما أن تنفي الجميع، وتكون منكرا لرب العالمين،

وأما إثباتك بعض ذلك، ونفيك لبعضه، فهذا تناقض،

ففرق بين ما أثبتته، وما نفيته، ولن تجد إلى الفرق سبيلا

فإن قلت: ما أثبتته لا يقتضي تشبيها،

قال لك أهل السنة: والإثبات لما نفيته لا يقتضي تشبيها،

فإن قلت: لا أعقل من الذي نفيته إلا التشبيه،

قال لك النفاة: ونحن لا نعقل من الذي أثبتته إلا التشبيه،

فما أجبت به النفاة، أجابك به أهل السنة، لما نفيته.

والحاصل أن من نفى شيئا وأثبت شيئا مما دل الكتاب والسنة على إثباته،

فهو متناقض، لا يثبت له دليل شرعي ولا عقلي،

بل قد خالف المعقول والمنقول.

سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ وَمَنْ يَبْدِلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ  
فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٣١١﴾ زِينٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ

ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣١٢﴾

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ  
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ

أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا

اختلفوا فيه مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣١٣﴾

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِكُمْ  
الْبِئْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّا

نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٣١٤﴾

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللرَّاهِلِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى

وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٣١٥﴾

سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ وَمَنْ يَبْدِلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ

فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ



**سَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ**

\*\*\* أَي: حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ،

1- كَيْدِهِ

2- وَ عَصَاَهُ

3- وَ فَلَقَهُ الْبَحْرَ

4- وَ ضَرَبَهُ الْحَجَرَ،

5- وَ مَا كَانَ مِنْ تَضَلُّلِ الْعَمَامِ عَلَيْهِمْ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ،

6- وَ مِنْ أَنْزَالِ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى

وَعَبَّرَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالِّاتِ عَلَى وُجُودِ الْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ،

وَصِدْقِ مَنْ جَرَّتْ هَذِهِ الْخَوَارِقُ عَلَى يَدَيْهِ، وَمَعَ هَذَا أَعْرَضَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَنْهَا،

-تدل على الحق، وعلى صدق الرسل، فتيقنوها وعرفوها،

فلم يقوموا بشكر هذه النعمة، التي تقتضي القيام بها.

**وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**

\*\*\* وابدلوا نعمة الله كُفْرًا أَي: اسْتَبَدَّلُوا بِالْإِيمَانِ بِهَا الْكُفْرَ بِهَا، وَالْإِعْرَاضَ عَنْهَا.

\*\*\* كقولهم ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ (٢٨)

**جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَيُبْسُ الْقَرَارُ** ﴿ إبراهيم: ٢٨ - ٢٩ ﴾

بل كفروا بها وبدلوا نعمة الله كفرا، فلهذا استحقوا أن يُنزل الله عليهم عقابه

ويحرمهم من ثوابه،

و سمي الله تعالى كفر النعمة تبديلا لها، :-

-لأن من أنعم الله عليه نعمة دينية أو دنيوية، فلم يشكرها، ولم يقم بواجبها،  
 ← اضمحلت عنه وذهبت، وتبدلت بالكفر والمعاصي، فصار الكفر بدل النعمة،  
 -وأما من شكر الله تعالى، وقام بحقوقها ← فإنها تثبت وتستمر، ويزيده الله منها.

**زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ**

**يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**

- يخبر تعالى أن الذين كفروا بالله وبآياته ورسله، ولم ينقادوا لشرعه،

أنهم زينت لهم الحياة الدنيا، فزينت في أعينهم وقلوبهم،

← فرضوا بها،

← واطمأنوا بها

← وصارت أهواؤهم وإراداتهم وأعمالهم كلها لها،

← فأقبلوا عليها،

← وأكبوا على تحصيلها، ←

وعظموها، وعظموا من شاركهم في صنيعهم،

← واحتقروا المؤمنين، واستهزأوا بهم

وقالوا: ﴿ **وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا** ۗ

**أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ** ﴾ الأنعام: ٥٣ (I)

وهذا من ضعف عقولهم ونظرهم القاصر،

✦ فإن الدنيا دار ابتلاء وامتحان، وسيحصل الشقاء فيها لأهل الإيمان والكفران،  
✦ بل المؤمن في الدنيا، وإن ناله مكروه ← فإنه يصبر ويحتسب،  
← فيخفف الله عنه بإيمانه وصبره ما لا يكون لغيره.

وإنما الشأن كل الشأن، والتفضيل الحقيقي، في الدار الباقية،

فلهذا قال تعالى: **(وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)**

فيكون المتقون في أعلى الدرجات، متمتعين بأنواع النعيم والسرور، والبهجة  
والحبور.

والكفار تحتهم في أسفل الدرجات، معذبين بأنواع العذاب والإهانة، والشقاء  
السرمدى، الذي لا منتهى له،

ففي هذه الآية:-

تسلية للمؤمنين، ونعي على الكافرين.

ولما كانت الأرزاق الدنيوية والأخروية، لا تحصل إلا بتقدير الله،  
ولن تنال إلا بمشيئة الله، قال تعالى:

**(وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)**

\*\*\*يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، وَيُعْطِيهِ عَطَاءً كَثِيرًا جَزِيلًا بِلَا حَصْرِ وَلَا تَعْدَادٍ  
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

\*\*\* صحيح البخاري

4684 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:  
" قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْفَقُ أَنْفِقُ عَلَيْكَ،

فالرزق الدنيوي يحصل للمؤمن والكافر،

وأما رزق القلوب من العلم والإيمان، ومحبة الله وخشيته ورجائه، ونحو ذلك، فلا يعطيها إلا من يحب.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ  
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ  
أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا  
اختلفوا فيه مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾

(كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً)

1\*\*\* عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ بَيْنَ نُوحٍ وَآدَمَ عَشْرَةَ قُرُونٍ،  
كُلُّهُمْ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْحَقِّ. فَاخْتَلَفُوا، فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ.  
لِأَنَّ النَّاسَ كَانُوا عَلَى مِلَّةِ آدَمَ عليه السلام حَتَّى عَبَدُوا الْأَصْنَامَ،  
فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ نُوحًا عليه السلام فَكَانَ أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ.  
-أي: كانوا مجتمعين على الهدى، وذلك عشرة قرون بعد نوح عليه السلام

فلما اختلفوا في الدين فكفر فريق منهم وبقي الفريق الآخر على الدين،  
وحصل النزاع وبعث الله الرسل ليفصلوا بين الخلائق وقيموا الحجة عليهم، -  
-وقيل بل كانوا مجتمعين على الكفر والضلال والشقاء،  
ليس لهم نور ولا إيمان، فرحمهم الله تعالى بإرسال الرسل إليهم

(فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ)

من أطاع الله بثمرات الطاعات، من الرزق، والقوة في البدن والقلب،  
والحياة الطيبة، وأعلى ذلك، الفوز برضوان الله والجنة.

**(وَمُنْذِرِينَ)**

من عصى الله، بثمرات المعصية، من حرمان الرزق، والضعف، والإهانة،  
والحياة الضيقة، وأشد ذلك، سخط الله والنار.

**(وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ)**

وهو الإخبارات الصادقة، والأوامر العادلة،  
فكل ما اشتملت عليه الكتب، فهو حق، يفصل بين المختلفين في الأصول  
والفروع،

—وهذا هو الواجب عند الاختلاف والتنازع:—

أن يرد الاختلاف إلى الله وإلى رسوله، ولولا أن في كتابه، وسنة رسوله، فصل  
النزاع، لما أمر بالرد إليهما.

**(لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ)**

ولما ذكر نعمته العظيمة بإنزال الكتب على أهل الكتاب،  
وكان هذا يقتضي اتفاقهم عليها واجتماعهم،  
فأخبر تعالى أنهم بغى بعضهم على بعض، وحصل النزاع والخصام وكثرة  
الاختلاف.

**(وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ)**

\*الميسر: ما اختلف في أمر محمد ﷺ وكتابه ظلماً وحسداً  
إلا الذين أعطاهم الله التوراة، وعرفوا ما فيها من الحجج والأحكام،  
فاختلفوا في الكتاب الذي ينبغي أن يكونوا أولى الناس بالاجتماع  
عليه،

— وذلك من بعد ما علموه وتيقنوه بالآيات البينات، والأدلة القاطعات،  
فضلوا بذلك ضلالاً بعيداً.

**(فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اختلفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)**

\*\*\* صحيح البخاري

3486 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:  
«نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِيَدِ كُلِّ أُمَّةٍ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا،  
وَأُوتِينَا مِنْ بَعْدِهِمْ،  
فَهَذَا الْيَوْمَ الَّذِي اختلفُوا فِيهِ،  
فَعَدًّا لِلْيَهُودِ،  
وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى»

**(فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا)**

من هذه الأمة

**(لِمَا اختلفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ)**

\*\*\* ما حملهم علي ذلك الا البغي من بعضهم علي بعض  
— فكل ما اختلف فيه أهل الكتاب، وأخطأوا فيه الحق والصواب،  
هدى الله للحق فيه هذه الأمة

(بِإِذْنِهِ) <sup>ط</sup>

تعالى و تيسيره لهم و رحمته.

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)

فعمّ الخلق تعالى بالدعوة إلى الصراط المستقيم، عدلا منه تعالى، وإقامة حجة على الخلق،

﴿ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾ المائدة: ١٩

- بفضلله ورحمته، وإعانتة ولطفه - من شاء من عباده، فهذا فضلله وإحسانه، وذاك عدله وحكمته.

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَكْمِلِينَ  
الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ  
نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ ﴿٣١٤﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ  
وَالْأَقْرَبِينَ وَالتَّمِيمِ وَالتَّمِيمِ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ  
(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ)

\*الميسر: بل أظننتم -أيها المؤمنون- أن تدخلوا الجنة

(وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ)

\*الميسر: ولما يصبكم من الابتلاء مثل ما أصاب المؤمنين الذين مضوا من قبلكم

3612 - عَنْ حَبَابِ بْنِ الْأَرْتِّ، قَالَ: شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ،

قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟

قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ،

فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيَشَقُّ بِاِثْنَتَيْنِ،

وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ،

وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ،

وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ،

حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتِ،

لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوْ الذُّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» ( )

- يخبر تبارك وتعالى أنه لا بد أن يمتحن عباده بالسراء والضراء والمشقة

كما فعل بمن قبلهم، فهي سنته الجارية، التي لا تتغير ولا تبدل،

أن من قام بدينه وشرعه، لا بد أن يبتليه

- فإن صبر على أمر الله، ولم يبال بالمكاره الواقفة في سبيله: -

فهو الصادق الذي قد نال من السعادة كمالها، ومن السيادة آلتها.

-ومن جعل فتنة الناس كعذاب الله، بأن صدته المكاره عما هو بصدده،

(متوسد بردة) جعلها وسادة له.

(تستنصر) تطلب النصرة من الله تعالى.

(ليتمن) من الإتمام والكمال.

(هذا الأمر) وهو الإسلام.

(تستعجلون) النتائج والثمرات



و ثنته المحن عن مقصده، فهو الكاذب في دعوى الإيمان،  
❦ فإنه ليس الإيمان بالتحلي والتمني، ومجرد الدعاوى، حتى تصدقه الأعمال  
أو تكذبه.

فقد جرى على الأمم الأقدمين ما ذكر الله عنهم

(مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ)

أي: الفقر

(وَالضَّرَّاءُ)

أي: الأمراض في أبدانهم

(وَزُلْزَلُوا)

بأنواع المخاوف من التهديد بالقتل، والنفي، وأخذ الأموال،

وقتل الأحبة، وأنواع المضار

\*\*\*خوفًا من الاعداء زلزالا شديدا

— حتى وصلت بهم الحال، وآل بهم الزلزال، إلى أن استبطأوا نصر الله مع

يقينهم به.

ولكن لشدة الأمر وضيقه

(حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ)

\*\*\*يَسْتَفْتِحُونَ عَلَىٰ أَعْدَائِهِمْ، وَيَدْعُونَ بِقُرْبِ الْفَرْجِ وَالْمَخْرَجِ، عِنْدَ ضَيْقِ الْحَالِ وَالشَّدَةِ.

فلما كان الفرج عند الشدة، وكلما ضاق الأمر اتسع، قال تعالى:

(الْآيَةَ إِذَا نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبًا)

\*\*\* ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ الشرح: ٥ - ٦

فهكذا كل من قام بالحق فإنه يمتحن.

فكلما اشتدت عليه وصعبت، إذا صابر وثابر على ما هو عليه انقلبت المحنة في حقه منحة، والمشقات راحت،

وأعقبه ذلك، الانتصار على الأعداء وشفاء ما في قلبه من الداء،

وهذه الآية نظير قوله تعالى:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ

﴿آل عمران: ١٤٢﴾

﴿الْمَ ﴿١﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ

مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ﴾ العنكبوت: ١ - ٣

فعند الامتحان، يكرم المرء أو يهان.

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ﴿١﴾ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ

وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴿٢﴾ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ

(يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ<sup>ط</sup>)

أي: يسألونك عن النفقة، وهذا يعم السؤال عن المنفق والمنفق عليه، فأجابهم عنهما فقال:

\*\*\*اصرف—وها في هذه الوجوه

(قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ)

أي: مال قليل أو كثير، فأولى الناس به وأحقهم بالتقديم، أعظمهم حقا عليك، وهم الوالدان الواجب برهما، والمحرم عقوقهما،  
-ومن أعظم برهما، النفقة عليهما،  
-ومن أعظم العقوق، ترك الإنفاق عليهما،  
-ولهذا كانت النفقة عليهما واجبة، على الولد الموسر، ومن بعد

(فَالْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ)

الوالدين الأقربون، على اختلاف طبقاتهم، الأقرب فالأقرب،  
على حسب القرب والحاجة، فالإنفاق عليهم صدقة وصلة،

(وَالْيَتَامَى)

وهم الصغار الذين لا كاسب لهم، فهم في مظنة الحاجة لعدم قيامهم بمصالح أنفسهم، وفقد الكاسب، فوصى الله بهم العباد، رحمة منه بهم ولطفًا،

(وَالْمَسْكِينِ)

وهم أهل الحاجات، وأرباب الضرورات الذين أسكنتهم الحاجة، فينفق عليهم،  
لدفع حاجاتهم وإغنائهم.

(وَأَيْنَ السَّبِيلِ) أي: الغريب المنقطع به في غير بلده، فيعان على سفره  
بالنفقة، التي توصله إلى مقصده.

ولما خصص الله تعالى هؤلاء الأصناف، لشدة الحاجة، عمم تعالى فقال:

(وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ)

من صدقة على هؤلاء وغيرهم، بل ومن جميع أنواع الطاعات والقربات،  
لأنها تدخل في اسم الخير،

(فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) فيجازيكم عليه، ويحفظه لكم،

كل على حسب نيته وإخلاصه،

وكثرة نفقته وقلتها، وشدة الحاجة إليها، وعظم وقعها ونفعها.

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ

وَعَسَىٰ أَن تَحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ

وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ

أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقِنُّونَكُمْ حَتَّىٰ يَرْدُوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا

وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ

رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ✽ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ

قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ

مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ

وَعَسَىٰ أَن تَحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

(كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ)

\*\*\* صحيح مسلم

1910 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»

\*\*\* صحيح مسلم

1353 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ - فَتْحِ مَكَّةَ - «لَا هِجْرَةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتَنْفَرْتُمْ فَأَنْفِرُوا»

هذه الآية، فيها فرض القتال في سبيل الله، بعد ما كان المؤمنون مأمورين بتركه، لضعفهم، وعدم احتمالهم لذلك، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، وكثر المسلمون، وقوا أمرهم الله تعالى بالقتال،

**(وَهُوَ كَرْهُ لَكُمْ)**

وأخبر أنه مكروه للنفوس، لما فيه من التعب والمشقة، وحصول أنواع المخاوف والتعرض للمتألف، ومع هذا، فهو خير محض، لما فيه من الثواب العظيم، والتحرز من العقاب الأليم، والنصر على الأعداء والظفر بالغنائم، وغير ذلك، مما هو مرب، على ما فيه من الكراهة

**(وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ)**

\*\*\* لِأَنَّ الْقِتَالَ يَعْقِبُهُ النَّصْرُ وَالظَّفَرُ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَالِاسْتِيْلَاءُ عَلَى بِلَادِهِمْ، وَأَمْوَالِهِمْ، وَذُرَارِيهِمْ، وَأَوْلَادِهِمْ.

**(وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ)**

وذلك مثل القعود عن الجهاد لطلب الراحة،

○ فإنه شر: -

- لأنه يعقب الخذلان،

- وتسلط الأعداء على الإسلام وأهله،

- وحصول الذل والهوان،

- وفوات الأجر العظيم وحصول العقاب.

✽ وهذه الآيات عامة مطردة، في أن أفعال الخير التي تكرهها النفوس لما فيها

من المشقة أنها خير بلا شك،

✽ وأن أفعال الشر التي تحب النفوس لما تتوهمه فيها من الراحة واللذة فهي

شر بلا شك.

○ وأما أحوال الدنيا، فليس الأمر مطرداً، ولكن الغالب على العبد المؤمن،

أنه إذا أحب أمراً من الأمور،

فقيض الله له من الأسباب ما يصرفه عنه أنه خير له: -

← فالأوفق له في ذلك، أن يشكر الله، ويجعل الخير في الواقع،

- لأنه يعلم أن الله تعالى أرحم بالعبء من نفسه،

- وأقدر على مصلحة عبده منه،

- وأعلم بمصلحته منه كما قال تعالى:

**(وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)**

فالاتق بكم أن تتمشوا مع أقداره، سواء سرتكم أو ساءتكم.  
 ○ ولما كان الأمر بالقتال، لو لم يقيد، لشمّل الأشهر الحرم وغيرها،  
 استثنى تعالى، القتال في الأشهر الحرم فقال:

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهِرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ  
 وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ  
 أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَكَ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا  
 وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَمَا لِي بِهِ مِنْ عَمَلٍ أَعْمَلُهُمْ  
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧٧﴾

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهِرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ)

\*الميسر: يسألك المشركون -أيها الرسول- عن الشهر الحرام:

هل يحل فيه القتال؟

قل لهم: القتال في الشهر الحرام عظيم عند الله استحلاله وسفك  
 الدماء فيه،

-الجمهور على أن تحريم القتال في الأشهر الحرم، منسوخ بالأمر بقتال  
 المشركين حيثما وجدوا،

-وقال بعض المفسرين: إنه لم ينسخ، لأن المطلق محمول على المقيد،  
 وهذه الآية مقيدة لعموم الأمر بالقتال مطلقاً؛

-ولأن من جملة مزية الأشهر الحرم، بل أكبر مزاياها، تحريم القتال فيها،



وهذا إنما هو في قتال الابتداء،

-وأما قتال الدفع فإنه يجوز في الأشهر الحرم، كما يجوز في البلد الحرام.

-ولما كانت هذه الآية نازلة بسبب ما حصل، لسرية عبد الله بن جحش،

وقتلهم عمرو بن الحضرمي، وأخذهم أموالهم،

وكان ذلك - على ما قيل - في شهر رجب، غيرهم المشركون بالقتال بالأشهر

الحرم، وكانوا في تعييرهم ظالمين،

إذ فيهم من القبائح ما بعضه أعظم مما عيروا به المسلمين،

قال تعالى في بيان ما فيهم:

**(وَصَدُّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ)**

\*الميسر: ومنعكم الناس من دخول الإسلام بالتعذيب والتخويف،

أي: صد المشركين من يريد الإيمان بالله وبرسوله، وفتنتهم من آمن به،

وسعيهم في ردهم عن دينهم،

**(وَكُفْرًا بِهِ)** وكفرهم الحاصل في الشهر الحرام،

\*الميسر: وجحودكم بالله وبرسوله وبدينه،

**(وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)**

\*الميسر: ومنع المسلمين من دخول المسجد الحرام،

وإخراج النبي والمهاجرين منه وهم أهله وأولياؤه، ذلك أكبر

ذنبا، وأعظم جرماً عند الله من القتال في الشهر الحرام.

والشرك الذي أنتم فيه أكبر وأشد من القتل في الشهر الحرام.

-والبلد الحرام، الذي هو بمجردة، كاف في الشر،  
فكيف وقد كان في شهر حرام و بلد حرام؟!

(وَإِخْرَاجُ أَهْلِيهِ )

\*الميسر: ومنع المسلمين من دخول المسجد الحرام،

-أي: أهل المسجد الحرام، وهم النبي ﷺ وأصحابه،

لأنهم أحق به من المشركين، وهم عماره على الحقيقة، فأخرجوهم

مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ

عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَظَلُّوْا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ

كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ

هُم فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾

(مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ )

\* الميسر: ذلك أكبر ذنباً، وأعظم جرماً عند الله من القتال في

الشهر الحرام.

-ولم يمكنوهم من الوصول إليه، مع أن هذا البيت سواء العاكف فيه والباد،

فهذه الأمور كل واحد منها

(وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ )

\*الميسر: والشرك الذي أنتم فيه أكبر وأشد من القتل في الشهر الحرام.

-في الشهر الحرام، فكيف وقد اجتمعت فيهم؟!  
فعلم أنهم فسقة ظلمة، في تعييرهم المؤمنين.

**(وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا<sup>ع</sup>)**

-ثم أخبر تعالى أنهم لن يزالوا يقاتلون المؤمنين، وليس غرضهم في أموالهم وقتلهم،

-وإنما غرضهم أن يرجعوه عن دينهم، ويكونوا كفارا بعد إيمانهم حتى يكونوا من أصحاب السعير،

فهم باذلون قدرتهم في ذلك، ساعون بما أمكنهم،

**﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ**

**الْكَافِرُونَ﴾** التوبة: ٣٢

-وهذا الوصف عام لكل الكفار، لا يزالون يقاتلون غيرهم،

حتى يردوهم عن دينهم، وخصوصا، أهل الكتاب، من اليهود والنصارى،  
\*الذين بذلوا:-

-الجمعيات،

-و نشروا الدعوة،

-و بثوا الأطباء،

و بنوا المدارس

لجذب الأمم إلى دينهم، وتدخيلهم عليهم، كل ما يمكنهم من الشبه،  
التي تشككهم في دينهم.

ولكن المرجو من الله تعالى، الذي مَنَّ على المؤمنين بالإسلام،

واختار لهم دينه القيم، وأكمل لهم دينه،

أن يتم عليهم نعمته بالقيام به أتم القيام،

وأن يخذل كل من أراد أن يطفى نوره، ويجعل كيدهم في نحورهم، وينصر

دينه، ويعلي كلمته.

وتكون هذه الآية صادقة على هؤلاء الموجودين من الكفار، كما صدقت على

من قبلهم:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ

عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿الأنفال: ٣٦﴾

**(وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ)**

ثم أخبر تعالى أن من ارتد عن الإسلام، بأن اختار عليه الكفر واستمر على

ذلك حتى مات كافرا،

**(فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)**

لعدم وجود شرطها وهو الإسلام،

( وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ) .

ودلت الآية بمفهومها، أن من ارتد ثم عاد إلى الإسلام،  
أنه يرجع إليه عمله الذي قبل رده،  
وكذلك من تاب من المعاصي، فإنها تعود إليه أعماله المتقدمة.

**إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ**

**رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**

هذه الأعمال الثلاثة، هي عنوان السعادة و قطب رحي العبودية،  
وبها يعرف ما مع الإنسان، من الربح والخسران،  
فأما الإيمان: -

فلا تسأل عن فضيلته، وكيف تسأل عن شيء هو الفاصل بين أهل السعادة  
وأهل الشقاوة، وأهل الجنة من أهل النار؟  
وهو الذي إذا كان مع العبد، قبلت أعمال الخير منه،  
وإذا عُدِمَ منه لم يقبل له صرف ولا عدل، ولا فرض، ولا نفل.  
و أما الهجرة: -

فهي مفارقة المحبوب المألوف، لرضا الله تعالى،  
فيترك المهاجر وطنه وأمواله، وأهله، وخلانه، تقرباً إلى الله ونصرة لدينه.  
و أما الجهاد:

1- فهو بذل الجهد في مقارعة الأعداء،

2- و السعي التام في نصرة دين الله،

3- و قمع دين الشيطان،

و هو ذروة الأعمال الصالحة، و جزاؤه، أفضل الجزاء،

و هو السبب الأكبر:-

1- لتوسيع دائرة الإسلام

2- وخذلان عباد الأصنام،

3- وأمن المسلمين على أنفسهم وأموالهم وأولادهم.

فمن قام بهذه الأعمال الثلاثة على لأوائها ومشقتها كان لغيرها أشد قياما به  
وتكميلا.

فحقيق بهؤلاء أن يكونوا هم الراجون رحمة الله، لأنهم أتوا بالسبب الموجب  
للرحمة،

-وفي هذا دليل على أن الرجاء لا يكون إلا بعد القيام بأسباب السعادة،

-وأما الرجاء المقارن للكسل، وعدم القيام بالأسباب، فهذا عجز وتمن وغرور،  
وهو دال على ضعف همة صاحبه، ونقص عقله،

[ بمنزلة من يرجو وجود ولد بلا نكاح، ووجود الغلة بلا بذر وسقي، ]

ونحو ذلك.

وفي قوله: **(أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ<sup>ع</sup>)**

إشارة إلى أن العبد ولو أتى من الأعمال بما أتى به لا ينبغي له أن يعتمد عليها،  
ويعول عليها، بل يرجو:-

1-رحمة ربه،

2-و يرجو قبول أعماله

3-و مغفرة ذنوبه،

4-و ستر عيوبه.

ولهذا قال: (وَاللَّهُ عَفُورٌ)

أي: لمن تاب توبة نصوحا

(رَجِيمٌ) وسعت رحمته كل شيء، و عم جوده وإحسانه كل حي.

و في هذا دليل على أن من قام بهذه الأعمال المذكورة، حصل له مغفرة الله،  
إذ الحسنات يذهبن السيئات وحصلت له رحمة الله.

✽ وإذا حصلت له المغفرة، اندفعت عنه عقوبات الدنيا والآخرة،

التي هي آثار الذنوب، التي قد غفرت واطمحلت آثارها،

✽ وإذا حصلت له الرحمة، حصل على كل خير في الدنيا والآخرة؛

بل أعمالهم المذكورة من رحمة الله بهم،

فلولا توفيقه إياهم، لم يريدوها،

ولولا إقذارهم عليها، لم يقدرُوا عليها،

ولولا إحسانه لم يتمها ويقبلها منهم، فله الفضل أولا وآخرا،

وهو الذي منّ بالسبب والمسبب .

ثم قال تعالى :

﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ** ﴾

أي: يسألك - يا أيها الرسول - المؤمنون عن أحكام الخمر والميسر ،

وقد كانا مستعملين في الجاهلية وأول الإسلام ،

فكانه وقع فيهما إشكال ، فلهذا سألوا عن حكمهما ،

\*\*\* سنن الترمذي ت شاكر

3049 - عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، أَنَّهُ قَالَ:

«اللَّهُمَّ بَيْنَ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانٌ شِفَاءٍ»

1-فَنَزَلَتْ الَّتِي فِي الْبَقَرَةِ: { **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ** } [البقرة: 219]

فَدَعِيَ عُمَرُ فَقَرِئَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ بَيْنَ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانٌ شِفَاءٍ»

2-فَنَزَلَتْ الَّتِي فِي النِّسَاءِ: { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى** }

[النساء: 43]، فَدَعِيَ عُمَرُ فَقَرِئَتْ عَلَيْهِ،

ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَيْنَ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانٌ شِفَاءٍ»

3-فَنَزَلَتْ الَّتِي فِي الْمَائِدَةِ: { **إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ**

**وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ** } [المائدة: 91]- إِلَى قَوْلِهِ - { **فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ** }

[المائدة: 91]

فَدَعِيَ عُمَرُ فَقَرِئَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ: «انْتَهَيْنَا انْتَهَيْنَا»

**قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا**



فأمر الله تعالى نبيه، أن يبين لهم منافعهما ومضارهما،  
ليكون ذلك مقدمة لتحريمهما، وتحريم تركهما.  
فأخبر أن إثمهما ومضارهما:  
وما يصدر منهما من:-

1- ذهاب العقل و المال،

2- و الصد عن [ ذكر الله و عن الصلاة]

3- و العداوة،

4- و البغضاء

أكبر مما يظنونه من نفعهما، من كسب المال بالتجارة بالخمير،  
وتحصيله بالقمار والطرب للنفوس، عند تعاطيهما،  
وكان هذا البيان زاجرا للنفوس عنهما،  
لأن العاقل يرجح ما ترجحت مصلحته،  
ويجتنب ما ترجحت مضرته،

ولكن لما كانوا قد ألفوهما، وصعب التحريم بتركهما أول وهلة، قدم هذه الآية،  
مقدمة للتحريم، الذي ذكره في قوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ

لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ

وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ المائدة: ٩٠ - ٩١

وهذا من لطفه ورحمته وحكمته، ولهذا لما نزلت،

قال عمر رضي الله عنه: انتهينا انتهينا.

—فأما الخمر—

فهو كل مسكر خامر العقل وغطاه، من أي نوع كان،

—و أما الميسر—

فهو كل المغالبات التي يكون فيها عوض من الطرفين، من النرد، والشطرنج،

وكل مغالبة قولية أو فعلية، بعوض سوى مسابقة [الخيل، والإبل، والسهام]

فإنها مباحة، لكونها معينة على الجهاد، فلهذا رخص فيها الشارع.

**وَسَأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ**

**تَتَفَكَّرُونَ ﴿٣١٨﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**

\*\*\* صحيح مسلم

997 عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: أَعْتَقَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عُدْرَةَ عَبْدًا لَهُ عَنْ دُبُرٍ،

فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَلَكَ مَالٌ غَيْرُهُ؟»

فَقَالَ: لَا، فَقَالَ: «مَنْ يَشْتَرِيهِ مِنِّي؟»

فَاشْتَرَاهُ نَعِيمٌ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَدَوِيِّ بِثَمَانِ مِائَةِ دِرْهَمٍ،

فَجَاءَ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:

«أَبْدَأُ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا، فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ فَلَأَهْلِكَ،

فَإِنْ فَضَلَ عَنْ أَهْلِكَ شَيْءٌ فَلْذِي قَرَاتِكَ،

فَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذِي قَرَاتِكَ شَيْءٌ فَهَكَذَا وَهَكَذَا»

يَقُولُ: فَبَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ

\*\*\* صحيح مسلم

1036 عن أَبِي أَمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفُضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأَنْ تُمْسِكَ شَرٌّ لَكَ، وَلَا تَلَامُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدَأْ مِنْ تَعَوُّلٍ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى» ( )  
وهذا سؤال عن مقدار ما ينفقونه من أموالهم، فيسر الله لهم الأمر،

(قُلِ الْعَفْوَ)

\*\*\*الفضل(و ليس العفو هنا بمعنى التجاوز و المغفرة)

-وأمرهم أن ينفقوا العفو، وهو المتيسر من أموالهم،الذي لا تتعلق به حاجتهم وضرورتهم،

-وهذا يرجع إلى كل أحد بحسبه،من غني وفقير ومتوسط، كل له قدرة على إنفاق ما عفا من ماله، ولو شق تمرة.

-ولهذا أمر الله رسوله ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس وصدقاتهم، ولا يكلفهم ما يشق عليهم.

ذلك بأن الله تعالى لم يأمرنا بما أمرنا به حاجة منه لنا، أو تكليفا لنا بما يشق بل أمرنا بما فيه سعادتنا، وما يسهل علينا،

---

(أن تبذل الفضل خير لك) معناه إن بذلت الفاضل عن حاجتك وحاجة عيالك فهو خير لك لبقاء ثوابه وإن أمسكته فهو شر لك (ولا تلام على كفاف) معناه أن قدر الحاجة لا لوم على صاحبه]

وما به النفع لنا ولاخواننا فيستحق على ذلك أتم الحمد.  
ولما بيّن تعالى هذا البيان الشافي، وأطلع العباد على أسرار شرعه قال:

**(كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ)**

أي: الدالات على الحق، المحصلات للعلم النافع والفرقان،

**(لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٣١١﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)**

\*\*\* هِيَ وَاللَّهِ لِمَنْ تَفَكَّرَ فِيهَا، لِيَعْلَمَ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ، ثُمَّ دَارُ فِتْنَةٍ،  
وَلِيَعْلَمَ أَنَّ الْآخِرَةَ دَارُ جَزَاءٍ، ثُمَّ دَارُ بَقَاءٍ.

أي: لكي تستعملوا أفكاركم في أسرار شرعه،

وتعرفوا أن أوامره، فيها مصالح الدنيا والآخرة،

وأیضا لكي تتفكروا في الدنيا وسرعة انقضائها،

فترفضوها وفي الآخرة وبقائها، وأنها دار الجزاء فتعمروها.

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الِئْتِمَانِ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ  
 فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ  
 حَكِيمٌ ﴿٣٣٠﴾ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى تُؤْمِنَ وَلَا أُمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ  
 وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ  
 وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ  
 وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣٣١﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى  
 فَأَعْرِضُوا لِلنِّسَاءِ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ  
 حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٣٣٢﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ  
 فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنْى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ  
 وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٣٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا  
 وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٣٤﴾

(فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الِئْتِمَانِ)

\*\*\* سنن أبي داود

2871 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

{ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } [الأنعام: 152]

وَإِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا { [النساء: 10]، الآية  
 انطَلَقَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ يَتِيمٌ فَعَزَلَ طَعَامَهُ مِنْ طَعَامِهِ وَشَرَابَهُ مِنْ شَرَابِهِ،  
 فَجَعَلَ يَفْضُلُ مِنْ طَعَامِهِ فَيُحْبَسُ لَهُ حَتَّىٰ يَأْكُلَهُ أَوْ يَفْسُدَ،  
 فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "  
 {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ}  
 [البقرة: 220]، فَخَلَطُوا طَعَامَهُمْ بِطَعَامِهِ وَشَرَابَهُمْ بِشَرَابِهِ "

لما نزل قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا

وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: 10]

شق ذلك على المسلمين، وعزلوا طعامهم عن طعام اليتامى،  
 خوفا على أنفسهم من تناولها،  
 ولو في هذه الحالة التي جرت العادة بالمشاركة فيها، وسألوا النبي ﷺ عن ذلك،

(قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ)

فأخبرهم تعالى أن المقصود، إصلاح أموال اليتامى :-

1- بحفظها

2- و صيانتها،

3- و الاتجار فيها

(وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ)

و أن خلطتهم إياهم في طعام أو غيره جائز على وجه لا يضر باليتامى،  
لأنهم إخوانكم، ومن شأن الأخ مخالطة أخيه،

**(وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ)**

والمرجع في ذلك إلى النية والعمل،

-فمن علم الله من نيته أنه مصلح لليتيم، وليس له طمع في ماله،

-فلو دخل عليه شيء من غير قصد لم يكن عليه بأس،

-و من علم الله من نيته، أن قصده بالمخالطة، التوصل إلى أكلها وتناولها،

فذلك الذي حرج وأثم، و « الوسائل لها أحكام المقاصد »

وفي هذه الآية: -

دليل على جواز أنواع المخالطات، في المآكل والمشارب، والعقود وغيرها،

وهذه الرخصة، لطف من الله تعالى وإحسان، وتوسعة على المؤمنين،

و إلا **(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ)**

أي: شق عليكم بعدم الرخصة بذلك، فحرجتم. وشق عليكم وأثمتم،

**(إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ)**

أي: له القوة الكاملة، والقهر لكل شيء، ولكنه مع ذلك

**(حَكِيمٌ)**

لا يفعل إلا ما هو مقتضى حكمته الكاملة وعنايته التامة،

فـعـزـزـتـه لا تنافي حـكـمـتـه،

فلا يقال: إنه ما شاء فعل، وافق الحكمة أو خالفها،  
 بل يقال: إن أفعاله وكذلك أحكامه، تابعة لحكمته،  
 فلا يخلق شيئاً عبثاً، بل لا بد له من حكمة، عرفناها، أم لم نعرفها  
 -وكذلك لم يشرع لعباده شيئاً مجرداً عن الحكمة،  
 -فلا يأمر إلا بما فيه مصلحة خالصة، أو راجحة،  
 -و لا ينهى إلا عما فيه مفسدة خالصة أو راجحة، لتمام حكمته ورحمته.

وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ ۖ وَلَا مَؤْمِنَةٌ حَتَّىٰ تَمُوتَ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ  
 أَعْبَبْتُمْ ۚ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ  
 أَعْبَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۗ وَبَيِّنُ  
 ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣١﴾

أي: (وَلَا تَنكِحُوا)

النساء

(الْمُشْرِكَةَ)

ما دمن على شركهن

(حَتَّىٰ يُؤْمِنَ)

لأن المؤمنة ولو بلغت من الدمامة ما بلغت خير من المشركة،

ولو بلغت من الحسن ما بلغت،



وهذه عامة في جميع النساء المشركات، وخصصتها آية المائدة، في إباحة نساء أهل الكتاب كما قال تعالى

﴿ **الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ** **وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ** ﴾ المائدة: ٥

\*\*\* سنن سعيد بن منصور

716 - عن شقيق بن سلمة يقول: تزوج حذيفة يهودية فكتب إليه عمر: طلقها، فكتب إليه: لم؟ أحرام هي؟

فكتب إليه: «لَا وَلَكِنِّي خِفْتُ أَنْ تَعَاطُوا الْمُؤْمِنَاتِ مِنْهُنَّ» ( )  
\*\*\* صحيح البخاري

5090 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " تَنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَظَفَرٌ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ " ( )

يعني بذلك زواج المؤمنات أفضل

(تنكح) تتزوج ويرغب فيها.

(لأربع) لأجل خصال أربع مجتمعة أو منفردة.

(لحسبها) هو ما يعده الناس من مفاخر الآباء وشرفهم.

(فاظفر) من الظفر وهو غاية البغية ونهاية المطلوب.

(تربت يداك) هو في الأصل دعاء. معناه لصقت يداك بالتراب أي افتقرت ولكن العرب

أصبحت تستعمله للتعجب والحث على الشيء وهذا هو المراد هنا]

(وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا<sup>ع</sup>)

وهذا عام لا تخصيص فيه.

﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهَا<sup>ط</sup>﴾ الممتحنة: ١٠

(وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ<sup>ع</sup>)

\* الميسر: واعلموا أن عبداً مؤمناً مع فقره، خير من مشرك  
-ثم ذكر تعالى، الحكمة في تحريم نكاح المسلم أو المسلمة، لمن خالفهما في  
الدين فقال:

(أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ<sup>ط</sup>)

أي: في أقوالهم أو أفعالهم وأحوالهم،  
فمخالطتهم على خطر منهم،

والخطر ليس من الأخطار الدنيوية، إنما هو الشقاء الأبدي.

\*\*\* معاشرتهم وَمُخَالَطَتُهُمْ تَبَعَتْ عَلَى حُبِّ الدُّنْيَا وَاقْتِنَائِهَا وَإِثَارَهَا عَلَى  
الدَّارِ الآخِرَةِ، وَعَاقِبَةُ ذَلِكَ وَخِيَمَةٌ  
ويستفاد من تعليل الآية:-

النهي عن مخالطة كل مشرك ومبتدع، لأنه إذا لم يجز التزوج مع أن فيه مصالح  
كثيرة فالخلطة المجردة من باب أولى،  
و خصوصاً:

[الخلطة التي فيها ارتفاع المشرك و نحوه على المسلم، كالخدمة] و نحوها.

و في قوله: **(وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ)**

دليل على اعتبار الولي في النكاح .

**(وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ)**

\*\*\* أَي: بِشَرِّعِهِ وَمَا أَمَرَ بِهِ وَمَا نَهَى عَنْهُ

أي: يدعو عباده لتحصيل الجنة والمغفرة، التي من آثارها، دفع العقوبات

و ذلك بالدعوة إلى أسبابها من: -

- الأعمال الصالحة،

- و التوبة النصوح،

- و العلم النافع،

- و العمل الصالح.

**(وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ)**

أي: أحكامه و حكمها

**(لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)**

فيوجب لهم ذلك التذكر لما نسوه، و علم ما جهلوه، و الامتثال لما ضيعوه.

ثم قال تعالى:

**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا**

**تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ**

التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نَسَاؤَكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا  
لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ)

\* جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

\*\* صحيح مسلم

302 عَنْ أَنَسٍ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا،  
وَلَمْ يُجَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ النَّبِيَّ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى  
{ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ }

[البقرة: 222] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: -

«اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ» فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودَ،

فَقَالُوا: مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلَّا خَالَفَنَا فِيهِ،  
فَجَاءَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَعَبَادُ بْنُ بَشْرٍ فَقَالَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْيَهُودَ تَقُولُ:  
كَذًا وَكَذًا، فَلَا نَجَامِعُهُنَّ؟

فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ قَدْ وَجَدَ عَلَيْهِمَا،

فَخَرَجَا فَاسْتَقْبَلَهُمَا هَدِيَّةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ،

فَأَرْسَلَ فِي آثَارِهِمَا فَسَقَاهُمَا، فَعَرَفَا أَنْ لَمْ يَجِدْ عَلَيْهِمَا ( )

(وَمَجَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ) أَي لَمْ يَخَالِطُوهُنَّ وَ لَمْ يَسَاكِنُوهُنَّ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ (الْمَحِيضُ)  
الْمَحِيضُ الْأَوَّلُ الْمُرَادُ بِهِ الدَّمُ وَالثَّانِي قَدْ اخْتَلَفَ فِيهِ قِيلَ إِنَّهُ الْحَيْضُ وَنَفْسُ الدَّمِ وَقَالَ بَعْضُ  
الْعُلَمَاءِ هُوَ الْفَرْجُ وَقَالَ الْآخَرُونَ هُوَ زَمَنُ الْحَيْضِ  
(قَدْ وَجَدَ عَلَيْهِمَا) أَي غَضِبَ عَلَيْهِمَا وَ لَمْ يَجِدْ عَلَيْهِمَا أَي لَمْ يَغْضَبْ

يخبر تعالى عن سؤالهم عن المحيض، وهل تكون المرأة بحالها بعد الحيض،  
كما كانت قبل ذلك، أم تجتنب مطلقاً كما يفعله اليهود؟.

فأخبر تعالى أن الحيض أذى، وإذا كان أذى،

فمن الحكمة أن يمنع الله تعالى عباده عن الأذى وحده، ولهذا قال

**(فَاعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ)**

\*\*\* صحيح مسلم -302- قال ﷺ اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ "

\*\*\* سنن أبي داود

272 - عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ

«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَرَادَ مِنَ الْحَائِضِ شَيْئًا أَلْقَى عَلَى فَرْجِهَا ثَوْبًا»

\*\*\* وروي الطبري عن مسروق قال: قُلْتُ لِعَائِشَةَ:

مَا يَحُلُّ لِلرَّجُلِ مِنْ امْرَأَتِهِ إِذَا كَانَتْ حَائِضًا؟ قَالَتْ: كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْجِمَاعَ.

\*\*\* قُلْتُ: وَتَحُلُّ مُضَاجَعَتَهَا وَمُؤَاكَلَتَهَا بِلَا خِلَافٍ.

وَالَّذِي أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى تَحْرِيمِهِ، وَهُوَ الْمُبَاشَرَةُ فِي الْفَرْجِ.

ثُمَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَثَمَ، فَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَيَتُوبُ إِلَيْهِ

\*\*\* صحيح مسلم

301 عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ:

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَكَبَّرُ فِي حِجْرِي وَأَنَا حَائِضٌ، فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ»

\*\*\* صحيح مسلم

300 عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:

«كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ،

ثُمَّ أَنَاوَلُهُ النَّبِيُّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ، فَيَشْرَبُ،

وَأَتَعَرَّقُ الْعَرَقَ وَأَنَا حَائِضٌ،

ثُمَّ أَنَا وَلِيُّ النَّبِيِّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيٍّ» ( )

أي: مكان الحيض، وهو الوطء في الفرج خاصة، فهذا هو المحرم إجماعاً،  
وتخصيص الاعتزال في المحيض، يدل على:-

أن مباشرة الحائض وملامستها، في غير الوطء في الفرج جائز.

لكن قوله: **(وَلَا تَقْرُبُونَهَا)**

يدل على أن المباشرة فيما قرب من الفرج، وذلك فيما بين السرة والركبة،  
ينبغي تركه كما كان النبي ﷺ

إذا أراد أن يباشر امرأته وهي حائض، أمرها أن تنزر، فيباشرها.

وحد هذا الاعتزال وعدم القربان للحَيْضِ

**(حَتَّى يَطْهَرَنَّ)**

أي: ينقطع دمهن، فإذا انقطع الدم، زال المنع الموجود وقت جريانه،  
الذي كان لحله شرطان، انقطاع الدم، والاختسال منه.

فلما انقطع الدم، زال الشرط الأول وبقي الثاني، فلهذا قال:

**(فَإِذَا تَطْهَرَنَّ)** أي: اغتسلن

---

(أتعرق العرق) هو العظم الذي عليه بقية من لحم هذا هو الأشهر في معناه وقال أبو عبيد  
هو القدر من اللحم

وقال الخليل هو العظم بلا لحم وجمعه عراق بضم العين ويقال عرقت العظم وتعرقته  
وأعرقته إذا أخذت عنه اللحم بأسنانك]

**(فَأْتُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ)**

أي: في القبل لا في الدبر، لأنه محل الحرث.  
وفيه دليل على وجوب الاغتسال للحائض،  
وأن انقطاع الدم، شرط لصحته.  
ولما كان هذا المنع لطفًا منه تعالى بعباده، وصيانة عن الأذى قال تعالى:

**(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ)**

أي: من ذنوبهم على الدوام\*\*\* وان تكرر غشيان الذنب

**(وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)**

أي: المنتزهين عن الآثام وهذا يشمل التطهر الحسي من الأنجاس والأحداث.  
-ففيه مشروعية الطهارة مطلقًا، لأن الله يحب المتصف بها،  
-ولهذا كانت الطهارة مطلقًا، شرطًا لصحة:- الصلاة و الطواف،  
و جواز مس المصحف

-و يشمل التطهر المعنوي عن:-

- الأخلاق الرذيلة،

- والصفات القبيحة،

- والأفعال الخسيسة.

**(فَسَاؤَكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتُمْ شِئْتُمْ)**

مقبلة ومدبرة غير أنه لا يكون إلا في القبل، [لكونه موضع الحرث]

((وهو الموضع الذي يكون منه الولد))) .

وفيه دليل على تحريم الوطاء في الدبر،

لأن الله لم يبح إتيان المرأة إلا في الموضع الذي منه الحرث،

وقد تكاثرت الأحاديث عن النبي ﷺ في تحريم ذلك، ولعن فاعله.

\* جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

\*\*\* صحيح البخاري

4528 - عن جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

" كَانَتْ الْيَهُودُ تَقُولُ: إِذَا جَامَعَهَا مِنْ وَرَائِهَا جَاءَ الْوَلَدُ أَحْوَلَ، فَنَزَلَتْ:

{ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ } [البقرة: 223]

\* مسند أحمد مخرجا

26698 - عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ:

لَمَّا قَدِمَ الْمُهَاجِرُونَ الْمَدِينَةَ عَلَى الْأَنْصَارِ تَزَوَّجُوا مِنْ نِسَائِهِمْ،

وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يُجِبُّونَ،

وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ لَنَا تُجَبِّي،

فَأَرَادَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ امْرَأَتَهُ عَلَى ذَلِكَ،

فَأَبَتْ عَلَيْهِ حَتَّى تَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ،

قَالَتْ: فَأَتَيْتُهُ، فَاسْتَحَيْتُ أَنْ تَسْأَلَهُ، فَسَأَلْتُهُ أُمُّ سَلَمَةَ، فَنَزَلَتْ:

{ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ } [البقرة: 223]

وَ قَالَ: «لَا، إِنَّا فِي صِمَامٍ وَاحِدٍ» (E)

أي موضع الزرع من المرأة هو قبلها الذي يزرع فيه المنى لابتغاء الولد ففيه إباحة وطنها في قبلها إن شاء من بين يديها وإن شاء من ورائها وإن شاء مكبوبة



-----  
**(وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ)**

البدء باسم الله

\*\*\* صحيح البخاري

141 - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، يَبْلُغُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

«لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ،

اللَّهُمَّ جَنَّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنَّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا،

فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ» ( )

○ أي: من التقرب إلى الله بفعل الخيرات،

ومن ذلك أن يباشر الرجل امرأته، ويجمعها على وجه القربة والاحتساب،

وعلى رجاء تحصيل الذرية الذين ينفع الله بهم.

\* السنن الكبرى للنسائي

8979 عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ ابْنِ آدَمَ كُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ»

ثُمَّ قَالَ: «إِمَاطَتُكَ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ،

وَتَسْلِيمُكَ عَلَى النَّاسِ صَدَقَةٌ،

---

وأما الدبر فليس هو بحرث ولا موضع زرع

ومعنى قوله تعالى {أَنْي سُنْتُمْ} كيف سنتم

واتفق العلماء على تحريم وطئ المرأة في دبرها حائضا كانت أو طاهرا]

(يبلغ به النبي) أي يرفع الحديث ويصل به إلى النبي ﷺ وليس موقوفا على ابن عباس.

(إذا أتى أهله) جامع زوجته والوقاع الجماع.

(ما رزقتنا) أي من ولد]

وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ،  
وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ،  
وَمُبَاضَعَتُكَ أَهْلَكَ صَدَقَةٌ»

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَقْضِي الرَّجُلُ شَهْوَتَهُ وَتَكُونُ لَهُ صَدَقَةٌ؟  
قَالَ: «نَعَمْ، أَرَأَيْتَ لَوْ جَعَلَ تِلْكَ الشَّهْوَةَ فِيمَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ  
أَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ وَزْرًا؟»  
قُلْنَا: بَلَى قَالَ: «فَإِنَّهُ إِذَا جَعَلَهَا فِيمَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ فَهِيَ صَدَقَةٌ»  
قَالَ: وَذَكَرَ أَشْيَاءَ صَدَقَةٌ، ثُمَّ قَالَ:  
«يُجْزِي مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ رَكْعَتَا الضُّحَى»

**(وَاتَّقُوا اللَّهَ)**

أي: في جميع أحوالكم، كونوا ملازمين لتقوى الله،

**(وَأَعْلَمُوا)**

مستعينين بذلك لعلمكم،

**(أَنَّكُمْ مُلْقَوَةٌ)**

و مجازيكم على أعمالكم الصالحة وغيرها.

ثم قال:

**(وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)**

لم يذكر المبشر به ليدل على العموم،

وأن لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة،

- وكل خير واندفاع كل ضير، رُتِبَ على الإيمان فهو داخل في هذه البشارة.
- و فيها محبة الله للمؤمنين،
- و محبة ما يسرهم،
- و استحباب تنشيطهم
- و تشويقهم بما أعد الله لهم من الجزاء الدنيوي و الآخروي.

**وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ**

**النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾**

\*\*\* لَا تَجْعَلُوا أَيْمَانَكُمْ بِاللَّهِ تَعَالَى مَانِعَةً لَكُمْ مِنَ الْبِرِّ وَصِلَةِ الرَّحِمِ إِذَا حَلَفْتُمْ عَلَى تَرْكِهَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى:

{وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ

**غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور: 22]**

**فَلَا سِتْمَرَارٌ عَلَى الْيَمِينِ آثَمٌ لِصَاحِبِهَا مِنَ الْخُرُوجِ مِنْهَا بِالتَّكْفِيرِ**  
\*\*\* صحيح البخاري

6625 - وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«وَاللَّهِ، لِأَنْ يَلِجَ أَحَدُكُمْ بِيَمِينِهِ فِي أَهْلِهِ، آثَمٌ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَنْ يُعْطِيَ كَفَّارَتَهُ الَّتِي افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ» ( )

(يلج) من الإلجاج وهو أن يقيم على يمينه ولا يحنث بها.  
(في أهله) الذين يتضررون بعدم حنثه.  
(آثم) أكثر إثما من الحنث الذي يحى بالكفارة]

\*\*\* و رأي الجمهور: أنك تكفر عن يمينك و تصنع الخير و يؤيدهما جاء في:

صحيح البخاري

3133 - عَنْ زَهْدَمَ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي مُوسَى، فَأُتِيَ - ذَكَرَ دَجَاجَةً -،  
وَ عِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَيْمِ اللَّهِ أَحْمَرٌ كَانَهُ مِنَ الْمَوَالِي، فَدَعَاهُ لِلطَّعَامِ،  
فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ شَيْئًا فَقَدِرْتُهُ، فَحَلَفْتُ لَا أَكُلُ،  
فَقَالَ: هَلُمَّ فَلأَحَدْتِكُمْ عَنْ ذَاكَ،

إِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ نَسْتَحْمِلُهُ،  
فَقَالَ: «وَاللَّهِ لَا أَحْمِلُكُمْ، وَمَا عِنْدِي مَا أَحْمِلُكُمْ»،

وَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبَنَهَبِ إِبِلٍ، فَسَأَلَ عَنَّا  
فَقَالَ: «أَيْنَ النَّفَرُ الْأَشْعَرِيُّونَ؟»  
فَأَمَرَ لَنَا بِخَمْسِ ذُودٍ غُرِّ الذَّرَى،  
فَلَمَّا انْطَلَقْنَا قُلْنَا: مَا صَنَعْنَا؟

لَا يُبَارِكُ لَنَا، فَرَجَعْنَا إِلَيْهِ،  
فَقُلْنَا: إِنَّا سَأَلْنَاكَ أَنْ تَحْمِلَنَا، فَحَلَفْتَ أَنْ لَا تَحْمِلَنَا، أَفَنَسِيتَ؟  
قَالَ: «لَسْتُ أَنَا حَمَلْتُكُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَمَلَكُمْ،  
وَإِنِّي وَاللَّهِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ،  
فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَتَحَلَّلْتُهَا» ( )

(فأُتِيَ وذكر. .) أي فأُتِيَ أبو موسى رضي الله عنه بطعام فيه لحم دجاج والظاهر أن الراوي نسي كامل اللفظ وتذكر دجاجة  
فذكرها ودجاجة واحدة الدجاج هو نوع من الطيور الأليفة معروف ويقع على الذكر والأنثى.

(تيمم الله) بطن من بني بكر ومعنى تيمم الله عبد الله.

(أحمر) مقابل أسود.

(كانه من الموالي) أي كأنه من سبي الروم لاختلاف لونه عن لون عامة العرب. (نستحمله) نطلب منه أن يعطينا ما نركب  
عليه ونحمل متاعنا.

(بنهب الإبل) بغنيمة فيها إبل.

(ذود) ما بين ثلاث إلى عشر من الإبل.

\*\*\* صحيح مسلم

1650 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أَعْتَمَ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ فَوَجَدَ الصَّبِيَّةَ قَدْ نَامُوا، فَأَتَاهُ أَهْلُهُ بِطَعَامِهِ، فَحَلَفَ لَا يَأْكُلُ مِنْ أَجْلِ صَبِيَّتِهِ، ثُمَّ بَدَأَ لَهُ فَأَكَلَ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَلْيَأْتِهَا، وَلْيَكْفُرْ عَن يَمِينِهِ» ( )  
-المقصود من اليمين، والقسم تعظيم المقسم به، وتأکید المقسم عليه، وكان الله تعالى قد أمر بحفظ الأيمان، وكان مقتضى ذلك حفظها في كل شيء ولكن الله تعالى استثنى من ذلك إذا كان البر باليمين، يتضمن ترك ما هو أحب إليه، فنهى عباده أن يجعلوا أيمانهم

(عُرْضَةٌ)

أي: مانعة وحائلة

---

(غر الذرى) الغر جمع أعر وهو الأبيض والذرى جمع ذروة وهي من كل شيء أعلاه والمراد أنها ذوات أسنمة بيض من سمهن وكثرة شحومهن.  
(ما صنعنا) استنكار منهم لما فعلوه من مجيئهم وطلبهم وحملهم رسول الله ﷺ على الحلف وخافوا أن يؤاخذوا على ذلك.  
(تحللتها) من التحلل وهو التخلص من عهدة اليمين بالكفارة ونحوها كالاستثناء عند الحلف [أعتم) أي دخل في العتمة وهي شدة ظلمة الليل]

(أَنْ تَبْرُوا)

عن أن يبروا - أن يفعلوا خيرا،

(وَتَتَّقُوا)

أو يتقوا شرا،

(وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ)

أو يصلحوا بين الناس،

-فمن حلف على ترك واجب وجب حنثه، وحرّم إقامة على يمينه،

-ومن حلف على ترك مستحب، استحب له الحنث،

-ومن حلف على فعل محرم، وجب الحنث، أو على فعل مكروه استحب الحنث،

-وأما المباح فينبغي فيه حفظ اليمين عن الحنث.

ويستدل بهذه الآية على القاعدة المشهورة، أنه

« إذا تزاومت المصالح، قدم أهمها »

فهنا تتميم اليمين مصلحة، وامتنال أوامر الله في هذه الأشياء،

مصلحة أكبر من ذلك، فقدمت لذلك.

ثم ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين فقال:

(وَاللَّهُ سَمِيعٌ)

أي: لجميع الأصوات

(عَلِيمٌ)

بالمقاصد والنيات، ومنه سماعه لأقوال الحالفين،  
و علمه بمقاصدهم هل هي خير أم شر،  
وفي ضمن ذلك التحذير من مجازاته، وأن أعمالكم ونياتكم،  
قد استقر علمها عنده.

## الاعجاز العلمي في تحريم الوطء أثناء الحيض

[http://www.jameataleman.org/main/articles.aspx?article\\_no=1746](http://www.jameataleman.org/main/articles.aspx?article_no=1746)

### التفسير العلمي لأذى المبيض:-

الحيض هو دم طبيعي يأتي المرأة البالغة عادة كل شهر مرة، يخرج منها لفترة تتراوح بين اليومين وسبعة أيام على الأغلب، وتختلف كمية الدم الذي يخرج من امرأة لأخرى، وفقَّ الحالة الجسدية والنفسية. وسيلان دم المبيض يرجع إلى التغيرات المهمة التي تحصل للغشاء المبطن للرحم، التي تؤدي بدورها إلى تمزق العروق الدموية، فيسيل الدم منه، وما يلبث الغشاء المخاطي للرحم أن يسقط مصحوباً بالدماء، مشكلاً سيلان الحيض. بيد أن أكثر تأثيرات المبيض شدة وعمقاً، ما يُصيب المرأة وينتابها من حالة نفسية وجسدية،

فَقَبِيْلَ بدء الحيض ينخفض لدى المرأة تركيز حمرة الدم، وتعداد الكريات الحمراء، الأمر الذي يؤدي إلى انخفاض مقاومة جسم المرأة للأمراض أثناء فترة الحيض، وزيادة القابلية للالتهابات والإصابات الجسمية، مع تزايد أعراض الاضطراب والارتعاش والتوتر العصبي، وتبدل المزاج، وسرعة الاستثارة، ويُرافق كل ذلك تغيُّر في القدرة على الحكم على الأشياء. وإضافة لما تقدم من تغيُّرات تحدث للمرأة فترة المحيض، فقد دلت الدراسات على أن نسبة الإنتاج لدى المرأة تنخفض وقت المحيض، وتزداد نسبة الانتحار وجرائم النساء في بعض المجتمعات بشكل ملحوظ في تلك الفترة (١).

يقذف الغشاء المبطن للرحم أثناء الحيض، وبفحص دم الحيض تحت المجهر نجد بالإضافة إلى كرات الدم الحمراء والبيضاء قطعاً من الغشاء المبطن للرحم، ويكون الرحم متقرحاً نتيجة لذلك، فهو معرض للعدوى البكتيرية. ومن المعلوم طبيّاً أن الدم هو خير بيئة لتكاثر الميكروبات ونموها، وتقل مقاومة الرحم للميكروبات الغازية نتيجة لذلك ويصبح دخول الميكروبات الموجودة على سطح القضيبي يشكل خطراً داهماً على الرحم.

ومما يزيد الطين بلة أن مقاومة المهبل لغزو البكتيريا تكون في أدنى مستواها أثناء الحيض.. إذ يقل إفراز المهبل للحامض الذي يقتل الميكروبات ويصبح الإفراز أقل حموضة إن لم يكن قلوي التفاعل، كما تقل المواد المطهرة الموجودة بالمهبل أثناء الحيض إلى أدنى مستوى لها، ليس ذلك فحسب بل جدار المهبل الذي يتألف من عدة طبقات يقل أثناء الحيض إلى أدنى مستوى له.

**أعراض مصاحبة:**

١٢ لتفاصيل أكثر ارجع إلى موقع الشبكة الإسلامية.



يذكر الأطباء المتخصصون جملة من الأمراض أو الأعراض التي تصيب المرأة عند مجيء الحيض أو ما يسمى الدورة الشهرية لها - وهذه الأعراض بعضها مشاهد تجده المرأة بنفسها وتشعر به وبعضها غير مشاهد ولا تشعر به على المدى القريب بل تظهر نتائجه بعد فترة من الزمن، وهذا التأخر في ظهور النتائج قد يكون بسبب وجود مناعة قوية ذاتية عندها أو قد يكون بسبب تناول بعض العقاقير الطبية. ومن هذه الأعراض ما يأتي:

- يمتد الالتهاب إلى قناة الحيض على أدنى مستوى لها.
  - يمتد الالتهاب إلى قناة مجرى البول فالكلى.
  - يصاحب الحيض آلام شديدة.
  - تصاب كثير من النساء أثناء الحيض بحالة كآبة وضيق كما أن حالتها العقلية والفكرية تكون في أدنى درجاتها أثناء الحيض لذلك نهى رسول الله عن تطليق النساء أثناء الحيض.
  - تصاب بعض النساء بصداع نصفي (الشقيقة) قرب بداية الحيض وآلام مبرحة.
  - تقل الرغبة الجنسية لدى المرأة أثناء الحيض.
  - يسبب الحيض فقر دم للمرأة.
  - تنخفض درجة حرارة المرأة أثناء الحيض درجة مئوية واحدة.
  - تزيد شراسة الميكروبات أثناء الحيض في دم الحيض وخاصة ميكروبات السيلان - تصاب الغدد بالتغير فتقل إفرازاتها.
  - يبطل النبض وينخفض ضغط الدم فيسبب الشعور بالدوخة والفتور والكسل.
  - لا يتم الحمل أثناء الحيض.
  - لا يقتصر الأذى على الحائض بل ينتقل الأذى إلى الرجل الذي وطأها أيضاً.
- وقد خرج مؤخراً بحث حديث قدمه البروفسور عبد الله باسلامة إلى المؤتمر الطبي السعودي جاء فيه أن الجماع أثناء الحيض

-قد يكون أحد أسباب سرطان عنق الرحم ويحتاج الأمر إلى مزيد من الدراسة<sup>(١)</sup>.  
و تنتقل الميكروبات من قناة الرحم إلى مجرى البول و البروستات و المثانة.  
و التهاب البروستات سرعان ما يصبح مزمناً لكثرة قنواتها الضيقة الملتفة  
و التي نادراً ما يتمكن الدواء من قتل الميكروبات المخفية في تلافيفها،  
فإذا ما أزمّن التهاب البروستات فإن الميكروبات سرعان ما تغزو بقية الجهاز البولي  
التناسلي فتنتقل إلى الحالبين ثم إلى الكلى،  
و هو العذاب المستمر حتى نهاية الأجل.  
و قد ينتقل الميكروب من البروستات إلى الحويصلات المنوية فالحبل المنوي فالبربخ  
فالخصيتين، و قد يسبب ذلك عمقاً بسبب انسداد قناة المنى<sup>(٢)</sup>.  
\*الاستحاضة عرق:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت فاطمة ابنة أبي حبيش إلى النبي ﷺ فقالت:  
يا رسول الله إني امرأة أستحاض فلا أطهر، أفأدع الصلاة؟  
فقال رسول الله ﷺ:

«لا، إنما ذلك عرقٌ وليس بحيض، فإذا أقبلت حيضتك فدعي الصلاة،  
و إذا أدبرت فاغسلي عنك الدم ثم صلي»<sup>(بخاري)</sup>.

و زاد في رواية: «ثم توضئي لكل صلاة حتى يجيء ذلك الوقت»<sup>(بخاري)</sup>.  
دل الحديث الشريف أن دم الحيض لا يأتي مباشرةً من العروق الدموية  
بل هو كما يقول الأطباء المختصون نسيجٌ محتقن منتخر،  
فحين تنمو بطانة الرحم تنمو معها شرايين و تتحلزن،  
ولا أحد يعرف كيف يحصل هذا التحلزن العجيب،  
فإذا انكشمت بطانة الرحم في آخر الدورة لانحسار الهرمونات  
فإن سماكتها تقل و تضغط على شرايينها الحلزونية ←  
و هذا يؤدي إلى انضغاط التحلزنات على بعضها بعضاً و انقطاع الدم،

<sup>١١</sup> الحكمة من تحريم معاشره النساء أثناء المبيض أخذها من موقع: <http://www.balagh.com/mosoa/ejaz/ak0smf3m.htm>

<sup>١٢</sup> خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد على البار.

◀ و يؤدي بدوره إلى تنخر البطانة وانطراحها على شكل دم الحيض،  
 بخلاف دم الاستحاضة الذي هو نرف غير طبيعي يأتي مباشرة من العروق (٤٠).  
 و لا شك أن كل دم يخرج من عرق،  
 و لم يبين الحديث الشريف مكان هذا العرق؛  
 هل هو في داخل الرحم أم في خارج الرحم؟  
 و الفقهاء يقولون: إن مصدر دم الاستحاضة ليس من الرحم بل من عرق خارج  
 الرحم يسمى العازل.  
 لكن الطب الحديث يقول: إن دم الاستحاضة مصدره الرحم أيضاً كالحيض و  
 النفاس، فهو بهذا يخالف الفقهاء،  
 أما الحديث فلم يتطرق إلى مكان العرق لأن رسول الله ﷺ كان يجيب على السؤال  
 دون تنطع  
 و ذكر ما ليس له به علم وهذا يؤكد إنه ما كان ينطق عن الهوى بل هو وحي  
 يوحى و لو علم الله أن في ذكر موقع ذلك العرق فائدة لأخبر به نبيه،  
 أما الفقهاء فإنهم لما لم يعلموا علم ما علم رسول الله ﷺ  
 و لم يكونوا من أصحاب الاختصاص في هذه المسألة رأينا كيف أخطأوا  
 و خالفوا علماء التخصص في هذه المسألة و المصير إلى الحقيقة العلمية هو الأولى ما  
 دام الحديث الشريف لم يحدد مكان خروج الدم و لم يصرح بذلك (٤١).

### وجه الإعجاز:

من قوله تعالى: **(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا مِنَ النِّسَاءِ فِي  
 الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَظْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ  
 إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)** [البقرة: 222].

### نلاحظ أمران:

٤٠ القرار المبكين، ص 43.

٤١ انظر: إرشاد الناس إلى أحكام الحيض والنفاس.

الأول: نستشف من قوله: ﴿هُوَ أَذَى﴾ المعاني التي تدل عليها لفظة أذى و هي التي ذكرناها في بداية هذا المبحث وبالجملة ما كان مستقذراً أو ما يسبب المرض ومقدماته من الالتهابات و الآلام العضوية و النفسية و غيرها.

الثاني: و من قوله تعالى: ﴿فَاعْتَرِلُوا الْبَيْتَ فِي الْمَحِيضِ﴾

نستفيد الأمر بتحريم جواز المضاجعة في أيام الحيض.

و تأسيساً على ما أثبتته العلم من تغيرات و تبدلات ترافق المرأة قُبيل و أثناء فترة الحيض يمكننا إدراك وجه الإعجاز التشريعي للقرآن حين عبّر عن كل ذلك بلفظ

واحد هو لفظ "الأذى" قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ أَذَى﴾ [البقرة: 222].

و يقال أيضاً: إنه يُمكن لكل من حباه الله قدراً من الحس و الآدمية،

أن يدرك بوضوح أن الرغبة في إتيان المرأة وقت حيضها - و الحالة على ما ذكرنا- إنما هي رغبة بهيمية شاذة، بل هي أدنى و أخط،

إذ قد ثبت أن ذكور الحيوانات تتخير المواسم الفطرية الملائمة لقربان الأنثى،

و عُلِمَ أيضاً أن الوطء فترة الحيض لا يمكن مطلقاً أن يُنتج حملاً؛

لأن عملية التبويض لا تكون إلا قبل الحيض بأسبوعين كاملين تقريباً.

وفوق هذا وذاك، فإن الوطء أثناء الحيض هو في الحقيقة إدخال للجراثيم إلى الرحم في وقت تكون فيه الأجهزة الدفاعية لدى المرأة في حالة ضعف و خمول،

بحيث لا تستطيع المقاومة المطلوبة.

وإذا أضفنا إلى ما سبق أن وجود الدم في تلك الفترة يُعد عاملاً مساعداً و منشطاً

لتكاثر الجراثيم و موهها،

أدركنا وجه الإعجاز القرآني في تحريمه لقربان المرأة وقت المحيض.

-ولا يخفك -أخي الكريم- بعد كل ما تقدم أن إتيان المرأة في المحيض،

لا يمثل مخالفة لما شرعه العليم الخبير فحسب،

-ولا يمثّل منافاة لما تقتضيه قواعد الذوق السليم و الفطرة النقية كذلك،

-وإنما يُعدُّ ارتكاساً في حمأة موبوءة بالغة الإيذاء و الضرر بالمرأة صحياً و نفسياً،

-ويعد كذلك إصراراً على التردّي في متاهات الجهالة و البدائية،

وخاصة بعد أن قال العلم كلمته الصريحة في هذا الشأن، فهل من معتبر؟!  
وصدق الله القائل: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه  
الحق﴾ [فصلت: 53] والقائل: ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾ [يونس: 32]. ( . )

## اضرار الوطء في الدبر

[http://quran-m.com/firas/farisi/print\\_details.php?page=show\\_det&id=335](http://quran-m.com/firas/farisi/print_details.php?page=show_det&id=335)

مضار الفواحش و الفوضى الجنسية :

لخص الدكتور النسيمي ما تؤدي إليه الحرية الجنسية من أضرار مهلكة و مدمرة للفرد و المجتمع بالأمور التالية :

1- إن إطلاق العنان للإنسان في ممارسة رغباته الجنسية و إشباع غرائزه و شهواته تؤدي بلا شك إلى أضرار فادحة تلحق بصحة الفرد و تدمر كيان الأسرة لبنة المجتمع .

2- الفواحش هي السبب الوحيد تقريباً للإصابة بالأمراض الزهرية ، و أهم العوامل في انتشارها ، كالإفرنجي و السيلان البني و داء نقص المناعة المكتسبة ( الإيدز) .

3- اللواط ، كما رأينا تزيد على الزنى بمضار متميزة ، فالفاعل المعتاد على اللواط تنحرف عنده الميول الجنسية فلا يميل لمعاشرة زوجته و قد يقدم على طلاقها أو ممارسة الشذوذ الجنسي معها بإتيانها في الدبر أما الملوط به فيتعرض لتوسع الشرج و ارتخاء المصرة الشرجية و قد يصاب بسلس غائطي و قد يرتكس نفسياً فيتخنث .

أهم الأمراض التي تصيب الزناة والشواذ

الأمراض الزهرية ( الأمراض المنتقلة بالجنس)

سميت هذه الأمراض بالأمراض الزهريّة قديماً **venereal** نسبة إلى فينوس  
آلهة الحب ( ) عند الإغريق ،  
و كانت تشمل عدداً محصوراً من الآفات ، تنتقل كلها بالجماع .  
إلا أن توسع الأمراض التي تنتقل بالاتصال الجنسي ، وسعة انتشارها جعل  
هذا الاصطلاح قاصراً ، و المصطلح الحديث الذي يجمعها هو الأمراض  
الجنسية المنتقلة بالجنس و التي يمكن أن تنتقل بأي شكل من أشكال  
الاتصال الجنسي سواء كان طبيعياً أم شاذاً ، جماعاً مهبلياً عادياً ، أو شرجياً  
أو فمويّاً - جنسياً .

و لا شك ، أن الأمراض الزهريّة تشكل عقاباً إلهياً عاجلاً لمن تجرأ و اعتدى  
على الفطرة الإنسانية السليمة و سلك غير سبيل الهدى بارتكاب الفواحش  
من زنى و لواط و سحاق و غيرها .

و انتشار هذه الأمراض مع الإباحية الجنسية و العلاقات الفاجرة ما هو إلا  
تحقيق لنبوّة سيد البشر و إعجاز نبوي لقوله ﷺ:

" و لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون  
و الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا" ( )

الإفرنجي syphilis:

مرض أنتاني ظهر في أوروبا في القرون الوسطى و سمي باللكمة الجبارة و  
يستوطن اليوم كل أرجاء العالم مع ثورات له بين الحين و الآخر و ترتبط  
ثوراته بالحروب و ما يرافقها من فاقة و حاجة و دعارة و رخص جنسي ،  
ينتقل بالاتصال الجنسي مع إمكانية انتقاله من الأم الحامل المصابة إلى  
وليدها عبر المشيمة ،

---

تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً

رواه الحاكم في مستدرکه عن عبد الله بن عمر و صححه السيوطيو قال الألباني حديث صحيح .

و تعتبر الحرية الجنسية اليوم مع انتشار اللواط و الدعارة من أهم أسباب انتشاره يساعد على ذلك استعمال حبوب موانع الحمل و كثرة و سهولة السفر و الترحال .

ينجم الإفرنجي عن جراثيم دقيقة خيطية الشكل تدعى بالبريميات الشاحبة

و يوجد تمعجات على طول الجراثيم الذي يبلغ 20 ميكروناً .

و هي جراثيم تموت بسرعة خارج الجسم الإنساني لذا انحصرت العدوى من المريض إلى السليم بالتماس الحار الرطب [الذي يحصل مع الجماع و مقدماته ] .

و للإفرنجي شكلان: الإفرنجي المكتسب و الإفرنجي الولادي .

### الإفرنجي المكتسب:

و يمر بمرحلتين الأولى خمجية شديدة السرية هي الإفرنجي الباكر و الثانية غير معدية لكنها ذات آثار خطيرة جداً على العضوية هي الإفرنجي المتأخر .

الإفرنجي الباكر و يبدأ بعد فترة حضانة تقدر بثلاثة أسابيع بعد ليلة العدوى التي حصل فيها الجماع المشبوه ،

و ذلك بظهور حطاطة حمراء في مكان دخول الجراثيم تتقرح بسرعة لتشكل قراحاً صلباً مفرداً غير مؤلم ذو حود واضحة ،

يمكن أن يتوضع في أي مكان على الأعضاء التناسلية أو الفم ، على الشفة أو اللسان أو الشرج ، يرافقه ضخامة في العقد اللمفاوية الناحية يدعى " القرع الصلب " أو الإفرنجي الأولي .

يشفى القرع الصلب خلال أسابيع و يدخل المرض دور كمون لتبدأ بعده أعراض الإفرنجي الثانوي ( بعد 9 أسابيع من العدوى )



و يستمر شهوراً تـبلـغ السنـتين . و يتـظـاهـر بـأعـراض مـتـبايـنة جـداً حـيـث يشـكـو المـريـض مـن فـتـور و حـرارة خـفـيفة و بـحة صـوت ،  
كـما تـظـهـر بـقـع و رديـة بـلون زهـر الدـراق فـي مـعـظـم أـنـحاء البـدن  
" الوردة الإفـرنجـية "

أو تـظـهـر حـطـاطـات نحـاسـية اللـون مـتـقـرحة عـلى الرـاحـتين و الأـخـمصـين "  
الحطاطات الإفـرنجـية "

و هي إن ظهـرت عـلى الأـمـاكن المـتـعـطـنة ( الفـرج و الشـرج )

فـت كـثـيراً عـلى شـكل القـرنـيـبـط " الأورام القـرنـيـبـطية "

و يـمـكـن أن تـتـسـحـج و يـنـزف مـنـها مـصل كـريه الرـائـحة .

و قد تـظـهـر فـي بـاطـن الفـم تـقـرـحات سـطـحية تـغـطـيها

غـشـاوة رـمـاديـة " الطـلاوة الإفـرنجـية "

و قد تـسـقـط أشـعار الفـروة بـغـزارة مـخـلـفة بـقـعاً عـديـمة

الشـعر تـدـعى : الحـاصـة الخـلائية ."

و قد تـبـدو تـغـيـرات فـي لـون الجـلد عـلى شـكل رـقـط نـاقـصة الصـبـاغ عـلى الجـذع  
و خاصـة الرـقبة .

تـغـيب تـظـاهـرات الدـور الثـانـوي خـلال بـضعة أشـهر لـيـدخـل المـرض فـي كـمـون

طـويل لا يـكـشـف إلا بـالفـحـوص المـخـبرية الخـاصـة لـتـبـدأ بـعـد 2- 8 سـنـوات ما

يـسـمى :

الإفـرنجـي المـتـأخـر :

و أهم مـظـاهـر الصـمـوغ الإفـرنجـية و هي أورام التـهـابـية مـخـربة ،

تـتـلـين عـند نـضـجها و يـخـرج مـنـها قـيـح صـمـغي ، تـشـفى بـعـد أشـهر تـاركة نـدباً

مـشـوهة عـلى الجـلد ،

لـكـنـها قد تـتـوضـع داخـل الأـحـشاء و الدـماغ أو الرـئـتين أو القـلب لـتـأخـذ أشـكـالاً

مـمـيتة أحيـاناً .





و يصيب الإفرنجي في أدواره المتقدمة الجهاز العصبي حيث يتبدى بأشكال مختلفة منها التهاب السحايا الإفرنجي ،  
ومنها آفات تنكسية تصيب النخاع الشوكي مؤدية إلى الإصابة بالضمنا الظهري  
الإفرنجي الولادي: إذا كانت الحامل مصابة بالإفرنجي فإن جراثيمه تمر عبر  
المشيمة إلى الجنين الذي يصاب بالمرض الذي يغلب أن يمته .

### السيلان البني gonorrhoea

و هو مرض إنتاني ينجم عن جراثيم مكورة مزدوجة تشبه حبة البن تدعى  
بالمكورات البنية . و تبدأ الأعراض بعد فترة حضانة تقدر بثلاثة أيام من  
الجماع المشبوه فيظهر عند الرجل التهاب حاد في الإحليل يؤدي إلى:-  
سيلان قيحي من الإحليل ، اصفر مخضر ، كريبه الرائحة ، مع ألم شديد ، و  
حرقة أثناء التبول .

و قد ينتقل الأنتان إلى الأعلى فيصيب البروستات و البربخ و الحويصلات  
المنوية أو الناقلة و تؤدي إلى العقم .  
أما عند المرأة فتكون الأعراض أقل حدة لقصر الإحليل عندها ،  
و إذا انتقل عندها إلى الأعلى فيمكن أن يصيب المثانة أو ينتقل إلى المهبل  
فعنق الرحم فالطرق الناقلة للبيض و حتى المبيضين و ينتج عن التيلفات  
التالية العقم أيضاً .

و في حالات إزمان الآفة إن نقص المناعة يمكن أن ينقل الأنتان إلى الدم  
حيث يحدث تجثم الدم السيلاني في 1% من الإصابات  
فترتفع الحرارة مع طفح التهابي وعائي ،  
و من الدم ينتقل الجرثوم ليتوضع في أحد المفاصل الكبيرة كالركبة أو المرفق  
أو يتوضع في شغاف القلب فيحدث التهاب الشغاف الذي يغلب ، يهلك  
صاحبه بالموت .

### متلازم عوز المناعة المكتسبة " الإيدز Aids "

الإيدز هو المحطة الأخيرة في رحلة الإنسان الشهواني الطويلة مع الأمراض  
الزهريّة المختلفة ،  
و إن العالم لم يواجه في تاريخه تهديداً مدمراً كالذي يواجهه اليوم نتيجة  
انتشار الإيدز.

### العامل الممرض و طرق انتقاله " العدوى " :

ينجن الداء عن فيروس خاص يدعى " حمّة عوز المناعة البشريّة H.I.V " و هي هشّة و ضعيفة جداً خارج جسم الإنسان إذ هي حساسة للحرارة و المطهرات الكيماوية .

تشاهد بكثرة في الدم المصاب و المنى و مفرزات المهبل و عنق الرحم .  
و الجماع بما يحدثه غالباً من سحجات مجهرية ،

و ما يرافقه من غزارة في مفرزات المهبل و قذف منى ملوثة بالحمّة هو  
السبب الغالب في انتقال الحمّة من المريض إلى السليم .

سواء أكان هذا الجماع طبيعياً بين رجل و امرأة أو شاذاً بين رجل و آخر ،  
و لكن اللواط أكثر أثراً في إحداث مثل تلك الرضوض الشرجية أو في العضو  
لعنف الجماع فيها لذا يشكل اللوطيون النسبة الأعلى تعرضاً للإصابة .

تليها فئة المومسات و من يتصل بهن و ذلك لكثرة شركائهن الجنسيين  
و كثرة اتصالاتهن المحتملة للعدوى خاصة أن أغلبهن مصاب بتقرحات في  
عنق الرحم تكون مدخلاً سهلاً للحمات.

و التلوّث بدم مصاب ينقل المرض سواء عند تلقي دماء مقطوفة من مرضى  
مصابين بالإيدز أو تلقي و خز إبرة ملوثة بدم المصاب

و هذا يحدث عند مدمني المخدرات إذا اشتركوا في الحقن الوريدية .

علماً بأن الإحصاءات الأوربية أثبتت أن ثلث المدمنين على المخدرات في  
أوربا مصابون بحمّة الإيدز ،

-المرأة الحامل المصابة بالإيدز تنقل الحمه إلى وليدها عبر المشية بنسبة 50% .

### تطور الإصابة و مظاهرها :

إن معظم عناصر الجهاز المناعي في البدن تتأثر بشدة بعد دخول حمة الإيدز ، فهذه الحمة ترتبط باللمفاوية التائية فتقتلها أو تشلها .  
-أما الخلايا البائية فلا ترتبط باللمفاويات التائية فتقتلها أو تشلها .  
أما الخلايا البائية فلا ترتبط بها الحمة مباشرة ،  
و لكن نظراً لارتباطها الوثيق بالخلايا التائية فإن وظائفها تضرب و تصبح مع الزمن غير قادرة على انتاج الأضاض التي يكافح بها البدن العضويات الدخيلة ،

كما أن الخلايا القاتلة NK ينقص عددها و تتأثر وظيفتها في مكافحة الأورام

-أما البلعات فتضعف لتصبح غير قادرة على القيام بوظيفتها في البلعمة .  
و يستطيع البدن بعد دخول الحمة ب 3 ، 4 أسابيع تكوين أضداد ،  
لا تفيده في إكسابه أية مناعة ، لكنها تفيد في الكشف عن الإصابة حيث تصبح التفاعلات ضد الإيدز إيجابي

و يرافق هذا الانقلاب المصلي بعض الأعراض العامة من ترفع حروري ،  
التهاب بلعوم و صداع و آلام مفصلية لا يآبه لها المريض عادة .

بعد زوال هذه الأعراض يدخل المريض في دور من الكمون قد تمتد طويلاً

حيث يكون البدن في صراع مع المريض دون أن يبدي أية أعراض لكن

النقص المتدرج في الخلايا التائية المؤازرة نتيجة التأثير المباشر للفيروس عليها

يؤدي ببعض الانتانات التنفسية أو العصبية أو الهضمية لتكتسب فرصتها

محدثة أخماجاً انتهائية أو تضخم شامل في العقد اللمفاوية يسمى الاعتلال

اللمفي المستمر المنتشر .

و هؤلاء إما أن يتوقف المرض عندهم إلى هذا الحد أو أن يتقهقر مرة أخرى إلى اللاعرضية أو يتطور عندهم إما إلى ما يسمى المركب المرتبط بالإيدز أو إلى الإيدز الصحيح .

### أهم مظاهره:

#### 1 - الاعتلال العقدي اللمفي المستمر المنتشر :-

تنبه حمه الإيدز الخلايا البائية الموجودة في العقد اللمفية إلى ضخامة معتدلة فيها و خاصة عقد الإبط و العنق حيث تصبح متحركة و غير مؤلمة بعد تناول الخمر و قد تتوافق مع أعراض عامة كنقص الوزن و الارتفاع الحراري و الاندفاعات الجلدية حيث تصبح الحالة العامة للمريض سيئة .

#### 2-المركب المرتبط بالإيدز و يتظاهر بنقص كبير في وزن المريض:-

مع فمه و انحطاط في البدن و إسهال حاد متقطع يدوم أشهراً ، و تعرق ليلي غزير ، و ارتفاع حراري معتدل ، كما تبدو لويحات بيضاء في باطن الفم أو على اللسان توحى بظهور السلاق و تدل على انهيار المناعة عند المصاب

#### 3- الأعراض الفموية و الجلدية :

و اهمها ما يسمى الطلوان الشعري أو الوبري و هي لطخات على جانبي اللسان لا يمكن قلعها و هي العرض الوحيد الذي لا نجده إلا في الإيدز و منها داء المبيضات و الخراجات السنية المعندة و التقرحات الفموية المختلفة المنشأ .

كما يسيطر على الجلد عدد من الآفات بالحماة الراشحة كالحلأ البسيط و داء المنطقة و المليساء المعدية و الثآليل لكنها هنا تبدو أكبر حجماً و أكثر انتشاراً و عنداً .

#### 4- مظاهر الإيدز الصريح :



و هو شكاية المريض من  
الأخماج و الأورام الأنتهازية .

### أ - الأخماج الانتهازية :

أما أخماج الجهاز التنفسي يحدث أغلبها بالتكيسات الرئوية الكارينية ،  
ثم بالمتفطرات الطبرية أو الحمات المضخمة للخلايا أو بالمتفطرات السلية .  
أما أخماج الجهاز الهضمي فتتظاهر بنقص الوزن و الإعياء و ضخامة العقد  
و عرضها الوصفي هنا عسر البلع مع ألم أو حرقة خلف المقص تنجم عن  
استيلاء المبيضات على الجهاز الهضمي و خاصة المريء .  
و يرافقه إسهال مائي أو مخاطي و قد يكون مدمى سببه طفيليات متنوعة  
من العصيان الجرثومية الانتهازية .

و حمات الحلاً البسيطة قد تسيطر على المستقيم و منطقة ما حول الشرج  
مؤدية إلى تقرحات فيها ،

قد تنزف أثناء التغوط . أما أخماج الجهاز العصبي فأهمها  
التهاب الدماغ

( فقدان الذاكرة للحوادث القريبة ، الوسن و العنانة ،  
الإبالة في السرير ونوبات من الاختلاج ) .

و التهاب السحايا و ينجم عن المكورات المستكفية

( صداع ، نوبة صرعية ، حرارة ، و  
تخليط ) ،

و الاعتلال النخاعي ،

و التهاب في الشبكية

( عمى ليلى ، تقلص ساحة الرؤية و

اضطرابها) .



## الأورام الانتهازية:

يخفق الجهاز المناعي المنهار عند المصاب بالإيدز في التعرض إلى الخلايا السرطانية و قتلها مما يؤدي إلى انتشار واسع للأورام الخبيثة عند مرضى الإيدز و التي تؤدي بهم و بسرعة إلى نهايتهم المحتومة .  
و أهم هذه الأورام :

### أ - الورم العفلي الكابوزي Sarcoma Kaposi:

و يتخذ في الإيدز ما يسمى بالشكل البوائي و يكثر عند اللوطيين و يتظاهر ببقع وردية بنفسجية ، و يزداد لونها شدة مع الزمن و قد تسود و تبرز و تتصلب و يزداد حجمها ثم تتقرح .

ب - اللمفاويات: أورام خبيثة تصيب النسيج اللمفاوية و يمكن أن تتوضع في الدماغ أو في العظام أو في الأمعاء .

### ج - سرطان اللسان الوسفي :-

حيث يؤدي إلى تقرح في جانبي اللسان تنبعث منه رائحة كريهة ، و يتضخم ليعيق حركة اللسان و الكلام و لا علاج له سوى استئصال اللسان بكامله .



### صــــــــــــــــور للعــــــــــــــــورة :

من أحب أن يعتبر ويرى بعض الأوجاع التي يتعرض لها الزناة في الحياة الدنيا فليشاهد بعض هذه الصورة بالضغط على الروابط في الأسفل

## صور الأمراض الإفرنجي

## صور لأعراض السيلاني البني

## الورم العفلي الكابوزي

المراجع :

- الأمراض المنتقلة بالجنس : د. عبد اللطيف ياسين القاهرة  
الأمراض الجلدية : : د . مأمون جلاذ  
روائع الطب الاسلامي : د محمد نزار الدقر

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ

﴿٢٢٥﴾ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾

وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ

أَشْهُرٍ وَلَا يحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

وَبِعُولِهِنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ

وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ

تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا

يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ

حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا

حِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا

أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

**لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ**

\*\*\* لَا يُعَاقِبُكُمْ وَلَا يُلْزِمُكُمْ بِمَا صَدَرَ مِنْكُمْ مِنَ الْأَيْمَانِ اللَّاغِيَةِ



وَهِيَ الَّتِي لَا يَقْصِدُهَا الْحَالِفُ،  
بَلْ تَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ عَادَةً مِنْ غَيْرِ تَعْقِيدٍ وَ لَا تَأْكِيدٍ، كَمَا فِي:-

\*\*\*صحيح البخاري

4860 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

" مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلْفِهِ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،  
\*\*\*فَهَذَا قَالَهُ لِقَوْمٍ حَدِيثِي عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، قَدْ أَسْلَمُوا وَالسُّنَّتُهُمْ قَدْ أَلْفَتْ مَا  
كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَلْفِ بِاللَّاتِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ،  
فَأْمُرُوا أَنْ يَتَلَفَّظُوا بِكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، كَمَا تَلَفَّظُوا بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ،  
لِتَكُونَ هَذِهِ بِهِذِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى:

{وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ} كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ  
الْأُخْرَى فِي الْمَائِدَةِ: {وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ} [الْمَائِدَةِ: 89].

أي: لا يؤاخذكم بما يجري على ألسنتكم من الأيمان اللاغية،

التي يتكلم بها العبد، من غير قصد منه و لا كسب قلب،

و لكنها جرت على لسانه كقول الرجل في عرض كلامه:

« لا و الله » و « بلى و الله » و كحلفه على أمر ماض، يظن صدق نفسه،

و إنما المؤاخذة على ما قصده القلب.

و في هذا دليل على اعتبار المقاصد في الأقوال، كما هي معتبرة في الأفعال.

{وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ}

\* الميسر:- ولكن يعاقبكم بما قصدته قلوبكم.

\*\*\* هُوَ أَنْ يَحْلِفَ عَلَى الشَّيْءِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ كَاذِبٌ. قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ:  
وَهِيَ هَوْلُهُ: {وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ} الْآيَةَ [الْمَائِدَةَ: 89]

(وَاللَّهُ عَفُورٌ)

لمن تاب إليه،

(حَلِيمٌ)

بمن عصاه، حيث لم يعاجله بالعقوبة، بل حلم عنه وستر،  
وصفح مع قدرته عليه، وكونه بين يديه.

لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَبْعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾

وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

(لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ)

\*\*\* الْإِيْلَاءُ: الْحَلْفُ، فَإِذَا حَلَفَ الرَّجُلُ أَلَّا يُجَامِعَ زَوْجَتَهُ مُدَّةً  
فَلَا يَخْلُو: إِمَّا أَنْ يَكُونَ أَقَلَّ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، أَوْ أَكْثَرَ مِنْهَا،  
فَإِنْ كَانَتْ أَقَلَّ، فَلَهُ أَنْ يَنْتَظِرَ انْقِضَاءَ الْمُدَّةِ ثُمَّ يُجَامِعَ امْرَأَتَهُ،  
وَعَلَيْهَا أَنْ تَصْبِرَ، وَلَيْسَ لَهَا مُطَالَبَةٌ بِالْفَيْئَةِ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ،  
وَهَذَا كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ آلَى مِنْ نِسَائِهِ شَهْرًا،  
فَنَزَلَ لِتِسْعِ وَعِشْرِينَ، وَقَالَ: "الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ"  
-وَلَهُمَا عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ نَحْوُهُ.

فَأَمَّا إِنْ زَادَتِ الْمُدَّةُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، فَلِلزَّوْجَةِ مُطَالَبَةٌ الزَّوْجِ عِنْدَ انْقِضَاءِ  
أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ:-

1-إِمَّا أَنْ يَفِيءَ -أَي: يُجَامِعُ -

2- وَإِمَّا أَنْ يُطَلَّقَ، فَيَجْبُرُهُ الْحَاكِمُ عَلَى هَذَا أَوْ هَذَا لِتَلَا بَصَرٍ بِهَا.  
وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ} أَي: يَخْلُقُونَ عَلَى تَرْكِ الْجَمَاعِ مِنْ نِسَائِهِمْ،  
فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْإِيْلَاءَ يَخْتَصُّ بِالزَّوْجَاتِ دُونَ الْإِمَاءِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ  
الْجُمْهُورِ.

### {تَرْبِصُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ}

أَي: يَنْتَظِرُ الزَّوْجُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ مِنْ حِينَ الْحَلْفِ،  
ثُمَّ يُوقِفُ وَيُطَالِبُ بِالْفَيْئَةِ أَوْ الطَّلَاقِ.

- وهذا من الأيمان الخاصة بالزوجة، في أمر خاص وهو حلف الزوج على ترك  
وطء زوجته مطلقاً، أو مقيداً، بأقل من أربعة أشهر أو أكثر.

فمن آلى من زوجته خاصة، فإن كان لدون أربعة أشهر،

فهذا مثل سائر الأيمان، إن حنث كفر،

- وإن أتم يمينه، فلا شيء عليه، وليس لزوجه عليه سبيل، لأنه ملكه أربعة  
أشهر.

- وإن كان أبداً، أو مدة تزيد على أربعة أشهر، ضربت له مدة أربعة أشهر من

يمينه، إذا طلبت زوجته ذلك، لأنه حق لها،

- فإذا تمت أمر بالفئنة وهو الوطاء، فإن وطئ، فلا شيء عليه إلا كفارة اليمين،

وإن امتنع، أُجبر على الطلاق، فإن امتنع، طلق عليه الحاكم.

ولكن الفئنة والرجوع إلى زوجته، أحب إلى الله تعالى، ولهذا قال:

{فَإِنْ فَاءُوا}

أي: رجعوا إلى ما حلفوا على تركه، وهو الوطء.

**(فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ)**

يغفر لهم ما حصل منهم من الحلف، بسبب رجوعهم.

**(رَّحِيمٌ)**

حيث جعل لأيمانهم كفارة وتحلة، ولم يجعلها لازمة لهم غير قابلة للانفكاك،  
ورحيم بهم أيضا،

حيث فاءوا إلى زوجاتهم، وحنوا عليهن ورحموهن.

\*\*\* {فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ} \*\*\*

أَي: لِمَا سَلَفَ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي حَقِّهِنَّ بِسَبَبِ الْيَمِينِ.

**(وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ)**

\*الميسر: وإن عقدوا عزمهم على الطلاق، باستمرارهم في اليمين،  
وترك الجماع،

أي: امتنعوا من الفیئة، فكان ذلك دليلا على رغبتهم عنهن،  
وعدم إرادتهم لأزواجهم، وهذا لا يكون إلا عزما على الطلاق،  
فإن حصل هذا الحق الواجب منه مباشرة،

وإلا أجبره الحاكم عليه أو قام به.

\*\*\*فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَقَعُ الطَّلَاقُ مُجَرَّدَ مُضِيِّ الْأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ  
وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّهُ يَقَعُ مُضِيِّ الْأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ تَطْلِيقَةً  
ثُمَّ قِيلَ: إِنَّهَا تُطَلَّقُ مُضِيِّ الْأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ طَلْقَةً رَجْعِيَّةً

وَالَّذِي عَلَيْهِ الْجُمُهورُ أَنَّهُ يُوقَفُ فَيَطَّالَبُ إِمَّا بِهَذَا أَوْ هَذَا وَ لَا يَقَعُ عَلَيْهَا  
بمجرد مضيها طلاق

**(فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)**

فيه وعيد وتهديد، لمن يحلف هذا الحلف، ويقصد بذلك المضارة والمشاققة.  
و يستدل بهذه الآية على:-

1- أن الإيلاء، خاص بالزوجة، لقوله: **(من نساთهم)**

2- و على وجوب الوطاء في كل أربعة أشهر مرة، لأنه بعد الأربعة،  
يجبر إما [على الوطاء، أو على الطلاق]،  
و لا يكون ذلك إلا لتـركه واجـباً.

وَالْمُطَلَّقاتُ يَرَبِّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ  
فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا  
إِصْلَاحًا وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِينَ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٢٨﴾  
**(وَالْمُطَلَّقاتُ)**

أي: النساء اللاتي طلقهن أزواجهن

**(يَرَبِّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ)**

أي: ينتظرن و يعتددن مدة

**(ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ)**

أي: حيض، أو أطهار على اختلاف العلماء في المراد بذلك،  
مع أن الصحيح أن القراء: - الحيض،  
- ولهذه العدة عِدَّة حِكْمٍ، منها: -

☆ العلم ببراءة الرحم، إذا تكررت عليها ثلاثة الأقراء، علم أنه ليس في رحمها  
حمل،

← فلا يفضي إلى اختلاط الأنساب، و لهذا أوجب تعالى عليهن الإخبار عن

(وَلَا يَجِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَنْفُسِهِنَّ)

و حرم عليهن، كتمان ذلك، من حمل أو حيض،  
لأن كتمان ذلك، يفضي إلى مفسد كثيرة،  
فكتمان الحمل، موجب أن:

- تلحقه بغير من هو له، رغبة فيه و استعجالا لانقضاء العدة،  
فإذا ألحقته بغير أبيه،:-

- 1- حصل من قطع الرحم و الإرث،
- 2- و احتجاب محارمه وأقاربه عنه،
- 3- و ربما تزوج ذوات محارمه،
- 4- و حصل في مقابلة ذلك، إلحاقه بغير أبيه،
- 5- و ثبوت توابع ذلك، من الإرث منه و له،
- 6- و من جعل أقارب الملحق به، أقارب له،

و في ذلك من الشر و الفساد، ما لا يعلمه إلا رب العباد،  
و لو لم يكن في ذلك، إلا إقامتها مع من نكاحها باطل في حقه،  
و فيه الإصرار على الكبيرة العظيمة، و هي الزنا لكفى بذلك شرا.  
\*وأما كتمان الحيض:-

بأن استعجلت و أخبرت به و هي كاذبة،  
ففيه من انقطاع حق الزوج عنها، و إباحتها لغيره و ما يتفرع عن ذلك من الشر،  
كما ذكرنا،

و إن كذبت و أخبرت بعدم وجود الحيض، لتطول العدة،  
فتأخذ منه نفقة غير واجبة عليه، بل هي سحت عليها محرمة من جهتين: -

1- من كونها لا تستحقه،

2- و من كونها نسبتها إلى حكم الشرع و هي كاذبة،

- و ربما راجعها بعد انقضاء العدة، فيكون ذلك سفاحا، لكونها أجنبية عنه،  
فلهذا قال تعالى:

**(وَلَا يَحِلُّ لهنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُنَّ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ)**

\*\*\* تَهْدِيدٌ لَهُنَّ عَلَى قَوْلِ خِلافِ الْحَقِّ.

وَدَلٌّ هَذَا عَلَى أَنَّ الْمَرْجِعَ فِي هَذَا إِلَيْهِنَّ؛ لِأَنَّهُ أَمْرٌ لَا يُعْلَمُ إِلَّا مِنْ جِهَتَيْنِ،  
وَتَتَعَدَّرُ إِقَامَةُ الْبَيِّنَةِ غَالِبًا عَلَى ذَلِكَ، فَرَدَّ الْأَمْرَ إِلَيْهِنَّ،  
وَتُوَعِّدَنَّ فِيهِ، لِئَلَّا تُخْبِرَ بِغَيْرِ الْحَقِّ إِمَّا اسْتِعْجَالًا مِنْهَا لِانْقِضَاءِ الْعِدَّةِ،  
أَوْ رَغْبَةً مِنْهَا فِي تَطْوِيلِهَا، لِمَا لَهَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَقاصِدِ.  
فَأَمَرَتْ أَنْ تُخْبِرَ بِالْحَقِّ فِي ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ.

فصدور الكتمان منهن دليل على عدم إيمانهن بالله واليوم الآخر،  
وإلا فلو آمن بالله واليوم الآخر،

وعرفن أنهن مجزيات عن أعمالهن، لم يصدر منهن شيء من ذلك.  
وفي ذلك دليل على قبول خبر المرأة، عما تخبر به عن نفسها،  
من الأمر الذي لا يطلع عليه غيرها، كالحيض والحمل ونحوه .

ثم قال تعالى: **(وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ)**

أي: لأزواجهن ما دامت متربصة في تلك العدة، أن يردوهن إلى نكاحهن

**(إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا)**

أي: رغبة و ألفة و مودة.

- و مفهوم الآية أنهم إن لم يريدوا الإصلاح، فليسوا بأحق بردهن،  
فلا يحل لهم أن يراجعوهن، لقصد المضارة لها، و تطويل العدة عليها،  
و هل يملك ذلك، مع هذا القصد؟  
فيه قولان:-

1- الجمهور على أنه يملك ذلك، مع التحريم،

و الصحيح أنه إذا لم يرد الإصلاح، لا يملك ذلك،  
كما هو ظاهر الآية الكريمة،

- و هذه حكمة أخرى في هذا التربص، وهي:-

أنه ربما أن زوجها ندم على فراقه لها،



فجعلت له هذه المدة، ليتروى بها و يقطع نظره.

و هذا يدل على محبته تعالى، للألفة بين الزوجين، و كراهته للفراق،

كما قال النبي ﷺ: « **أبغض الحلال إلى الله الطلاق** » (I).

-و هذا خاص في الطلاق الرجعي،

-و أما الطلاق البائن، فليس البعل بأحق برجعتها، بل إن تراضيا على التراجع،

فلا بد من عقد جديد مجتمع الشروط.

ثم قال تعالى: ( **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ** )

أي: وللنساء على بعولتهن من الحقوق واللوازم مثل الذي عليهن لأزواجهن

من الحقوق اللازمة والمستحبة.

و مرجع الحقوق بين الزوجين يرجع إلى المعروف،

و هو: العادة الجارية في ذلك البلد و ذلك الزمان من مثلها لمثله،

و يختلف ذلك باختلاف الأزمنة و الأمكنة، و الأحوال، و الأشخاص و

العوائد.

-و في هذا دليل على أن النفقة و الكسوة، و المعاشرة، و المسكن،

و كذلك الوطاء - الكل يرجع إلى المعروف، فهذا موجب العقد المطلق.

و أما مع الشرط، فعلى شرطهما، إلا شرطا أحل حراما، أو حرم حلالا.

( **وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ** )

أي: رفعة ورياسة، وزيادة حق عليها، كما قال تعالى:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ

أَمْوَالِهِمْ﴾ النساء: ٣٤

و منصب النبوة و القضاء، و الإمامة الصغرى و الكبرى،  
و سائر الولايات مختص بالرجال، و له ضعفا ما لها في كثير من الأمور،  
كالميراث و نحوه.

(وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)

أي: له العزة القاهرة و السلطان العظيم، الذي دانت له جميع الأشياء،  
و لكنه مع عزته حكيم في تصرفه.

و يخرج من عموم هذه الآية، الحوامل، فعدتهن وضع الحمل،  
و اللاتي لم يدخل بهن، فليس لهن عدة، و الإماء، فعدتهن حيضتان،  
كما هو قول الصحابة رضي الله عنهم،  
و سياق الآيات يدل على أن المراد بها الحرة.

أَطْلَقَ مَرَّتَانٍ فِيمَا سَأَلَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَنِ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا  
ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا  
جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ

فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٣٩﴾

كان الطلاق في الجاهلية، واستمر أول الإسلام، يطلق الرجل زوجته بلا نهاية، فكان إذا أراد مضارتها، طلقها، فإذا شارفت انقضاء عدتها، راجعها، ثم طلقها وصنع بها مثل ذلك أبدا، فيحصل عليها من الضرر ما الله به عليم،

فأخبر تعالى أن (أَطْلَقُ)

أي: الذي تحصل به الرجعة

(مَرَّتَانِ)

ليتمكن الزوج إن لم يرد المضارة من ارتجاعها،

و يراجع رأيه في هذه المدة،

و أما ما فوقها، فليس محلا لذلك،

لأن من زاد على الثنتين، فإما متجري على المحرم،

أو ليس له رغبة في إمساكها، بل قصده المضارة،

فلهذا أمر تعالى الزوج، أن يمسك زوجته

(فَأِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ)

أي: عشرة حسنة، ويجري مجرى أمثاله مع زوجاتهم،

وهذا هو الأرجح، وإلا يسرحها ويفارقها

(أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ)

\*الميسر: أو تخلية سبيلها مع حسن معاملتها بأداء حقوقها،

وإلا يذكرها مطلقا بسوء.

-و من الإحسان، أن لا يأخذ على فراقه لها شيئاً من مالها، لأنه ظلم،  
و أخذ للمال في غير مقابلة بشيء، فلهذا قال: -

وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ  
فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ  
فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

(وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا  
إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ)

\* الميسر: و لا يحل لكم -أيها الأزواج- أن تأخذوا شيئاً مما  
أعطيتموهن من المهر ونحوه،  
إلا أن يخاف الزوجان ألا يقوموا بالحقوق الزوجية،  
فحينئذ يعرضان أمرهما على الأولياء،

\*\*\*كقوله ﴿وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَاءِ آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ

مُبَيِّنَةٍ﴾ النساء: ١٩

وهي المخالعة بالمعروف، بأن كرهت الزوجة زوجها، لحلقه أو خلقه  
أو نقص دينه، و خافت أن لا تطيع الله فيه،

\*\*\* فَأَمَّا إِنْ وَهَبَتْهُ الْمَرْأَةُ شَيْئًا عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهَا. فَقَدْ قَالَ تَعَالَى:

{فَإِنْ طِيبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا} [النساء:4]

-وَأَمَّا إِذَا تَشَاقَقَ الزَّوْجَانِ، وَ لَمْ تَقْمِ الْمَرْأَةُ بِحُقُوقِ الرَّجُلِ وَ أَبْغَضَتْهُ

وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَىٰ مُعَاشَرَتِهِ،  
فَلَهَا أَنْ تَفْتَدِيَ مِنْهُ بِمَا أَعْطَاهَا، وَ لَا حَرَجَ عَلَيْهَا فِي بَدْلِهَا،  
وَ لَا عَلَيْهِ فِي قَبُولِ ذَلِكَ مِنْهَا؛

وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا  
أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا  
افْتَدَتْ بِهِ} الْآيَةَ.

فَأَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهَا عُدْرٌ وَ سَأَلَتِ الْإِفْتِدَاءَ مِنْهُ، فَقَدْ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ:  
سنن أبي داود

2226 - عَنْ ثُوبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:  
«أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلْتَ زَوْجَهَا طَلَاقًا فِي غَيْرِ مَا بَأْسٍ، فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ»  
\*\*\* ثُمَّ قَدْ قَالَ طَائِفَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ السَّلَفِ وَ أُمَّةِ الْخَلْفِ -  
إِنَّهُ لَا يَجُوزُ الْخُلْعُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الشَّقَاقُ وَ النَّشُورُ مِنْ جَانِبِ الْمَرْأَةِ،  
فَيَجُوزُ لِلرَّجُلِ حِينَئِذٍ قَبُولُ الْفِدْيَةِ، وَ احْتِجَاؤُهَا بِقَوْلِهِ:

{وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ  
اللَّهِ} .

قَالُوا: فَلَمْ يَشْرَعْ الْخُلْعَ إِلَّا فِي هَذِهِ الْحَالَةِ، فَلَا يَجُوزُ فِي غَيْرِهَا إِلَّا بِدَلِيلٍ،  
وَ الْأَصْلُ عَدْمُهُ،  
وَ قَالَ مَالِكٌ وَالْأَوْزَاعِيُّ: لَوْ أَخَذَ مِنْهَا شَيْئًا وَ هُوَ مَصَارٌ لَهَا وَ جَبَ رَدُّهُ إِلَيْهَا،  
وَ كَانَ الطَّلَاقُ رَجْعِيًّا.  
قَالَ مَالِكٌ: وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي أَدْرَكَتُ النَّاسَ عَلَيْهِ.  
وَ ذَهَبَ الشَّافِعِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ، إِلَى أَنَّهُ يَجُوزُ الْخُلْعُ فِي حَالَةِ الشَّقَاقِ،  
وَ عِنْدَ الْإِتِّفَاقِ بِطَرِيقِ الْأُولَى وَ الْأُخْرَى،

\*\*\* سنن أبي داود - 2227 -

عَنْ حَبِيبَةَ بِنْتِ سَهْلِ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّهَا كَانَتْ تَحْتَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ،  
وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى الصُّبْحِ فَوَجَدَ حَبِيبَةَ بِنْتَ سَهْلِ عِنْدَ بَابِهِ فِي  
الْغَلَسِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ هَذِهِ؟»  
فَقَالَتْ: أَنَا حَبِيبَةُ بِنْتُ سَهْلِ، قَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟»  
قَالَتْ: لَا أَنَا وَلَا ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ لِرُزُوجِهَا،  
فَلَمَّا جَاءَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:  
«هَذِهِ حَبِيبَةُ بِنْتُ سَهْلِ»، وَذَكَرَتْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَذْكَرَ،  
وَ قَالَتْ حَبِيبَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُلُّ مَا أَعْطَانِي عِنْدِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:  
لثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ: «خُذْ مِنْهَا»، فَأَخَذَ مِنْهَا،  
وَ جَلَسَتْ هِيَ فِي أَهْلِهَا  
\*\*\* صحيح البخاري

5273 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ امْرَأَةَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ:  
يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ، مَا أَعْتَبَ عَلَيْهِ فِي خُلُقٍ وَلَا دِينٍ،  
وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْكُفْرَ فِي الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:  
«أَتُرَدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيثَهُ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:  
«اقْبَلِ الْحَدِيثَ وَطَلِّقِيهَا تَطْلِيقَةً» ( )

ش (امراة ثابت) اسمها جميلة بنت أبي بن سلول.  
(ما أعتب عليه) لا أعيبه و لا ألومه.

(أكره الكفر) أي أن أقع في أسباب الكفر من سوء العشرة مع الزوج و نقصانه حقه و نحو ذلك.  
(حديثه) بستانه الذي أعطاها إياه مهرا.  
(تطليقة) طليقة واحدة رجعية.

**(فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ)**

\*الميسر: فإن خاف الأولياء عدم إقامة الزوجين حدود الله، فلا حرج على الزوجين فيما تدفعه المرأة للزوج مقابل طلاقها. -لأنه عوض لتحصيل مقصودها من الفرقة، و في هذا مشروعية الخلع، إذا وُجِدَت هذه الحكمة.

**(تِلْكَ)**

أي ما تقدم من الأحكام الشرعية

**(حُدُودُ اللَّهِ)**

أي: أحكامه التي شرعها لكم، و أمر بالوقوف معها،

**(وَمَنْ يَعْذُ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)**

و أي ظلم أعظم ممن اقتحم الحلال، و تعدى منه إلى الحرام، فلم يسعه ما أحل الله؟

و الظلم ثلاثة أقسام:

- 1- ظلم العبد فيما بينه و بين الله،
  - 2- و ظلم العبد الأكبر الذي هو الشرك،
  - 3- و ظلم العبد فيما بينه و بين الخلق،
- فالشرك لا يغفره الله إلا بالتوبة،  
و حقوق العباد، لا يترك الله منها شيئاً،

و الظلم الذي بين العبد و ربه فيما دون الشرك، تحت المشيئة و الحكمة.

فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا

أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

يقول تعالى: (فَإِنْ طَلَّقَهَا)

أي: الطلقة الثالثة

(فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ)

\*\*\* صحيح البخاري

2639 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: جَاءَتْ امْرَأَةً رِفَاعَةَ الْقُرَظِيَّ

النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: كُنْتُ عِنْدَ رِفَاعَةَ، فَطَلَّقَنِي، فَأَبَتْ طَلَاقِي، فَتَزَوَّجْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الزَّبِيرِ إِهْمَا مَعَهُ مِثْلَ هُدْبَةِ الثَّوْبِ، فَقَالَ:

«أَتُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى رِفَاعَةَ؟

لَا، حَتَّى تَدُوقِي عُسَيْلَتَهُ وَ يَدُوقَ عُسَيْلَتِكَ»، وَ أَبُو بَكْرٍ جَالِسٌ عِنْدَهُ، وَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ بِالْبَابِ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤَدَّنَ لَهُ،

فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَا تَسْمَعُ إِلَى هَذِهِ مَا تَجَهَّرُ بِهِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ( )

وَ الْمَقْصُودُ مِنَ الزَّوْجِ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ رَاغِبًا فِي الْمَرْأَةِ، قَاصِدًا لِدَوَامِ عَشْرَتِهَا، كَمَا هُوَ الْمَشْرُوعُ مِنَ التَّزْوِيجِ

(امرأة رفاعة) و اسمها تميمة بنت وهب.

(فأبت) من البت و هو القطع أي قطع طلاقي قطعاً كلياً و المراد أنه طلقها الطلقة الثالثة التي تحصل بها البيونة الكبرى.

(مثل هُدبة الثوب) طرفه الذي لم ينسج كُنْتُ بهذا عن استرخاء ذكره وأنه لا يقدر على الوطء.

(عسيلته) تصغير عسلة و هي كناية عن الجماع فقد شبه لذته بلذة العسل و حلاوته]



فَأَمَّا إِذَا كَانَ الثَّانِي إِيمًا قَصْدُهُ أَنْ يُحِلَّهَا لِلأَوَّلِ،  
فَهَذَا هُوَ الْمُحَلَّلُ الَّذِي وَرَدَتْ الأَحَادِيثُ بِذَمِّهِ وَلَعْنِهِ، وَمَتَى صَرَحَ بِمَقْصُودِهِ  
فِي العَقْدِ بَطَلَ النِّكَاحُ عِنْدَ جُمهُورِ الأُمَّةِ.

\*\*\* سنن أبي داود

2076 - عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ إِسْمَاعِيلُ:

وَأَرَاهُ قَدْ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:  
«لَعَنَ اللهُ الْمُحَلَّلَ، وَ الْمُحَلَّلَ لَهُ».

○ أي: نكاحا صحيحا ويطؤها، لأن النكاح الشرعي لا يكون إلا صحيحا،

و يدخل فيه العقد و الوطاء، و هذا بالاتفاق.

و يشترط أن يكون نكاح الثاني، نكاح رغبة، فإن قصد به تحليلها للأول،

فليس بنكاح، و لا يفيد التحليل، و لا يفيد وطاء السيد، لأنه ليس بزواج،

فإذا تزوجها الثاني راغبا و وطئها، ثم فارقتها و انقضت عدتها

(فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا)

أي: على الزوج الأول و الزوجة

(أَنْ يَتَرَاجَعَا)

أي: يجرددا عقدا جديدا بينهما، لإضافته التراجع إليهما،

فدل على اعتبار التراضي.

و لكن يشترط في التراجع :-

(إِنْ طَلَّقَا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ)

بأن يقوم كل منهما، بحق صاحبه، و ذلك إذا ندما على عشرتهما السابقة  
الموجبة للفراق،

و عزمًا أن يبدلاها بعشرة حسنة، فهنا لا جناح عليهما في التراجع.  
و مفهوم الآية الكريمة:-

أنهما إن لم يظنا أن يقيما حدود الله،  
بأن غلب على ظنهما أن الحال السابقة باقية،  
و العشرة السيئة غير زائلة أن عليهما في ذلك جناحا،  
لأن جميع الأمور، إن لم يقم فيها أمر الله، و يسلك بها طاعته، لم يحل الإقدام  
عليها.

و في هذا دلالة على أنه ينبغي للإنسان:-

إذا أراد أن يدخل في أمر من الأمور، خصوصا الولايات، الصغار، والكبار،  
نظر في نفسه ،  
فإن رأى من نفسه قوة على ذلك، و وثق بها، أقدم، و إلا أحجم.  
و لما بين تعالى هذه الأحكام العظيمة قال:

**(وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ)**

أي: شرائعه التي حددها و بينها و وضحها.

**(يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)**

لأنهم هم المنتفعون بها، النافعون لغيرهم.  
وفي هذا من فضيلة أهل العلم، ما لا يخفى، لأن الله تعالى جعل تبيينه  
لحدوده، خاصا بهم، وأنهم المقصودون بذلك،  
وفيه أن الله تعالى يحب من عباده، معرفة حدود ما أنزل على رسوله والتفقه  
بها.

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ  
وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتِدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ  
اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ  
يُعِظُكُمْ بِهِ وَأَنْقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ  
فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ  
ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ لَكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ  
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ  
لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ  
إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَالِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدَيْهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ  
فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا  
أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ  
وَأَنْقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٥﴾

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ

وَلَا تُسْكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتُدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ  
اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ

يُعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٧﴾

\*\*\* هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلرِّجَالِ إِذَا طَلَّقَ أَحَدُهُمُ الْمَرْأَةَ طَلَاقًا لَهُ عَلَيْهَا  
فِيهِ رَجْعَةٌ، أَنْ يُحْسِنَ فِي أَمْرِهَا إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا،  
وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا مِقْدَارٌ مَا يُمَكِّنُهُ فِيهِ رَجْعَتُهَا، فَإِمَّا أَنْ يُمَسِّكَهَا،  
أَي: يَرْتَجِعَهَا إِلَى عِصْمَةِ نِكَاحِهِ مَعْرُوفٍ، وَهُوَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَى رَجْعَتِهَا،  
وَيُنَوِّي عِشْرَتَهَا بِالْمَعْرُوفِ، أَوْ يُسَرِّحَهَا،  
أَي: يَتْرُكُهَا حَتَّى تَنْقُضِيَ عِدَّتَهَا، وَيُخْرِجُهَا مِنْ مَنْزِلِهِ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ  
مِنْ غَيْرِ شِقَاقٍ وَلَا مُخَاصَمَةٍ وَلَا تَقَابُحٍ،  
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَا تُسْكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتُدُوا}

ثم قال تعالى: (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ)

أي: طلاقاً رجعياً بواحدة أو اثنتين.

(فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ) أي: قاربن انقضاء عدتهن.

(فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ)

أي: إما أن تراجعوهن، ونيتكم القيام بحقوقهن، أو تتركوهن بلا رجعة  
و لا إضرار، و لهذا قال:

(وَلَا تُسْكُوهُنَّ ضِرَارًا) أي: مضارة بهن

**(لِنَعْتَدُوْا)** في فعلكم هذا الحلال، إلى الحرام،

فالحلال: الإمساك بمعروف والحرام: المضارة،

\*\*\* كَانِ الرَّجُلُ يُطَلِّقُ الْمَرْأَةَ، فَإِذَا قَارَبَتْ انْقِضَاءَ الْعِدَّةِ رَاجَعَهَا ضِرَارًا،  
لَيْلًا تَذْهَبَ إِلَى غَيْرِهِ، ثُمَّ يُطَلِّقُهَا فَتَعْتَدُ،  
فَإِذَا شَارَفَتْ عَلَى انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ طَلَّقَ لِتَطْوَلَ عَلَيْهَا الْعِدَّةُ،  
فَنَهَاهُمْ اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ، وَتَوَعَّدَهُمْ عَلَيْهِ فَقَالَ:

**(وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ)**

\*\*\* أَي: مُخَالَفَتِهِ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى.

○ و لو كان الحق يعود للمخلوق فالضرر عائد إلى من أراد الضرر.

**(وَلَا تَنخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا)**

لما بين تعالى حدوده غاية التبيين، و كان المقصود، العلم بها و العمل،

و الوقوف معها، و عدم مجاوزتها،

لأنه تعالى لم ينزلها عبثًا، بل أنزلها بالحق و الصدق و الجد،

نهى عن اتخاذها هزوا، أي: لعبا بها،

و هو التجرؤ عليها، و عدم الامتثال لواجبها، مثل استعمال المضارة في:

1-الإمساك،

2- أو الفراق،

3- أو كثرة الطلاق،

4- أو جمع الثلاث،

و الله من رحمته جعل له واحدة بعد واحدة، رفقاً به و سعياً في مصلحته.

**(وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ)**

عموماً باللسان ثناء و حمداً،

و بالقلب اعترافاً و إقراراً،

و بالأركان بصرفها في طاعة الله،

**(وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ)**

1- أي: السنة اللذين بين لكم بهما طرق الخير و رغبتكم فيها،

و طرق الشر و حذركم إياها، و عرفكم نفسه و وقائعه في أوليائه و أعدائه،  
و علمكم ما لم تكونوا تعلمون.

2- و قيل: المراد بالحكمة أسرار الشريعة،

فالكتاب فيه، الحكم، و الحكمة فيها، بيان حكمة الله في أوامره و نواهيه

و كلا المعنيين صحيح، و لهذا قال

**(يَعِظُكُمْ بِهِ)**

أي: بما أنزل عليكم، و هذا مما يقوي أن المراد بالحكمة، أسرار الشريعة،

لأن الموعظة ببيان الحكم والحكمة، و الترغيب، أو التهيب،

فالحكم به، يزول الجهل،

و الحكمة مع الترغيب، يوجب الرغبة،

و الحكمة مع التهيب يوجب الرهبة.

(وَأَتَّقُوا اللَّهَ)

في جميع أموركم

(وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)

فلهذا بين لكم هذه الأحكام بغاية الإحكام و الإلتقان التي هي جارية مع المصالح في كل زمان و مكان، فله الحمد و المنة .

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضُوا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ كَرَمٌ أَزْكَى

لَكُمْ وَأَطْهَرٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

\*\*\*: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الرَّجُلِ يُطَلِّقُ امْرَأَتَهُ طَلْقَةً أَوْ طَلْقَتَيْنِ، فَتَنْقُضِي عِدَّتَهَا، ثُمَّ يَبْدُو لَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا وَأَنْ يِرْاجِعَهَا، وَتُرِيدُ الْمَرْأَةُ ذَلِكَ، فَيَمْنَعُهَا أَوْلِيَاوُهَا مِنْ ذَلِكَ، فَهِيَ اللَّهُ أَنْ يَمْنَعُوهَا. وَهَذَا الَّذِي قَالُوهُ ظَاهِرٌ مِنَ الْآيَةِ، وَفِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْمَرْأَةَ لَا تَمْلِكُ أَنْ تَزُوجَ نَفْسَهَا، وَأَنَّهُ لَا بُدَّ فِي تَزْوِيجِهَا مِنْ وَلِيٍّ، \*\*\*سنن أبي داود -

2085 - عَنْ أَبِي مُوسَى، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا ذِكْحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ»

\*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

\*صحيح البخاري

4529 - عَنْ الْحَسَنِ، «أَنَّ أُخْتَ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ طَلَّقَهَا زَوْجَهَا فَتَرَكَهَا حَتَّى انْقَضَتْ عِدَّتُهَا، فَخَطَبَهَا، فَأَبَى مَعْقِلٌ» فَنَزَلَتْ:



{ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ } [البقرة: 232] (□)

\*\*\*سنن أبي داود

2087 - حَدَّثَنِي مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ، قَالَ:

كَانَتْ لِي أُخْتُ تُحْطَبُ إِلَيَّ  
فَأْتَانِي ابْنُ عَمِّ لِي فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ، ثُمَّ طَلَّقَهَا طَلَاقًا لَهُ رَجْعَةٌ،  
ثُمَّ تَرَكَهَا حَتَّى أَنْقَضَتْ عِدَّتَهَا،  
فَلَمَّا حُطِبَتْ إِلَيَّ أَتَانِي يَخْطُبُهَا،  
فَقُلْتُ: «لَا، وَ اللَّهُ لَا أَنْكِحُهَا أَبَدًا»،  
قَالَ: فَفِي نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ

{ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ }

[البقرة: 232] الْآيَةُ،

قَالَ: «فَكَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِي فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ»

(وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ)

هذا خطاب لأولياء المرأة المطلقة دون الثلاث إذا خرجت من العدة،  
و أراد زوجها أن ينكحها، ورضيت بذلك، فلا يجوز لوليها، من أب و غيره أن  
يعضلها

(فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)

أي: يمنعها من التزوج به حنقا عليه؛ و غضبا؛ و اشمئزا لما فعل من الطلاق  
الأول.

(أخت لي) واسمها جميل بنت يسار و قيل فاطمة رضي الله عنها]

\* الميسر: فلا تضيقوا -أيها الأولياء- على المطلقات بمنعهن من العودة إلى أزواجهن بعقد جديد إذا أردن ذلك وحدث التراضي شرعاً و عرفاً.

(ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)

وذكر أن من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإيمانه يمنعه من العضل،

(ذَلِكَ أَرْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ)

فإن ذلك أركى لكم وأطهر و أطيب مما يظن الولي:-

1- أن عدم تزويجه هو الرأي و اللائق

2-و أنه يقابل بطلانه الأول بعدم التزويج له كما هو عادة المترفعين

المتكبرين.

فإن كان يظن أن المصلحة في عدم تزويجه،

(وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)

فامتثلوا أمر من هو عالم بمصالحكم، مرید لها، قادر عليها،

ميسر لها من الوجه الذي تعرفون وغيره.

و في هذه الآية:-

دليل على أنه لا بد من الولي في النكاح، لأنه نهى الأولياء عن العضل،

ولا ينهاهم إلا عن أمر، هو تحت تدبيرهم ولهم فيه حق.

ثم قال تعالى:

❖ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ  
 وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ  
 وَالِدَةٌ بَوْلِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ  
 تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ  
 عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٣﴾

### ( وَالْوَالِدَاتُ )

وَذَهَبَ أَكْثَرُ الْأُمَّةِ إِلَى أَنَّهُ لَا يُحْرَمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ إِلَّا مَا كَانَ دُونَ الْحَوْلَيْنِ،  
 فَلَوْ ارْتَضَعَ الْمَوْلُودُ وَعُمُرُهُ فَوْقَهُمَا لَمْ يُحْرَمُ.

\*\*\* سنن الترمذي ت شاكر

1152 - عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«لَا يُحْرَمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ إِلَّا مَا فَتَقَ الْأَمْعَاءَ فِي الثَّدْيِ، وَكَانَ قَبْلَ الْفِطَامِ»  
 \*\*\* وَمَعْنَى قَوْلِهِ: إِلَّا مَا كَانَ فِي الثَّدْيِ، أَي: فِي مَحَلِّ الرَّضَاعَةِ قَبْلَ الْحَوْلَيْنِ،

\*\*\* صحيح البخاري

5102 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا رَجُلٌ،  
 فَكَانَتْ تَغَيَّرُ وَجْهَهُ، كَأَنَّهُ كَرِهَ ذَلِكَ، فَقَالَتْ: إِنَّهُ أَخِي، فَقَالَ:

«انظُرْنِ مَنْ إِخْوَانُكُنَّ، فَإِنَّهُمَا الرَّضَاعَةُ مِنَ الْمَجَاعَةِ» (انظر فتوي بن باز)

-----  
 -هذا خبر بمعنى الأمر، تنزيلا له منزلة المتقرر، الذي لا يحتاج إلى أمر بأن

(رُضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ) .

ولما كان الحول، يطلق على الكامل، وعلى معظم الحول قال:

(كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ)

فإذا تم للرضيع حولان،

فقد تم رضاعه وصار اللبن بعد ذلك، بمنزلة سائر الأغذية، فلهذا كان الرضاع بعد الحولين، غير معتبر، لا يحرم.

و يؤخذ من هذا النص، و من قوله تعالى:

﴿وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ الأحقاف: ١٥

أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، و أنه يمكن وجود الولد بها.

(وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ)

أي: الأب

(رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)

وهذا شامل لما إذا كانت في حباله أو مطلقة،

فإن على الأب رزقها، أي: نفقتها وكسوتها، وهي الأجرة للرضاع.

ودل هذا، على أنها إذا كانت في حباله، لا يجب لها أجرة، غير النفقة

والكسوة، وكل بحسب حاله،

\*\*\*: وَعَلَى وَالِدِ الطُّفْلِ نَفَقَةُ الْوَالِدَاتِ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ،

أَي: مِمَّا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ أُمَّثَلِهِنَّ فِي بَلَدِهِنَّ مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا إِقْتَارٍ،

بِحَسَبِ قُدْرَتِهِ فِي يَسَارِهِ وَتَوَسُّطِهِ وَإِقْتَارِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:  
{لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ

اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا آتَاهَا سَيِّجَعُلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرِ يُسْرًا} [الطَّلَاق:7]

فلهذا قال:

(لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا أَوْسَعَهَا )

فلا يكلف الفقير أن ينفق نفقة الغني، ولا من لم يجد شيئا بالنفقة حتى يجد،

(لَا تُضَارُّ وَالِدَةٌ بِوَالِدِهَا )

أي: لا يحل أن تضار الوالدة بسبب ولدها،

1- إما أن تمنع من إرضاعه [كَمَا لَا يَحِلُّ لَهُ انْتِزَاعُهُ مِنْهَا لِمُجَرَّدِ الضَّرَارِ لَهَا]

2- أو لا تُعْطَى ما يجب لها من النفقة، و الكسوة أو الأجرة،

(وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ )

1- بأن تمتنع من إرضاعه على وجه المضارة له،

2- أو تطلب زيادة عن الواجب، ونحو ذلك من أنواع الضرر.

3-\*\*\*بأن تدفعه عنها لتضرَّ أباهُ بِتَرْبِيَّتِهِ،

وَلَكِنْ لَيْسَ لَهَا دَفْعُهُ إِذَا وَلَدَتْهُ حَتَّى تَسْقِيَهُ اللَّبْنَ الَّذِي لَا يَعِيشُ بِدُونِ

تَنَاوُلِهِ غَالِبًا، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا لَهَا رَفْعُهُ عَنْهَا إِذَا شَاءَتْ،

ودل قوله:

( مَوْلُودٌ لَهُ ) أن الولد لأبيه، لأنه موهوب له، و لأنه من كسبه،

فلذلك جاز له الأخذ من ماله، رضي أو لم يرض، بخلاف الأم.

وقوله: **(وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ)**

أي: على وارث الطفل إذا عُدِم الأب، و كان الطفل ليس له مال،  
مثل ما على الأب من النفقة للمرضع والكسوة،  
فدل على وجوب نفقة الأقارب المعسرين، على القريب الوارث الموسر،

**(فَإِنْ أَرَادَا)**

أي: الأبوان

**(فِصَالًا)**

أي: فطام الصبي قبل الحولين

(و ليس كما يتوهم بعضهم أن الفصال هو الطلاق و انه يشرع التشاور و  
التراضى على الطلاق وهذا خطأ و الصواب ما ذُكر)

**(عَنْ رَاضٍ مِّنْهُمَا)**

بأن يكونا راضيين

**(وَتَشَاوِرِ)**

فيما بينهما، هل هو مصلحة للصبي أم لا؟ فإن كان مصلحة و رضيا

**(فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا)**

في فطامه قبل الحولين،

\*الميسر: ليصلا إلى ما فيه مصلحة المولود.

فدلت الآية بمفهومها: -

على أنه إن رضي أحدهما دون الآخر، أو لم يكن مصلحة للطفل،  
أنه لا يجوز فطامه.

وقوله: **(وَلِإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ نَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ)**

أي: تطلبوا لهم المرضع غير أمهاتهم على غير وجه المضارة

**(فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا بَيْنَ يَدَيْكُمْ بِالْمَعْرُوفِ)**

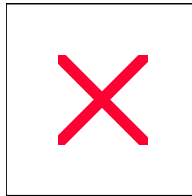
أي: للمرضعات،

\*الميسر: إذا سلم الوالد للأُم حقها،

و سلم للمرضعة أجرها بما يتعارفه الناس

**(وَأَنْقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)** فمجازيكم على ذلك بالخير والشر..

## عدد الرضعات المحرمة



لقد تزوجت من فتاة هي ابنة خالي، ولكنها رضعت مع أحد إخوتي الأصغر  
مني، ورضع معها أربع مرات رضعات مشبعت على فترات طويلة،

ولي منها أطفال خمسة، فما الحكم في هذا الرضاع، فهل تعتبر أختاً لي أم لا، وما الحكم لو كان أخي هو الذي رضع من أمها وهي لم ترضع من أمي؟

أما إن كانت رضعت من أمك خمس رضعات أو أكثر فحينئذ تكون أختاً لك والنكاح باطل، أما إن كان الرضاع أقل من خمس كأن كان أربعاً ولو مشبعات، أو ثلاثاً، أو أقل فإنه لا يعول على ذلك لما ثبت عن النبي - ﷺ - أنه قال : ( لسهلة بنت سهيل أرضعي سالم خمس رضعات تحرمي عليه)، وثبت في صحيح مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخت بخمس معلومات فتوفي النبي - ﷺ - والأمر على ذلك)،

أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، والترمذي - رحمه الله تعالى - في جامعه وهذا لفظه، ولا بد أن يكون الرضاع في الحولين أيضاً، وكان رضاع بعد الحولين فلا تعول عليه لقول النبي - ﷺ -: ( لا رضاع إلا في الحولين ) ( لا رضاع إلا ما أنشأ العظم وأنبت اللحم وكان قبل الفطام)، فإذا رضعت من أمك خمس رضعات أو أكثر وشهد بهذا ثقة من الرجال أو النساء، أو أمك إذا كانت ثقة، فإن النكاح يكون غير صحيح،

وعليك اعتزالها والولد منها لاحق بك؛ لأنك لم تتعمد الباطل لم تتعمد الباطل فالولد لا حق بك يعني ولدها من ذكر أو أنثى لا حق بك؛ لأنه نكاح شبهة لم تعلموا جميعاً أنها رضیعة فالعذر قائم،

أما رضاع أخيك من أمها فلا يضرک لیس له نكاح إحدى بناتها؛ لأنه صار أختاً لبناتها، وأما أنت فلا إذا كانت أرضعته خمس رضعات أو أكثر في الحولين فيكون أختاً لأولادها ويحرم عليه أن يتزوج من بناتها،

أما أنت فأجنبي إلا أن ترضع من أمك، أو ترضع أنت من أمها رضاعاً شرعياً يبلغ خمس رضعات فأكثر في الحولين .



## فوائد الرضاعة الطبيعية

<http://kaheel7.com/pdetails.php?id=776&ft=36>

ما هي فوائد الرضاعة الطبيعية للطفل من صدر الأم؟  
لقد جاء البيان الإلهي ليؤكد على أهمية الرضاعة الطبيعية، يقول الله تعالى

(والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة)

[البقرة: 233]. وقد أكد الرسول الكريم على هذا الأمر لدرجة أنه قال:

(يحرم من الرضاع ما يحرم من النَّسَب).

ويأتي العلم الحديث في آلاف الأبحاث والمقالات العلمية ليؤكد على أهمية حليب الأم بالنسبة للأطفال والآثار الخطيرة التي تنتج من استبداله بالحليب الاصطناعي.

1- يحتوي حليب الأم على مضاد حيوي طبيعي يقي الطفل من كثير من الأمراض ويقوي الجهاز المناعي لديه ضد كافة أشكال المرض ( )

2- كما يحتوي حليب الأم على مواد مضادة للبكتيريا والسموم والجراثيم تساعد الطفل على مقاومة حالات التسمم.

وتؤكد الدراسات (مثل Iowa Extension Service) أن ملعقة واحدة من

حليب الأم تحوي مضادات حيوية تقتل 3 ملايين جرثومة!!

ولذلك حتى لو تناول الطفل ملعقة واحدة من حليب أمه فسوف تكون ذات فائدة كبيرة.

3- وبينت بعض الدراسات أن نسبة العوامل التي تزيد من قدرة جهاز المناعة لدى الطفل تزداد في حليب أمه كلما كُبر وأصبح أكثر عرضة للجراثيم ( )

وانظروا معي كيف أن الله تعالى زود حليب الأم بهذه العوامل المناعية وكيف تزداد كميتها مع حاجة الطفل لها، هل هذا من صنع الطبيعة؟

4- يتميز حليب الأم بأنه معقم وجاهز للاستعمال وليس بحاجة للتعقيم أو التحضير وحتى درجة حرارته مناسبة للطفل (ليس بحاجة للتسخين).

5- كما أن حليب الأم لا يسبب حساسية للرضيع ويحميه من كثير من الأمراض الخطيرة مثل البول السكري وتصلب الشرايين وبعض أنواع السرطان، والكساح والسمنة وأمراض الكلى وأمراض عديدة.

6- هنالك أمر مهم يتميز به حليب الأم لا توجد هذه الميزة في أي نوع آخر من أنواع الحليب وهو أنه يتطور مع نمو الطفل ويتناسب مع نمو جسمه. يعكس الحليب الصناعي الثابت التركيب و الذي نحتاج معه لتغيير نوعه كل عدة أشهر مع تطور عمر الطفل.

7- بالنسبة للطفل المولود حديثاً يعتبر حليب الأم من أسهل الأغذية هضماً لاحتوائه على خمائر هاضمة.

8- كما أن الإرضاع الطبيعي يعود بالفائدة على الأم ووقايتها من سرطان الثدي.

9- كما أن الرضعات الأولى بالنسبة للطفل الحديث الولادة تحتوي على تركيز عالٍ من البروتينات المضادة لنمو البكتريا وإعطائه كميات كبيرة من الأجسام المضادة للأمراض وهو في هذه الحال بأمس الحاجة إليها.

- 10- إن الإرضاع الطبيعي للطفل ينعكس إيجابياً على استقرار حالته النفسية وبقية من كثير من الاضطرابات النفسية والسبب في ذلك هو أن حليب الأم هو الغذاء المثالي لأجهزة جسم الطفل وحسن أدائها واستقرارها.
- 11- كما أن حليب الأم يساعد الطفل على تنميه ذكائه ويؤثر على سلوك الطفل إيجابياً و حسن بناء جسده وعقله.

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا  
 بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ  
 خَبِيرٌ ﴿٣٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي  
 أَنْفُسِكُمْ ۖ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا  
 قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ۗ وَعَلِمُوا  
 أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۗ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٣٣٥﴾ لَا جُنَاحَ  
 عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ۖ وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَىٰ الْمَوْسِعِ  
 قَدْرَهُ وَعَلَىٰ الْمُقْتَرِ قَدْرَهُ ۖ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَىٰ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٣٦﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ  
 قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۖ فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ  
 أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ۗ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۗ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ  
 بَيْنَكُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٣٧﴾

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا  
 بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ  
 وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣٣٤﴾

\*\*\* هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ لِلنِّسَاءِ اللَّاتِي يُتَوَفَّى عَنْهُنَّ أَرْوَاجُهُنَّ -  
 أَنْ يَعْتَدْنَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرَ لَيَالٍ  
 وَهَذَا الْحُكْمُ يَشْمَلُ الزَّوْجَاتِ الْمَدْخُولِ بِهِنَّ وَعَيْرَ الْمَدْخُولِ بِهِنَّ بِالْإِجْمَاعِ،  
 وَمُسْتَنَدُهُ فِي غَيْرِ الْمَدْخُولِ بِهَا عُمُومُ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ،  
 \*\*\*مسند أحمد مخرجا

4099 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، قَالَ: أَتَى عَبْدُ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ،  
 فَسُئِلَ عَنْ رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً، وَلَمْ يَكُنْ سَمَى لَهَا صَدَاقًا،  
 فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا، فَلَمْ يَقُلْ فِيهَا شَيْئًا، فَرَجَعُوا، ثُمَّ أَتَوْهُ فَسَأَلُوهُ؟  
 فَقَالَ: سَأْفُولُ فِيهَا بِجَهْدِ رَأْيِي، فَإِنْ أَصَبْتُ، فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُوفِّقُنِي لِدَلِكِ،  
 وَإِنْ أَخْطَأْتُ، فَهُوَ مِنِّي: «لَهَا صَدَاقٌ نِسَائِهَا، وَلَهَا الْمِيرَاثُ، وَعَلَيْهَا الْعِدَّةُ»،  
 فَقَامَ رَجُلٌ، مِنْ أَشْجَعٍ، فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَضَى بِدَلِكِ،  
 قَالَ: هَلَمْ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ بِدَلِكِ؟ فَشَهِدَ أَبُو الْجَرَّاحِ، بِدَلِكِ

\*\*\* وَلَا يَخْرُجُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا الْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجَهَا، وَهِيَ حَامِلٌ،  
 فَإِنَّ عِدَّتَهَا بِوَضْعِ الْحَمَلِ، وَلَوْ لَمْ تَمُكِّثْ بَعْدَهُ سِوَى لِحْظَةٍ؛ لِعُمُومِ قَوْلِهِ:  
 { وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ } [الطَّلَاق: 4].

وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَرَى: أَنْ عَلَيْهَا أَنْ تَتَرَبَّصَ بِأَبْعَدِ الْأَجَلَيْنِ مِنَ الْوَضْعِ،  
 أَوْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرَ، لِلْجَمْعِ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ، وَهَذَا مَا خُذَ جَيِّدٌ وَمَسْلُكٌ قَوِيٌّ،  
 لَوْلَا مَا ثَبَّتَتْ بِهِ السُّنَّةُ فِي حَدِيثِ سُبَيْعَةَ الْأَسْلَمِيَّةِ، الْمُخْرَجِ فِي الصَّحِيحَيْنِ  
 مِنْ غَيْرِ وَجْهِ  
 \*\*\*صحيح البخاري

3991 - عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ،  
 أَنَّ أَبَاهُ كَتَبَ إِلَى عَمْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَرْقَمِ الزُّهْرِيِّ:

يَأْمُرُهُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى سُبَيْعَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ الْأَسْلَمِيَّةِ،  
فَيَسْأَلَهَا عَنْ حَدِيثِهَا، وَعَنْ مَا قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ اسْتَفْتَتْهُ.  
فَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَرْقَمِ، إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتْبَةَ،  
يُخْبِرُهُ أَنَّ سُبَيْعَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ أَخْبَرَتْهُ:  
أَنَّهَا كَانَتْ تَحْتَ سَعْدِ ابْنِ خَوْلَةَ، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ،  
وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا، فَتَوَفِّيَ عَنْهَا فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَهِيَ حَامِلٌ،  
فَلَمْ تَنْشُبْ أَنْ وَضَعَتْ حَمْلَهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ،  
فَلَمَّا تَعَلَّتْ مِنْ نَفَاسِهَا، تَجَمَّلَتْ لِلْخُطَّابِ،  
فَدَخَلَ عَلَيْهَا أَبُو السَّنَابِلِ بْنُ بَعْكُكٍ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ،  
فَقَالَ لَهَا: مَا لِي أَرَاكَ تَجَمَّلْتِ لِلْخُطَّابِ، تُرَجِّينَ النِّكَاحَ؟  
فَأَنَّكَ وَاللَّهِ مَا أَنْتِ بِنَاكِحٍ حَتَّى تَهْرَأَ عَلَيْكَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٌ،  
قَالَتْ سُبَيْعَةُ: فَلَمَّا قَالَ لِي ذَلِكَ جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي حِينَ أُمْسَيْتُ،  
وَ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ  
«فَأَفْتَانِي بِأَنِّي قَدْ حَلَلْتُ حِينَ وَضَعْتُ حَمْلِي، وَأَمَرَنِي بِالتَّزْوُجِ إِنْ بَدَأَ لِي» ( )

(استفتته) في انقضاء عدة الحامل بالوضع.

(تحت سعد) زوجة له.

(تنشبت) تلبثت.

(تعلت) ظهرت من دمها وخرجت من نفاسها.

(تجملت للخطاب) تعرضت لمن يخطبها أو تزينت كما تتزين المرأة وأصبحت متهيئة لأن يخطبها الخطاب.

(فدخل عليها) وكان ذلك الدخول لا خلوة فيه وخاليا عن مخالفة آداب المرأة المسلمة مع الحجاب الكامل الذي ألفه المسلمون.

وكان انكاره لما اعتادوه من عدم ظهور المعتدة كليا وكان ظنه أنها مازالت في العدة.

(ترجين) من الترجية وهي الأمل وضد اليأس.

(بناكح) ليس من شأنك النكاح.

(وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا)

أي: إذا توفي الزوج، مكثت زوجته،

(يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا<sup>ط</sup>)

متربصة أربعة أشهر وعشرة أيام وجوبا،

والحكمة في ذلك، ليتبين الحمل في مدة الأربعة،

ويتحرك في ابتدائه في الشهر الخامس،

وهذا العام مخصوص بالحوامل، فإن عدتهن بوضع الحمل،

وكذلك الأمة، عدتها على النصف من عدة الحرة، شهران و خمسة أيام.

وقوله: (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ<sup>ط</sup>)

أي: انقضت عدتهن

(فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ<sup>ط</sup>)

أي: من مراجعتها للزينة والطيب،

(وَالْمَعْرُوفِ<sup>ط</sup>)

أي: على وجه غير محرم ولا مكروه.

وفي هذا وجوب الإحداد مدة العدة، على المتوفى عنها زوجها،

دون غيرها من المطلقات والمفارقات، وهو مجمع عليه بين العلماء.

[أمرني] أذن لي

\*\*\* صحيح البخاري

5334 عَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ، أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ الثَّلَاثَةَ:

قَالَتْ زَيْنَبُ: دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ حَبِيبَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ

حِينَ تُوِّفِي أَبُوهَا أَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ،

فَدَعَتْ أُمَّ حَبِيبَةَ بِطَبِيبٍ فِيهِ صُفْرَةٌ، خَلَقُ أَوْ عَيْرُهُ،

فَدَهَنْتُ مِنْهُ جَارِيَةً ثُمَّ مَسَّتْ بِعَارِضِيهَا،

ثُمَّ قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا لِي بِالطَّبِيبِ مِنْ حَاجَةٍ غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

«لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُوْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ،

إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا»

\*\*\* صحيح البخاري

5338 - عَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، عَنْ أُمِّهَا، أَنَّ امْرَأَةً تُوِّفِي زَوْجَهَا،

فَخَشُوا عَلَى عَيْنَيْهَا، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنُوهُ فِي الْكُحْلِ،

فَقَالَ: «لَا تَكْحَلْ، قَدْ كَانَتْ إِحْدَاكُنَّ مَمْكُتٌ فِي شَرِّ أَحْلَاسِهَا ( أَوْ شَرِّ بَيْتِهَا،

فَإِذَا كَانَ حَوْلٌ فَمَرَّ كَلْبٌ رَمَتْ بِبَعْرَةٍ، فَلَا حَتَّى تَمُضِيَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا»،

\*\*\* وَمِنْ هَاهُنَا ذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَاسِخَةٌ لِلآيَةِ الَّتِي

بَعْدَهَا، وَهِيَ قَوْلُهُ:

{وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لَأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ

{إِخْرَاجِ} [الْبَقْرَةِ: 240] ،

وَالْغَرَضُ أَنَّ الْأَحْدَادَ:-



هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ تَرْكِ الزَّيْنَةِ مِنَ الطَّيِّبِ، وَلُبْسِ مَا يَدْعُوهَا إِلَى الْأَزْوَاجِ مِنْ  
ثِيَابٍ وَحُلِيِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ  
- وَهُوَ وَاجِبٌ فِي عِدَّةِ الْوَفَاةِ قَوْلًا وَاحِدًا،  
- وَلَا يَجِبُ فِي عِدَّةِ الرَّجْعِيَّةِ قَوْلًا وَاحِدًا،  
☆ وَهَلْ يَجِبُ فِي عِدَّةِ الْبَائِنِ؟ فِيهِ قَوْلَانِ.

وَيَجِبُ الْإِحْدَادُ عَلَى جَمِيعِ الزَّوْجَاتِ الْمُتَوَفَّى عَنْهُنَّ أَزْوَاجُهُنَّ، سِوَاهُ فِي ذَلِكَ:-  
الصَّغِيرَةُ وَالْأَيْسَةُ وَالْحُرَّةُ وَالْأَمَةُ، وَالْمُسْلِمَةُ وَالْكَافِرَةُ، لِعُمُومِ الْآيَةِ.

**(وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)**

أي: عالم بأعمالكم، ظاهرها وباطنها، جليلها وخفيها، فمجازيكم عليها.

وفي خطابه للأولياء بقوله: ( **فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَا فِي أَنْفُسِنَا** )

دليل على أن الولي ينظر على المرأة،

ويمنعها مما لا يجوز فعله ويجبرها على ما يجب،

وأنه مخاطب بذلك، واجب عليه.

**وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ**

**عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا**

**مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ**

**يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ** ﴿١٣٥﴾

**( وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ )**

\*\*\* عن ابن عباس:- التَّعْرِيفُ أَنْ تَقُولَ: إِنِّي أُرِيدُ التَّزْوِيجَ،

وَإِنِّي أَحَبُّ امْرَأَةً مِنْ أَمْرَهَا وَمِنْ أَمْرَهَا - يُعْرَضُ لَهَا بِالْقَوْلِ بِالْمَعْرُوفِ -  
وَفِي رِوَايَةٍ: وَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ رَزَقَنِي امْرَأَةً وَنَحْوَ هَذَا.  
هذا حكم المعتدة من وفاة، أو المبانة في الحياة،  
فيحرم على غير مبينها أن يصرح لها في الخطبة،

وهو المراد بقوله: **(وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا)**

\*\*\*يعني الزنا- لَا تَقُلْ لَهَا: إِنِّي عَاشِقٌ، وَعَاهِدِينِي أَلَّا تَتَزَوَّجِي غَيْرِي، وَنَحْوَ هَذَا  
-وأما التعريض، فقد أسقط تعالى فيه الجناح.

والفرق بينهما: أن التصريح، لا يحتمل غير النكاح، فلهذا حُرْم،  
خوفا من استعجالها، وكذبها في انقضاء عدتها، رغبة في النكاح،  
❖ ففيه دلالة على: - منع وسائل المحرم،

وقضاء لحق زوجها الأول، بعدم مواعدها لغيره مدة عدتها.

وأما التعريض، وهو الذي يحتمل النكاح وغيره،

فهو جائز للبائن كأن يقول لها: إني أريد التزوج،

وإني أحب أن تشاوريني عند انقضاء عدتك، ونحو ذلك،

فهذا جائز لأنه ليس بمنزلة الصريح، وفي النفوس داع قوي إليه.

وكذلك إضمار الإنسان في نفسه أن يتزوج من هي في عدتها، إذا انقضت،

**(إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا)**

\*\*\*ما تقدم من اباحة التعريض كقوله إني فيك لراغب و نحو ذلك

ولهذا قال: **(أَوْ أَكَنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنَّكُمْ سَتَذَكَّرُونَهُنَّ)**

هذا التفصيل كله في مقدمات العقد.

\*\*\* أَضْمَرْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ خَطْبَتَهُنَّ وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى:

{وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ} [الْقِصَصِ: 69]

وَ هَوَالِهِ: {وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ} [المتحنة: 1]

وَ لِهَذَا قَالَ: {عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ}

أَي: فِي أَنْفُسِكُمْ، فَرَفَعَ الْحَرَجَ عَنْكُمْ فِي ذَلِكَ،

—وأما عقد النكاح فلا يحل

**(وَلَا تَعَزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ)**

أي: تنقضي العدة.

\*\*\* وقد اجمع العلماء علي انه لا يصح العقد في مدة العدة

**(وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ)**

\*\*\* تَوَعَّدَهُمْ عَلَى مَا يَقَعُ فِي ضَمَائِرِهِمْ مِنْ أُمُورِ النِّسَاءِ،

وَ أَرَشَدَهُمْ إِلَى إِضْمَارِ الْخَيْرِ دُونَ الشَّرِّ،

ثُمَّ لَمْ يُؤَيِّسْهُمْ مِنْ رَحِمَتِهِ، وَ لَمْ يُقْنِطْهُمْ مِنْ عَائِدَتِهِ،

فَقَالَ: {وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ}.

أي: فانووا الخير، و لا تنووا الشر، خوفا من عقابه و رجاء لشوابه.

**(وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ)**

لمن صدرت منه الذنوب، فتاب منها، و رجع إلى ربه

(حَلِيمٌ)

حيث لم يعاجل العاصين على معاصيهم، مع قدرته عليهم.

لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى

الْمَتَّعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرَهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٣﴾

أي: ليس عليكم يا معشر الأزواج جناح وإثم، بتطبيق النساء قبل الميسس،  
وفرض المهر،

وإن كان في ذلك كسر لها، فإنه يجبر بالمتعة،

فعلosكم أن تمتعوهن بأن تعطوهن شيئاً من المال، جبراً لخواطرهن.

(عَلَى الْمَتَّعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ)

أي: المعسر

(قَدْرَهُ)

وهذا يرجع إلى العرف، وأنه يختلف باختلاف الأحوال ولهذا قال:

(مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا)

فهذا حق واجب

(عَلَى الْمُحْسِنِينَ)

ليس لهم أن يبخسوهن.

فكما تسبوا لتشوفهن واشتياقهن، وتعلق قلوبهن، ثم لم يعطوهن ما رغبن فيه،

فعلیهم فی مقابلة ذلك المتعة.

فله ما أحسن هذا الحكم الإلهي، وأدله على حكمة شارعہ ورحمته

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المائدة: ٥٠

فهذا حكم المطلقات قبل المسيس وقبل فرض المهر.  
ثم ذكر حكم المفروض لهن فقال:

وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ  
إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى  
وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٧﴾

(وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ)  
أي: إذا طلقتم النساء قبل المسيس،

(وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ) (إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ)

وبعد فرض المهر، فللمطلقات من المهر المفروض نصفه، ولكم نصفه.  
هذا هو الواجب ما لم يدخله عفو ومسامحة، بأن تعفو عن نصفها لزوجها،  
إذا كان يصح عفوها،

(أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ)

\*الميسر: أو يسمح الزوج بأن يترك للمطلقة المهر كله،

-وهو الزوج على الصحيح لأنه الذي بيده حل عقده؛  
و لأن الولي لا يصح أن يعفو عن ما وجب للمرأة، لكونه غير مالك ولا وكيل.  
**(وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۗ)**

ثم رغب في العفو، وأن من عفا، كان أقرب لتقواه  
لكونه إحسانا موجبا لشرح الصدر،

ولكون الإنسان لا ينبغي أن يهمل نفسه من الإحسان والمعروف،  
وينسى الفضل الذي هو أعلى درجات المعاملة،  
لأن معاملة الناس فيما بينهم على درجتين:-

- 1- إما عدل وإنصاف واجب، وهو: أخذ الواجب، وإعطاء الواجب.
- 2- وإما فضل وإحسان، وهو إعطاء ما ليس بواجب والتسامح في الحقوق،  
والغض مما في النفس، فلا ينبغي للإنسان أن ينسى هذه الدرجة،  
ولو في بعض الأوقات، وخصوصا لمن بينك وبينه معاملة، أو مخالطة،  
فإن الله مجاز المحسنين بالفضل والكرم، ولهذا قال:

**(إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)**

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾

فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ

تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَقَّاتُ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً

لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي

مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَاللَّمْطَلَقَاتِ

مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ \* أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ

حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ

اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَمْضَاعًا

كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾

فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم

مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣٩﴾

**(حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ)**

\* جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

مسند أحمد مخرجا

21595 - عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ:

" كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي الظُّهْرَ بِالنَّهْجَةِ،  
وَلَمْ يَكُنْ يُصَلِّي صَلَاةً أَشَدَّ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْهَا،

قَالَ: فَنَزَلَتْ: { حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ }

[البقرة 238] ، قَالَ: «إِنَّ قَبْلَهَا صَلَاتَيْنِ، وَبَعْدَهَا صَلَاتَيْنِ» (□)

\*\*\* صحيح البخاري

527 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ:

أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا»

قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ»

قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»

قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ، وَلَوْ اسْتَزِدَّتْهُ لَزَادَنِي ( )

1 قال الحافظ في الفتح ج 9 ص 262 ورواه أحمد من وجه آخر وزاد "كان النبي ﷺ يصلي

الظهر بالهجير فلا يكون وراءه إلا الصف أو الصفان والناس في قائلتهم وفي تجارتهم فنزلت " ا.

هـ

(عبد الله) هو ابن مسعود رضي الله عنه.



\*\*\* صحيح مسلم

627 عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحْزَابِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَلَأَ اللَّهُ قُبُورَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ نَارًا، كَمَا حَبَسُونَا، وَشَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى، حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ»

\*\*\* صحيح مسلم

626 عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الَّذِي تَفُوتُهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ، كَأَمَّا وَتَرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ» ( )

\*\*\* صحيح البخاري

553 - عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ بُرَيْدَةَ فِي عَزْوَةٍ فِي يَوْمِ ذِي غَيْمٍ، فَقَالَ: بَكَّرُوا بِصَلَاةِ الْعَصْرِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبَطَ عَمَلُهُ»

-يأمر بالمحافظة على الصلوات عموماً وعلى الصلاة الوسطى، وهي العصر خصوصاً،

(على وقتها) في أول وقتها.

(بر الوالدين) الإحسان إليهما والقيام بخدمتهما وترك الإساءة إليهما]

[ ش (وتر أهله وماله) روى بنصب اللامين ورفعهما والنصب هو الصحيح المشهور الذي عليه الجمهور على أنه مفعول ثان ومن رفع فعلى ما لم يسم فاعله ومعناه انتزع منه أهله وماله وهذا تفسير مالك بن أنس وأما على رواية النصب فقال الخطابي وغيره معناه نقص هو أهله وماله وسلبه فبقي بلا أهل ولا مال فليحذر من تفويتها كما يحذر من ذهاب أهله وماله وقال أبو عمر بن عبد البر معناه عند أهل اللغة والفقهاء أنه كالذي يصاب بأهله وماله إصابة يطلب بها وترا

والوتر الجنابة التي يطلب ثأرها فيجتمع عليه غمان غم المصيبة وغم مقاساة طلب الثأر]

-والمحافظة عليها أداؤها بوقتها وشروطها وأركانها وخشوعها  
وجميع ما لها من [واجب و مستحب]،

-وبالمحافظة على الصلوات تحصل المحافظة على سائر العبادات،  
وتفيد النهي عن الفحشاء والمنكر خصوصًا إذا أكملها كما أمر بقوله

**(وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ)**

\*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

10869 - وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} [البقرة:238]

[البقرة:238]

قَالَ: كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ فِي الصَّلَاةِ، يَجِيءُ خَادِمُ الرَّجُلِ إِلَيْهِ  
وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ فَيُكَلِّمُهُ بِحَاجَتِهِ، فَنُهِوا عَنِ الْكَلَامِ.

صحيح البخاري

4534-عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ، قَالَ:

«كُنَّا نَتَكَلَّمُ فِي الصَّلَاةِ يُكَلِّمُ أَحَدُنَا أَخَاهُ فِي حَاجَتِهِ»  
حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ:

{ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ } [البقرة:238]

«فَأْمَرْنَا بِالسُّكُوتِ» (□)

تنبيه:

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره ج 1 ص 294: قد أشكل هذا الحديث على جماعة من العلماء  
حيث ثبت عندهم أن تحريم الكلام في الصلاة كان بمكة قبل الهجرة إلى المدينة وبعد الهجرة إلى أرض

أي: ذليلين خاشعين، ففيه الأمر بالقيام والقنوت والنهي عن الكلام،  
والأمر بالخشوع، هذا مع الأمن والطمأنينة.

(فَإِنْ خِفْتُمْ)

لم يذكر ما يخاف منه ليشمل الخوف من كافر وظالم وسبع  
وغير ذلك من أنواع المخاوف، أي: إن خفتم بصلاتكم على تلك الصفة

فصلوها (وَرَجَاءًا)

أي: ماشين على أقدامكم،

(أَوْ رُكْبَانًا)

على الخيل و الإبل وغيرها،

يلزم على ذلك أن يكونوا مستقبلي القبلة و غير مستقبليها،

---

الحبشة كما دل على ذلك حديث ابن مسعود الذي في الصحيح قال: كنا نسلم على النبي ﷺ قبل أن نهاجر إلى الحبشة وهو في الصلاة فيرد علينا قال: فلما قدمنا فسلمت عليه فلم يرد علي فأخذني ما قرب وما بعد فلما سلم قال: "إني لم أرد عليك إلا أني كنت في الصلاة وإن الله يحدث من أمره ما يشاء وإن مما أحدث ألا تتكلموا في الصلاة".

وقد كان ابن مسعود ممن أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة ثم قدم منها إلى مكة مع من قدم فهاجر إلى المدينة وهذه الآية {وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} مدنية بلا خلاف. فقال قائلون إنما أراد زيد بن أرقم بقوله - كان الرجل يكلم أخاه في حاجته في الصلاة- الإخبار عن جنس الكلام واستدل على تحريم ذلك بهذه الآية بحسب ما فهمه منها، والله أعلم. وقال قوم إنما أراد أن ذلك قد وقع بالمدينة بعد الهجرة إليها ويكون ذلك قد أبيض مرتين وحرمتين - كما اختار ذلك قوم من أصحابنا وغيرهم والأول أظهر والله أعلم.

الأقوى الذي يظهر لي والله أعلم أن الكلام حرم بمكة بالسنة المطهرة كما في حديث ابن مسعود فلما قدم ﷺ المدينة صار بعضهم ممن لم يبلغه التحريم يتكلم في الصلاة كما حصل من معاوية بن الحكم السلمي فنزلت الآية. والله أعلم؛ وإن كنت تريد المزيد في البحث فعليك بنيل الأوطار ج2 ص329 وص330 وفتح الباري وقد نقلت كلام الحافظ في الفتح في رياض الجنة.

و في هذا زيادة التأكيد على المحافظة على وقتها  
- حيث أمر بذلك ولو مع الإخلال بكثير من الأركان والشروط،  
وأنه لا يجوز تأخيرها عن وقتها ولو في هذه الحالة الشديدة،  
فصلاتها على تلك الصورة أحسن و أفضل بل أوجب من صلاتها مطمئنا خارج  
الوقت

**(فَإِذَا أَمِنْتُمْ)**

أي: زال الخوف عنكم

**(فَاذْكُرُوا اللَّهَ)**

و هذا يشمل جميع أنواع الذكر ومنه الصلاة على كمالها و تمامها

**(كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ)**

فإنها نعمة عظيمة ومنة جسيمة، تقتضي مقابلتها بالذكر و الشكر ليبقي نعمته  
عليكم و يزيدكم عليها.

**فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ**

**مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ**

\*\*\* صحيح البخاري 4535

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ صَلَاةِ الْخَوْفِ  
قَالَ: «يَتَقَدَّمُ الْإِمَامُ وَطَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ،  
فَيُصَلِّي بِهِمُ الْإِمَامُ رَكَعَةً،  
وَتَكُونُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْعَدُوِّ لَمْ يُصَلُّوا،

فَإِذَا صَلَّى الَّذِينَ مَعَهُ رَكْعَةً، اسْتَأْخَرُوا مَكَانَ الَّذِينَ لَمْ يُصَلُّوا، وَ لَا يُسَلِّمُونَ،  
 وَ يَتَقَدَّمُ الَّذِينَ لَمْ يُصَلُّوا فَيُصَلُّونَ مَعَهُ رَكْعَةً،  
 ثُمَّ يَنْصَرِفُ الْإِمَامُ وَقَدْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ،  
 فَيَقُومُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ  
 فَيُصَلُّونَ لِأَنْفُسِهِمْ رَكْعَةً بَعْدَ أَنْ يَنْصَرِفَ الْإِمَامُ،  
 فَيَكُونُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ قَدْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ،  
 فَإِنْ كَانَ خَوْفٌ هُوَ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ،  
 صَلُّوا رَجَالًا قِيَامًا عَلَى أَقْدَامِهِمْ أَوْ رُكْبَانًا،  
 مُسْتَقْبِلِي الْقِبْلَةِ أَوْ غَيْرَ مُسْتَقْبِلِيهَا»

قَالَ مَالِكٌ: قَالَ نَافِعٌ: لَا أُرَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ ذَكَرَ ذَلِكَ إِلَّا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

\*\*\* صحيح مسلم

839- وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ:

«فَإِذَا كَانَ خَوْفٌ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَصَلِّ رَاكِبًا، أَوْ قَائِمًا تَوْمِيَّ إِيمَاءً»

\*\*\* صحيح مسلم

687 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «فَرَضَ اللَّهُ الصَّلَاةَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ ﷺ  
 فِي الْحَضَرِ أَرْبَعًا، وَ فِي السَّفَرِ رَكْعَتَيْنِ، وَ فِي الْخَوْفِ رَكْعَةً»  
 ثم قال تعالى:-

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ  
 غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ

مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾

أي: الأزواج الذين يموتون و يتركون خلفهم أزواجا فعليهم أن يوصوا

**(وَصِيَّةٌ لِأَزْوَاجِهِمْ مَتْنَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ)**

أي: يوصون أن يلزم من بيوتهم مدة سنة لا يخرج منها

**(فَإِنْ خَرَجْنَ)**

من أنفسهن

**(فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ)**

أيها الأولياء

**(فِي مَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)**

أي: من مراجعة الزينة و الطيب و نحو ذلك و أكثر المفسرين أن هذه الآية منسوخة بما قبلها و هي قوله:

**﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۗ ﴾**

البقرة: ٢٣٤

و قيل لم تنسخها بل الآية الأولى دلت على أن أربعة أشهر و عشر واجبة،  
و ما زاد على ذلك فهي مستحبة ينبغي فعلها تكميلا لحق الزوج،  
و مراعاة للزوجة،

والدليل على أن ذلك مستحب أنه هنا نفى الجناح عن الأولياء إن خرجن قبل  
تكميل الحول،

فلو كان لزوم المسكن واجبا لم ينف الحرج عنهم.

\*\*\* صحيح البخاري

4530 - ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: ابْنُ الزُّبَيْرِ قُلْتُ: لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ

{وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا} [البقرة: 234]

قَالَ: قَدْ نَسَخْتَهَا الْآيَةُ الْأُخْرَى، فَلِمَ تَكْتُبُهَا؟ أَوْ تَدْعُهَا؟

قَالَ: «يَا ابْنَ أَخِي لَا أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْهُ مِنْ مَكَانِهِ» ( )

{وَصِيَّةٌ لِأَزْوَاجِهِمْ}

\*\*\* يُوَصِّيكُمْ اللَّهُ بِهِنَّ وَصِيَّةً كَقَوْلِهِ: {يُوَصِّيكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ}

[النِّسَاء: 11] وقوله {وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ} [النِّسَاء: 12]

وَقِيلَ: إِمَّا أَنْتَصَبَ عَلَى مَعْنَى: فَلْتُوصُوا بِهِنَّ وَصِيَّةً.

وَلَا يُمْتَنَعَنَّ مِنْ ذَلِكَ لِقَوْلِهِ: {غَيْرِ إِخْرَاجٍ}

فَأَمَّا إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهُنَّ بِالْأَرْبَعَةِ الْأَشْهُرِ وَالْعَشْرِ أَوْ بِوَضْعِ الْحَمْلِ،  
وَاخْتَرْنَ الْخُرُوجَ وَالْإِنْتِقَالَ مِنْ ذَلِكَ الْمَنْزِلِ فَإِنَّهُنَّ لَا يُمْتَنَعَنَّ مِنْ ذَلِكَ لِقَوْلِهِ

{فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ}

وَالْمُطَلَّقَاتِ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ



ش (والذين يتوفون.. ) ومراده التي تتمتها

(نسختها) رفعت العمل بحكمها.

(الآية الأخرى) وهي التي فيها {يتربصن بأفسهن أربعة أشهر وعشرا}. [البقرة 234

(تدعها) تركها مكتوبة وكان ابن الزبير رضي الله عنهما يظن أن ما نسخ حكمه من القرآن لا يكتب لفظه.

(لا أغير شيئا منه) أي مما كتب في القرآن.

(من مكانه) الذي كتب فيه على عهد رسول الله ﷺ.

(وصية) أي أوصوا لهن قبل الوفاة.

(متاعا) نفقة سنة من طعام وكسوة وما تحتاج إليه.

(غير إخراج) غير مخرجات من بيوتهن.

(فإن خرجن) أي باختيارهن وقد كانت مخيرة أن تمكث حتى الحول في بيت زوجها ولها النفقة والسكنى وإن شاءت خرجت

واعتمدت حيث أحببت ولا نفقة لها ولا سكنى]

كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٤﴾

(وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ)

أي: لكل مطلقة متاع بالمعروف حقا على كل متق، جبرا لخاطرها وأداء لبعض حقوقها،

وهذه المتعة واجبة على من طلقت قبل المسيس،

و الفرض سنة في حق غيرها كما تقدم، [هذا أحسن ما قيل فيها]

- و قيل إن المتعة واجبة على كل مطلقة احتجاجا بعموم هذه الآية،

و لكن القاعدة أن المطلق محمول على المقيد،

و تقدم أن الله فرض المتعة للمطلقة قبل الفرض والمسيس خاصة.

و لما بيّن تعالى هذه الأحكام العظيمة المشتملة على الحكمة و الرحمة امتن

بها على عباده فقال:

(كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ)

أي: حدوده، وحلاله وحرامه والأحكام النافعة لكم،

(لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)

فتعرفونها وتعرفون المقصود منها، فإن من عرف ذلك أوجب له العمل بها.

ثم قال تعالى:



﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَمْضَاعًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ

وَيَبْضِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

**(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ)**

قصة جالوت و طالوت و أثرها في الاستجابة 243-253

\*\*\* صحيح البخاري

5729 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خَرَجَ إِلَى الشَّامِ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرَعٍ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الْأَجْنَادِ، أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّامِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ، فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ، وَ لَا نَرَى أَنَّ تَرْجِعَ عَنْهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَ لَا نَرَى أَنَّ تُقَدِّمُهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي الْأَنْصَارَ، فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ، وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ:-

ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشِيخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ، فَدَعَوْتُهُمْ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلَانِ،

فَقَالُوا: نَرَىٰ أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلَا تُقَدِّمَهُمْ عَلَيَّ هَذَا الْوَبَاءَ،  
فَنَادَىٰ عُمَرُ فِي النَّاسِ: إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَيَّ ظَهْرٌ فَأَصْبِحُوا عَلَيَّ.  
قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدْرِ اللَّهِ؟

فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرَكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ؟

نَعَمْ نَفَرٌ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ إِلَى قَدْرِ اللَّهِ،

أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبْلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ،

أَحَدَاهُمَا خَصْبَةٌ، وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ،

أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدْرِ اللَّهِ،

وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدْرِ اللَّهِ؟

قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ - وَكَانَ مُتَعَبِّيًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ - ( )

فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

«إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بَارِضٌ فَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهِ،

وَإِذَا وَقَعَ بَارِضٌ وَ أَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ»

قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهُ عُمَرُ ثُمَّ أَنْصَرَ ( )

(بسرغ) قرية في طريق الشام مما يلي الحجاز.

(الأجناد) أي الجند

(الوباء) المرض العام وهو الطاعون.

(بقية الناس) أي بقية الصحابة وسماهم الناس تعظيمًا لهم.

(ارتفعوا عني) قوموا واذهبوا عني.

(فسلكوا سبيل المهاجرين) مشوا على طريقتهم فيما قالوه.

(مشيخة قريش) شيوخهم أي كبارهم في السن.

(مهاجرة الفتح) الذين هاجروا إلى المدينة عام الفتح

(مصباح على ظهر) مسافر في الصباح.

(لو غيرك) ممن ليس في منزلتك

(قالها) قال هذه المقالة أي لأدبته. أو لم أتعجب منه.

(هبطت) نزلت

(عدوتان) طرفان والعدوة طرف الوادي المرتفع منه.

(خصبة) ذات عشب كثير.

(جدبة) قليلة العشب والمرعى.

يقص تعالى علينا قصة الذين خرجوا من ديارهم على كثرتهم واتفاق مقاصدهم، بأن الذي أخرجهم منها حذر الموت من وباء أو غيره، يقصدون بهذا الخروج السلامة من الموت، ولكن لا يغني حذر عن قدر،

**(فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا )**

فماتوا

**(ثُمَّ )**

إن الله تعالى

**(أَخِيهِمْ )**

إما بدعوة نبي أو بغير ذلك، رحمة بهم ولطفا وحلما، و بيانا لآياته لخلقهم بإحياء الموتى، ولهذا قال:

**(إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ )**

أي: عظيم

**(عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ )**

فلا تزيدهم النعمة شكرا، بل ربما استعانوا بنعم الله على معاصيه،

وقليل منهم الشكور الذي يعرف النعمة ويقر بها ويصرفها في طاعة المنعم.  
ثم أمر تعالى بالقتال في سبيله، وهو قتال الأعداء الكفار لإعلاء كلمة الله  
ونصر دينه، فقال:

**(وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ)**

\*الميسر: لنصرة دينه

كَمَا أَنَّ الْحَدَرَ لَا يُغْنِي مِنَ الْقَدَرِ كَذَلِكَ الْفِرَارُ مِنَ الْجِهَادِ وَتَجَنُّبِهِ لَا يُقَرِّبُ  
أَجَلًا وَلَا يُبَاعِدُهُ،  
-بِلِ الْأَجَلِ الْمَحْتُومِ وَالرِّزْقِ الْمَقْسُومِ مُقَدَّرٌ مُقَنَّ لَا يُزَادُ فِيهِ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ

كقوله \*\*\* ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قُلَّ فَأَدْرَأُ عَنْ

أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ آل عمران: ١٦٨

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْفِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلًا وَالْآخِرَةُ

خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا نُظَلِّمُونَ فَنِيلاً ﴿٧٧﴾ أَيِنَّمَاتُ كُونُوا يَدْرِكِكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ

مُشِيدَةً وَإِنْ تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ

عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ النساء: ٧٧ - ٧٨

أي: فأحسنوا نياتكم و اقصدوا بذلك وجه الله،

و اعلموا أنه لا يفيدكم القعود عن القتال شيئاً،

و لو ظننتم أن في القعود حياتكم و بقاءكم، فليس الأمر كذلك،

و لهذا ذكر القصة السابقة توطئة لهذا الأمر،

فكما لم ينفع الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت خروجهم، بل أتاهم ما حذروا من غير أن يحتسبوا، فاعلموا أنكم كذلك.

**(وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)**

\*الميسر: واعلموا أن الله سميع لأقوالكم، عليم بنياتكم وأعمالكم. و لما كان القتال في سبيل الله لا يتم إلا بالنفقة و بذل الأموال في ذلك، أمر تعالى بالإنفاق في سبيله و رغب فيه، و سماه قرضا فقال:

**(مَنْ ذَا الَّذِي يُقرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا)**

\*\*\* المعجم الكبير للطبراني

764 - عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ

{مَنْ ذَا الَّذِي يُقرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} [البقرة: 245] ،

قَالَ أَبُو الدَّحْدَاحِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُرِيدُ مِنَّا الْقَرْضَ،

قَالَ: «نَعَمْ يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ»، قَالَ: أَرِنِي يَدَكَ، فَنَاوَلَهُ يَدَهُ،

فَقَالَ: إِنِّي قَدْ أَقرَضْتُ رَبِّي حَائِطِي، وَفِي حَائِطِي سِتِّمِائَةَ نَخْلَةٍ،

ثُمَّ جَاءَ إِلَى الْحَائِطِ فَنَادَى يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ،

وَهِيَ فِي الْحَائِطِ فَقَالَتْ: لَبَيْكَ فَقَالَ: أَخْرِجِي فَقَدْ أَقرَضْتَهُ رَبِّي

○ فينفق ما تيسر من أمواله في طرق الخيرات، خصوصا في الجهاد،

و الحسن هو الحلال المقصود به وجه الله تعالى،

**(فِيضْلَعْفُهُ لَهُ وَأَضْعَافًا كَثِيرَةً)**

\*\*\*كقوله ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ

سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿البقرة: ٢٦١﴾

الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة،

بحسب حالة المنفق، و نيته و نفع نفقته و الحاجة إليها،

— و لما كان الإنسان ربما توهم أنه إذا أنفق افتقر دفع تعالى هذا الوهم بقوله:

**﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾** <sup>E</sup>

أي: يوسع الرزق على من يشاء ويقبضه عن من يشاء،

فالتصرف كله بيديه و مدار الأمور راجع إليه،

فالإمساك لا يبسط الرزق، و الإنفاق لا يقبضه،

و مع ذلك فالإنفاق غير ضائع على أهله،

بل لهم يوم يجدون ما قدموه كاملا موفرا مضاعفا، فلهذا قال:

**﴿وَاللَّهُ تَرْجِعُونَ﴾** ( فيجازيكم بأعمالكم.

\*ففي هذه الآيات دليل على :-

1- أن الأسباب لا تنفع مع القضاء والقدر،

و خصوصا الأسباب التي تُترك بها أوامر الله.

2- و فيها: الآية العظيمة بإحياء الموتى أعيانا في هذه الدار.

3- و فيها: الأمر بالقتال و النفقة في سبيل الله،

و ذكر الأسباب الداعية لذلك الحثاثة عليه، من تسميته قرضا، ومضاعفته

و أن الله يقبض ويبسط وإليه ترجعون.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أبعثْ لَنَا  
 مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ  
 الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ  
 دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ  
 بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا  
 قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً  
 مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ  
 وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ  
 لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ  
 رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَى وَءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ  
 فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

**أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ**

يقص تعالى على نبيه قصة الملأ من بني إسرائيل و هم الأشراف والرؤساء،  
 و خص الملأ بالذكر، لأنهم في العادة هم الذين يبحثون عن مصالحهم



ليتفقوا فيتبعهم غيرهم على ما يرونه، و ذلك أنهم أتوا إلى نبي لهم بعد موسى

عليه السلام فقالوا له **(أَبْتَّ لَنَا مَلَكًا)**

أي: عيّن لنا ملكا

**(نُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)**

ليجتمع متفرقنا و يُقاوم بنا عدونا،

ولعلمهم في ذلك الوقت ليس لهم رئيس يجمعهم،

كما جرت عادة القبائل أصحاب البيوت، كل بيت لا يرضى أن يكون من

البيت الآخر رئيس،

—فالتمسوا من نبيهم تعيين ملك يرضي الطرفين

و يكون تعيينه خاصا لعوائدهم،

و كانت أنبياء بني إسرائيل تسوسهم، كلما مات نبي خلفه نبي آخر،

فلما قالوا لنبيهم تلك المقالة **(قَالَ)**

لهم نبيهم

**(هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا)**

أي: لعلكم تطلبون شيئا وهو إذا كتب عليكم لا تقومون به،

فعرض عليهم العافية فلم يقبلوها، واعتمدوا على عزمهم ونيتهم، فقالوا:

**(قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَايَنَا)**

أي: أي شيء يمنعنا من القتال وقد أخرجنا إليه، بأن أخرجنا من أوطاننا

وسبيت ذرارينا، فهذا موجب لكوننا نقاتل ولو لم يكتب علينا،

فكيف مع أنه فرض علينا وقد حصل ما حصل،

ولهذا لما لم تكن نياتهم حسنة ولم يقوؤ توكلهم على ربهم

**(فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا)**

فجبنوا عن قتال الأعداء وضعفوا عن المصادمة،

و زال ما كانوا عزموا عليه، واستولى على أكثرهم الخور والجبن

**(إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ)**

فعضمهم الله وثبتهم وقوى قلوبهم فالتزموا أمر الله

ووطنوا أنفسهم على مقارعة أعدائه،

فحازوا شرف الدنيا والآخرة، و أما أكثرهم فظلموا أنفسهم و تركوا أمر الله،

فلهذا قال:

**(وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) ﴿٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ**

مجيبا لطلبهم

**(إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا)**

فكان هذا تعيينا من الله الواجب عليهم فيه القبول والانقياد و ترك الاعتراض،  
و لكن أبوا إلا أن يعترضوا،

**قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً  
مِّنَ الْمَالِ** )

أي: كيف يكون ملكا وهو دوننا في الشرف و النسب  
و نحن أحق بالملك منه.

و مع هذا فهو فقير ليس عنده ما يقوم به الملك من الأموال،  
وهذا بناء منهم على ظن فاسد:-

و هو أن الملك ونحوه من الولايات مستلزم لشرف النسب و كثرة المال،  
و لم يعلموا أن الصفات الحقيقية التي توجب التقديم مقدمة عليها،

فلهذا قال لهم نبيهم: **قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ**  
فلزمكم الانقياد لذلك

**وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَن يَشَاءُ**  
\*الميسر: سَعَةٌ

أي: فضله عليكم بالعلم و الجسم،

أي: بقوة الرأي و الجسم اللذين بهما تتم أمور الملك،

✳لأنه إذا تم رأيه و قوي على تنفيذ ما يقتضيه الرأي المصيب،

حصل بذلك الكمال، و متى فاته واحد من الأمرين اختل عليه الأمر،

✽ فلو كان قوي البدن مع ضعف الرأي،  
حصل في الملك خرق وقهر ومخالفة للمشروع، قوة على غير حكمة،  
✽ و لو كان عالما بالأمر وليس له قوة على تنفيذها  
لم يفده الرأي الذي لا ينفذه شيئاً

**(وَاللَّهُ وَاسِعٌ)**

الفضل كثير الكرم، لا يخص برحمته وبره العام أحدا عن أحد،  
و لا شريفاً عن وضيع، و لكنه مع ذلك

**(عَلِيمٌ)** بمن يستحق الفضل فيضعه فيه،

—فأزال بهذا الكلام ما في قلوبهم من كل ريب و شك و شبهة لتبينه أن  
أسباب الملك متوفرة فيه،

—و أن فضل الله يؤتية من يشاء من عباده، ليس له راد، و لا لإحسانه صاد.

**(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ)**

ثم ذكر لهم نبيهم أيضاً آية حسية يشاهدونها

وهي إتيان التابوت الذي قد فقدوه زماناً طويلاً

**(فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ)**

و في ذلك التابوت سكينة تسكن بها قلوبهم، و تطمئن لها خواطرهم،  
\*\*\*وقار و جلاله

**(وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَىٰ وَآءَالُ هَارُونَ)**

\*\*\* عَصَاهُ وَرُضَاؤُ ( ) الْأَلْوَاحِ.  
\*\*\*عَصَا مُوسَى وَعَصَا هَارُونَ وَ لَوْحِينَ مِنَ التَّوْرَةِ.  
-و فيه بقية مما ترك آل موسى و آل هارون،

(تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ)

فَأْتَتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ حَامِلَةً لَهُ وَ هُمْ يَرُونَهُ عَيَانًا.  
\*\*\*جَاءَتِ الْمَلَائِكَةُ تَحْمِلُ التَّابُوتَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ حَتَّى وَضَعَتْهُ بَيْنَ  
يَدَيْ طَالُوتَ، وَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ.

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ)

\*\*\*عَلَى صِدْقِي فِيمَا جِئْتُكُمْ بِهِ مِنَ النُّبُوَّةِ،  
وَ فِيمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ مِنْ طَاعَةِ طَالُوتَ

(إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)

أَيُّ: بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ  
 فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۗ فَشَرِبُوا مِنْهُ  
 إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا  
 الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۗ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن  
 فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا  
 بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ  
 أقدامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ  
 وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا  
 يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ  
 وَلَئِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ  
 نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

(فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ)

\*أيسر التفاسير: انفصل من الديار وخرج يريد العدو

أي: لما تملك طالوت بني إسرائيل واستقر له الملك تجهزوا لقتال عدوهم،  
فلما فصل طالوت بجنود بني إسرائيل  
وكانوا عددا كثيرا وجما غفيرا، امتحنهم بأمر الله ليتين الثابت المطمئن ممن  
ليس كذلك فقال:

(قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ )

\*\*\*مختبركم

(بِنَهْرٍ)

\*أيسر التفسير: لعل هو نهر الأردن الآن.

(فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي )

فهو عاص و لا يتبعنا لعدم صبره و ثباته و لمعصيته

(وَمَنْ لَمْ يَطْعَمَهُ )

أي: لم يشرب منه فإنه مني

(إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ، فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ )

\*أيسر التفسير: الغرفة بالفتح المرة، وبالضم الاسم من الاعتراف

\*\*\* صحيح البخاري

3958 - عَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: كُنَّا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ نَتَحَدَّثُ:

«أَنَّ عِدَّةَ أَصْحَابِ بَدْرٍ عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهْرَ،

وَلَمْ يُجَاوِزْ مَعَهُ إِلَّا مُؤَمِّنٌ بِضَعَةِ عَشْرٍ وَ ذَاكَ مِائَةٌ»

○ فلا جناح عليه في ذلك، و لعل الله أن يجعل فيها بركة فتكفيه،

و في هذا الابتلاء ما يدل على أن الماء قد قل عليهم ليتحقق الامتحان،  
فعضى أكثرهم و شربوا من النهر الشرب المنهي عنه،  
و رجعوا على أعقابهم و نكصوا عن قتال عدوهم  
-و كان في عدم صبرهم عن الماء ساعة واحدة:-

1- أكبر دليل على عدم صبرهم على القتال الذي سيتناول و تحصل فيه  
المشقة الكبيرة،

2-و كان في رجوعهم عن باقي العسكر ما يزداد به الثابتون توكلا على الله،  
و تضرعا و استكانة و تبرؤا من حولهم و قوتهم،  
و زيادة صبر لقلتهم و كثرة عدوهم، فلهذا قال تعالى:

**(فَلَمَّا جَاوَزَهُ)**

أي: النهر

**(هُوَ)** أي: طالوت

**(وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ)**

وهم الذين أطاعوا أمر الله ولم يشربوا من النهر الشرب المنهي عنه فرأوا...  
قلتهم و كثرة أعدائهم،

**(قَالُوا)**

أي: قال كثير منهم



**(لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ<sup>٤</sup>)**

لكثرتهم و عددهم و عدددهم

**(قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ)**

\*\*\* فَشَجَعَهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ وَ هُمْ الْعَالِمُونَ بِأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ  
فَإِنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَ عَنْ كَثْرَةِ عَدَدٍ وَ لَا عِدَدٍ  
-أي: يستيقنون ذلك، و هم أهل الإيمان الثابت و اليقين الراسخ،  
مثبتين لباقيهم و مطمئنين لخواطريهم، و آمرين لهم بالصبر

**(كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ)**

أي: بإرادته و مشيئته فالأمر لله تعالى، و العزيز من أعزه الله،  
و الدليل من أذله الله، فلا تغني الكثرة مع خذلانه، و لا تضر القلة مع نصره،

**(وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)**

بالنصر و المعونة و التوفيق، فأعظم جالب لمعونة الله صبر العبد لله،  
فوقعت موعظته في قلوبهم و أثرت معهم.

**(وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ)**

○ و لهذا لما برزوا لجالوت و جنوده

\*الميسر: و لما ظهروا لجالوت و جنوده، و رأوا الخطر رأي العين،  
فزعوا إلى الله بالدعاء و الضراعة

**(قَالُوا)**

جميعهم

(رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا)

أي: قو قلوبنا، و أوزعنا الصبر  
\*\*\*أنزل علينا صبرا من عندك

(وَكَيْتَ أَقْدَامَنَا)

عن التزلزل و الفرار،

(وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)

من هاهنا نعلم أن جالوت و جنوده كانوا كفارا، فاستجاب الله لهم ذلك الدعاء  
لإتيانهم بالأسباب الموجبة لذلك، و نصرهم عليهم

(فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ)

الغول وكان مع جنود طالوت،

(بِجَالُوتَ)

أي: باشر قتل ملك الكفار بيده لشجاعته و قوته و صبره

(وَأَتَيْنَاهُ اللَّهُ)

أي: آتى الله داود

(الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ)

أي: منّ عليه بتملكه على بني إسرائيل مع الحكمة،

و هي النبوة المشتملة على [الشرع العظيم و الصراط المستقيم]

و لهذا قال (وَعَلَّمَهُ مَكَايِسَاءً)

من العلوم الشرعية و العلوم السباسبية،  
فجمع الله له الملك و النبوة،  
و قد كان من قبله من الأنبياء يكون الملك لغيرهم،  
— فلما نصرهم الله تعالى: —

1- اطمأنوا في ديارهم

2- و عبدوا الله آمنين مطمئنين لخدلان أعدائهم و تمكينهم من الأرض،  
و هذا كله من آثار الجهاد في سبيله، فلو لم يكن لم يحصل ذلك  
فلهذا قال تعالى:

(وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ)

← أي: لولا أنه يدفع بمن يقاتل في سبيله كيد الفجار و تكالب الكفار  
لفسدت الأرض: —

1- باستيلاء الكفار عليها

2- و إقامتهم شعائر الكفر

3- و منعهم من عبادة الله تعالى، و إظهار دينه

\*\*\*كقوله ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهَدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ

وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ الحج: ٤٠

(وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ)

حيث شرع لهم الجهاد الذي فيه سعادتهم و المدافعة عنهم  
و مكنهم من الأرض بأسباب يعلمونها، و أسباب لا يعلمونها.

ثم قال تعالى: (تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ)

أي: بالصدق الذي لا ريب فيها المتضمن :-

1- للاعتبار 2- و الاستبصار 3- و بيان حقائق الأمور

(وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ)

\*\*\* هذا توكيد و توطيد للقسم

فهذه شهادة من الله لرسوله برسالته التي من جملة أدلتها ما قصه الله عليه من  
أخبار الأمم السالفة و الأنبياء و أتباعهم و أعدائهم  
التي لولا خبر الله إياه لما كان عنده بذلك علم بل لم يكن في قومه من عنده  
شيء من هذه الأمور،

فدل أنه رسول الله حقا و نبيه صدقا الذي بعثه بالحق و دين الحق ليظهره على  
الدين كله و لو كره المشركون.

- و في هذه القصة من الآيات و العبر ما يتذكر به أولو الألباب:-

1- فمنها: أن اجتماع أهل الكلمة و الحل و العقد و بحثهم في الطريق الذي

تستقيم به أمورهم و فهمه، ثم العمل به،

← أكبر سبب لارتقائهم و حصول مقصودهم،

كما وقع لهؤلاء المأ حين راجعوا نبهم في تعيين ملك تجتمع به كلمتهم  
و يلم متفرقهم، و تحصل له الطاعة منهم،

2-ومنها: أن الحق كلما عورض و أوردت عليه الشبه ازداد وضوحا و تميز و  
حصل به اليقين التام كما جرى لهؤلاء،

لما اعترضوا على استحقاق طالوت للملك أجيبوا بأجوبة حصل بها الإقناع  
و زوال الشبه و الريب.

3-ومنها: أن العلم و الرأي: مع القوة المنفذة بهما كمال الولايات،  
و بفقدهما أو فقد أحدهما نقصانها و ضررها.

4-ومنها: أن الاتكال على النفس سبب الفشل و الخذلان، و الاستعانة بالله  
و الصبر و الالتجاء إليه سبب النصر، فالأول كما في قولهم لنبهم:-

**(وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا)**

فكانه نتيجة ذلك أنه لما كتب عليهم القتال تولوا، و الثاني في قوله:

**(ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا**

**على القوم الكافرين فهزموهم بإذن الله)**

5-ومنها: أن من حكمة الله تعالى تمييز الخبيث من الطيب،  
و الصادق من الكاذب، و الصابر من الجبان،

و أنه لم يكن لينذر العباد على ما هم عليه من الاختلاط و عدم التمييز.

6-ومنها: أن من رحمته و سننه الجارية أن يدفع ضرر الكفار و المنافقين  
بالمؤمنين المقاتلين،

و أنه لولا ذلك لفسدت الأرض باستيلاء الكفر و شعائره عليها.